www.univ-oran.dz

رسائل الدكتوراه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

بحث مُقدَّم لنيل شهادة الدكتوراه

تحت عنوان

دلالة الألفاظ بين المعجم و التفسير

في ضوء المنهج السياقي

إعداد الطالب:

قاسم قادة

إشراف الدكتور:

قادة محمد

لجنة المناقشة

1. أ.د. عبد الحليم بن عيسى	رئيسا	جامعة وهران
2. د.قادة محمد	مشرفا مقررا	جامعة مستغانم
3.أ.د.عبد الجليل مرتاض	مناقشا	جامعة تلمسان
4.أ د. عبد الخالق رشيد	مناقشا	جامعة وهران
5.أ.د مختار لزعر	مناقشا	جامعة مستغانم
6.د ميمون مجاهد	مناقشا	جامعة سعيدة

السنة الجامعية1432 هـ / 1433 هـ - 2011 م / 2012م

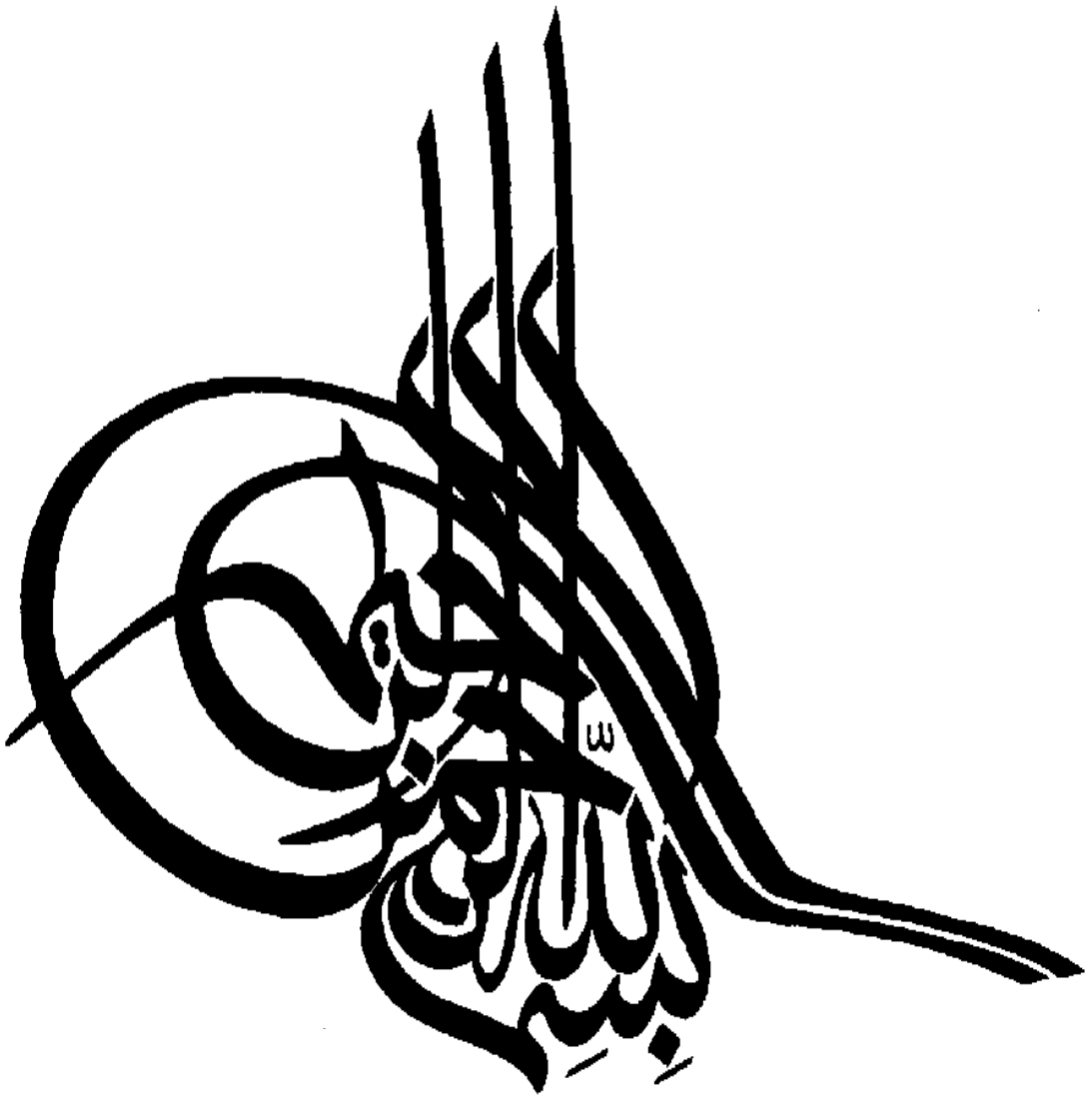
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مَن أمرنا الله بالإحسان إليهما في الحياة الدنيا، و الدَّعاء لهما بالرَّحمة و المغفرة:" الوالدين الكريمين " أهدي هذا الجهد المتواضع.

إلى من اتخذته مثلا و قدوة في حب العلم و العمل، أحيَ روحه الطاهرة، إلى الذي كان يتعهد ني

و يدعوني إلى تفقد دفاتري و مراجعة دروسي، إلى الذي غرس في ذاتي حبً العلم و العمل به أبي الطيب – طيَب الله ثراه –

إلى التي رافقته الحياة، و هي الآن تُشرف علينا باعتبار طلعها النضيد هي النخلة الباسقة في اسمها و ذاتها، تظلَلُنا بغصونها و نسترزق بثمارها أمَي – أطال اللَّه في عمرها –

ـ إلى رفيقة دربي، و سندي في الحياة، إليك زوجتي تقديرا على عونك لي دون كلل أو ملل .

ـ إلى فلذات كبدي و أملي في حياتي و بعد مماتي، أمينة – أمَن اللَّه حياتها – و عوالي – أعلى الله مقامها– إلى زوجها و عائلته ، و إلى التي خرجت إلى الدنيا فأغنت باسمها " مريم" قاموس أسماء العائلة و أسماء – سما اللَّه بها في الدَّارين – ومحمد ياسين – شفَعه اللَّه بخير البرية محمد– و عبد القادر – جعله اللَّه من عباده القادرين ، و فاطمة الزهراء بسمة الشفتين و نور العينين – أزهر الله حياتها – و حياتهم أجمعين .

ـ إلى إخوتي : فطومة و زوجها سعيد – رحمه الله – و جعله من سعداء الآخرة، إلى فاطمة ، الطاهر، قدارية ، عبد القادر، و حورية، إلى أزواجهم و أبنائهم و بناتهم أجمعين، – إلى إخوتي الذين اقتطفهم الموت و هم في ريعان صباهم: الميلود – ابن عيسى و محمد أدعو الله لهم و لجميع موتانا و موتى المسلين أنْ يكونوا بجوار ربَهم في جنات النعيم ..آمين .

ـ إلى كل من علَمنا القليل أو الكثير فأحيى بذلك حياتنا و أنار دربنا .

– إلى أهل زوجتي رجالا و نساءً و أبناءً دون أنْ ننسى الأب الكريم عبد القادر الزاهد في الدنيا و الراغب في الآخرة جعله الله من شهداء الأمَة .

ـ إلى كل الأصدقاء و الأحبَة دون استثناء.

ـ إلى كل من كان له الفضل من بعيد أو قريب في إخراج هذا المولود أهدي هذا العمل المتواضع...

مقدّمة

مقدّمة :

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق الإنسان و علّمه البيان أنزل كُتبه عل أنبيائه لتبليغها إلى عباده بالحكمة و الكلمة الطيِّبة، و الصّلاة و السّلام على مَن بعثه رحمة للعالمين نبيِّنا محمّد، و على آله و صحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ دلالة الألفاظ حقل من حقول اللّغة اهتمّ به الأوائل و هو ما تجلّى في تتبعهم و جمعهم لمعاني الألفاظ في المعاجم اللّغوية الأولى حفظاً لها من الضّياع و تثبيتاً لدلالتها، و قد جاء هذا العمل نتيجة جهود مُعتبرة للّغويين العرب في الحفاظ على الثّروة اللّغوية و حِرصهم على فضِّ كُلِّ نزاعٍ في شأن ما أُقْفِلَ على الأمَةِ و استعصى عليهم في شأن معرفة دِلالته و معناه، حيث سعوا جادِّين في جمع الموروث اللّغوي و تتبّع أشْهر ما قيل فيه بُغية تطويعه و تذْليله .

إنّ الحديث عن المعنى الأصلي للكلمة يجعلها تتمركز حول ميزتين أساسيتين في شأن الدّلالة؛ إذْ هناك الدّلالة الأصلية التي اصطلح عليها في بداية التّأسيس وبين التي تطرأ عليها عند كلّ استعمال و هو ما سعت إليه المعاجم اللُّغوية من خلال تدوين دلالاتها عبر مختلف الحقب، و قد ازداد اهتمامهم بها حينما ازدهرت حركة التفسير لكتاب الله العزيز نتيجة الحاجة إلى ذلك.

إنّ دلالة الألفاظ لم تبق محصورة في المعجم بل راح المُفسرون بدورهم يستندون إليها في كثير مِمّا اعترضهم من ألفاظ في القرآن الكريم، حيث رجعوا إلى ما قالته العرب في هذه اللّفظة و ربطوا هذه الدّلالة بما يتماشى و القرائن الموحية لها؛ الشيء الذي جعل من حركية الألفاظ في علاقتها بالأحوال و المقامات تُؤتي أكلها حين مبدأ الإطلاق أو الاستعمال اللّغوي .

ثُمّ إنّه في حالة هذا النّوع من التّلازم بين الألفاظ و الاستعمال و المعاني، نجد كثيراً من الدّراسات في هذا المجال من بينها: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس و التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية إبراهيم السمرائي، علم الدلالة لأحمد مختار عمر، تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها – حلمي خليل

الكلمة، دراسة لغوية و معجمية – السيد أحمد عبد الغفار التَّأويل الصحيح للنّص الدّيني ...

قد تعاملت مع واقع اللَّفظ وِفق ما يحمله من دلالات جمَّة و الإطار المرجعي الذي يُحاول تحديد مثل هذه الدَّلالات حسب ما تقتضيه طبيعة القرائن التَّراثية؛ الأمر الذي يجعل من مثل هذا التَّصور أنْ تكون كلَّ من دلالة اللَّفظ على مستوى المعجم، و دلالة اللَّفظ على مُستوى التَّركيب يطلبان حقيقة موفية اصطلح عليها عند القدامى و المُحدَثين بمفهوم السياق، هذا الأخير الذي له القدرة في أنْ يجعل من دلالة اللَّفظ تأخذ شرعية موفية داخل الإطار الاستعمالي الذي همَّه الوحيد هو انتقاء اللَّفظ تبعاً لما تقتضيه طبيعة السياقات و الأحوال المعاينة.

من هذا المنطلق لقد ساورتني فكرة تتبع دلالة الألفاظ بين المعجم اللَّغوي و التفسير القرآني منذ زمن، أقرأ الآية القرآنية تستوقفني اللَّفظة ألتفت إليها في المعجم، ثُمَّ في التفسير فانطبعَ لديَّ حكم مفاده أنَّ دلالة الألفاظ في المعجم تمتاز بالشمولية، أمَّا في التفسير فقد حرص المُفسرون على تخصيص دلالتها بناء على معطيات ذات صلة بأسباب النزول و غيرها ...

و عموماً فدلالة اللَّفظ في القرآن محصورة في البيان، و الكشف عمَا أُشكِل في لفظٍ ما حتَّى أشار إليَّ الأستاذ المشرف إلى البحث في المجال، مع ربطه بوجهات نظر علماء الأصول و السياق و التأويل؛ لأنَّ الألفاظ في التركيب تخضع دلالتها للسياق و التأويل مع التخصَّص أمَّا و هي في المُعجم فدلالتها تمتاز بالاتَّساع و الشمولية، فكان أن عملت بتوجيهاته وولجت في الموضوع الذي تكبرني فكرته.

و ممَّا زاد في تشجيعي لتناوله ما يقف عليه القارئ في بعض مصاحف القرآن الكريم – من باب تيسير الفهم – تلك الشروحات الخاصَّة لبعض الألفاظ التي تبدو صعبة كتلك التي تتجلى " في مصحف القرآن المُذيَّل بالشرح.

و من خلال مقارنة بين الدلالات اللّغوية الواردة في مثل هذه المصاحف التي تسعى إلى تيسير معنى الآية، و بين ما نقف عليه في التفسير من شروحات وافية قد تصل بالقارئ إلى معاني عميقة و بتوفيق من الله و توجيهات أستاذي المشرف تمثلت جوانب البحث أمامي و كلّما استعصت عليّ قضية من قضايا هذا البحث وجدت تطويعها و تذليلها منه.

و لقد واجهتني في هذا البحث صعوبات ترجع إلى عدة أسباب منها :

طبيعة البحث نفسه الذي يجمع بين الدلالة في المعجم و الدلالة في التفسير حيث يقتضي طابع الدّقة .

ثانياً: دلالة الألفاظ لا تختصّ بنوع مُعيّن من الألفاظ الأمر الذي اقتضى مِنّي أنْ أسعى جاداً في الإحاطة بها – كلّما اقتضى الأمر –

ثالثاً: إنّ الكتب التي اهتمّت بقضية الدلالة جُلّها تتبعتها من جوانب اصطلاحية نظرية.

رابعاً: إنّ الدلالة التي قصدت دراستها قائمة بين المعاجم و التفاسير مع ربط العمليتين بما جادت به النّظرية السياقية التي عرفها الأوائل و المتأخرون من علماء العرب و الغرب، غير أنّه من باب الإنصاف العلمي أنّ مثل هذا النّوع من التّصوّر في شأن علاقة دلالة المعجم بالتّفسير جعلت منّا تبيان أهمّ الأطر المعرفية و الإجرائية التي يلتقي فيها هذا النوع من الرسالة بما هو كائن في النّظرية السّياقية الحديثة، بحكم أنّنا حاولنا أنْ ننْطلق من مُسلّمة مفادها أنّ شرعية الموروث اللّساني العربي لن يتحقّق في الوجود العرفي إلاّ إذا استطعنا أنْ نجد بعضاً من العلائق الترابطية بين القضية السياقية و الدلالية على نوْعيها: المعجمية و السياقية، و هي من ثمّة ليست بالأمر الهيّن في تحقيقها و تجسيدها على أرض الواقع.

على هذا الزّعم الذي نحسبه بأنّه مُبرّر من جهته التّصورية، راح تصوّرنا يرسي قواعده على إشكالية نعتقد بأنّها تفي بالغرض المقصود و ذلك فيما حاولنا وفق ما تيّسر لنا جمعه من مادّة موفية بغية الإحاطة به، و قد وسمناها بـ :

" **دلالة الألفاظ بين المعجم و التفسير في ضوء المنهج السياقي** "

و قد ينجذب قارئ هذا العنوان لشطره الثاني "في ضوء المنهج السياقي " و يسأل عن العلاقة بين المصطلحين: " النَظرية " و " المنهج "و أيُهما أولى؟ و بعد البحث و التنقيب في شأن المُصطلحين تبيَّن لنا أن نورد العنوان وفق ما هو مُدوَّن قاصدين بالمنهج النظرية بناءً على ما وقفنا عليه من قراءات في هذا المجال حيث أنَّ أصحابها عنوا بالمنهج السياقي أداة السياق، و هي الألفاظ و كيف يُمكن للَّفظ الواحد أنْ يأخذ أكثر من دلالة تبعاً للموقع الذي يأتي فيه، لِذا وجدت نفسي مُضطراً أنْ أربط بين دلالة الألفاظ عند المُعجميين و المُفسرين بما يُنادي به علماء السياق .

ثُمَّ إنَّه لدراسة هذه الإشكالية دراسة علمية موضوعية استوجب مِنَّا مقام البحث أنْ يتوزَّع هيكلها الخارجي على مقدمة و مدخل و أربعة فصول و خاتمة .

أمَّا المدخل فقد عنونته بـ: اللَّغة بين النَّشأة و الجمع و قد تمحورت تحته المباحث التَّالية:

-ماهية اللغة بين المُعجم و الاصطلاح – أصل اللغة – اللغة و مبدأ التوقيف – اللَّغة و مبدأ التواضع – نشأة اللغة – جمع اللغة –

و أمَّا الفصول الثلاثة فقد تضمَّنت التَّالي:

الفصل الأوَّل: بين الكلمة و اللَّفظ و الدَّلالة و فيه ثلاثة مباحث :

1– اللفظ و الدلالة – مكونات المستوى الدلالي – مظاهر التطور الدلالي

2 – دلالة الألفاظ عند اللغويين – المستويات الدلالية للألفاظ في المعاجم العربية

أ – المستوى الصَّوتي – ب – المستوى الصَّرفي – ج – المستوى النحوي د – المستوى الدلالي .

العلاقات الدلالية

3 – دلالة الألفاظ عند الأصوليين

الفصل الثاني: المعجم، و قد اشتمل على المباحث التالية:

– الإرهاصات الأولى للمعجم العربي – المعاجم العربية و طرق تأليفها – المعنى المعجمي – أثر البنية العميقة في تحديد دلالة اللَّفظ –

الفصل الثالث : التفسير و قد تضمن أربعة مباحث :

-إرهاصات و دواعي نشأة علم التفسير
-أنواع التفسير: أوَلاً : التَفسير المأثور – ثانياً : التفسير بالرأي
-العوامل المساعدة على إجلاء دلالة الألفاظ في التفسير
-بين المعنى الظاهر و التأويل

الفصل الرابع:

-بين دلالة اللفظ في المعجم و دلالة السياق
-الألفاظ بين دلالة التفسير و دلالة السياق
-أثر القرينة في تحديد الدلالة السياقية عند المفسرين

و فيما يتعلَّق بالدراسة التطبيقية فقد حرصت على توزيعها عبر الفصول الثلاثة للأقلمة بين العنوان و المحتوى.

أمَّا الخاتمة فقد تضمنت أهمَّ النتائج التي توصلت إليها.

و فيما يخصُّ الفهارس فقد ضبطتها في نهاية البحث حيث أفردت فهرسا للآيات القرآنية و آخر للأبيات الشعرية، و دليل للمراجع المعتمدة، و آخر للموضوعات.

أمَّا في ما يخصُّ المنهج المُتبَّع في هذه الرِّسالة، فالحقيقة التي ينبغي الإشارة إليها كون أنَّ طبيعة الموضوع ألزمتنا أنْ نستقي عدَّة مناهج حسب ما تقتضيه خطَّة البحث و الفصول المُوزَّعة عليه؛ الشيء الذي جعلنا نقتفي في كثير من مقامات البحث المنهج التاريخي و المنهج الوصفي و المنهج المقارن، غير أنَّ المنهج الطَّاغي كان يأخذنا في كثير من المقامات بالاعتماد على المنهج الوصفي التَّحليلي.

و أخيرا أتقدَّم بالشكر الوافر – بعد شكر المولى سبحانه و تعالى – للأستاذ المشرف الدكتور قادة محمد على وقوفه إلى جانبي، و على صبره و تحملَّه لأعباء البحث طيلة هذه المُدَّة، فأشكره على ما قام به من توجيه و تعديل رغم انشغالاته العلمية الكثيرة أسأل الله القدير أنْ يجازيه أحسن الجزاء.

و لقد كان من تيسير الله أنْ هيَّأ لهذا البحث لجنة موقَّرة من المناقشين، فأشكر الأساتذة الأفاضل على قبولهم الرسالة و تفضلهم بتقويمها.

كما لا يفوتني أن أشكر كلَّ مَن ساعدني في هذا البحث بفكرة أو توجيه لكتاب أو إعارة، فجزاهم الله خيراً.

و بعد، فهذا جهد المقلِّ، و ما تضمنه من صواب فمن الله المنَّان، و ما جاء فيه من خطأ فمنِّي و من الشَّيطان، أسأله و هو الجدير بالجواب أنْ يتجاوز عنِّي و يغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذَّنوب إلاَّ هو، و الحمد لله ربِّ العالمين.

و اللَّه من وراء القصد، و هو الهادي إلى سواء السبيل

قاسم قادة بن الطيِّب

تيسمسيلت يوم الخميس 30 ربيع الأوَّل 1433هـ

الموافق لـ: 23 مـارس 2012 م

مدخل

ماهية اللغة بين المُعجم و الاصطلاح -

- أصل اللغة

اللغة و مبدأ التوقيف

اللَّغة و مبدأ التواضع

نشأة اللغة

جمع اللغة

لقد تجلَّى اهتمام اللغويين القدامى باللغة حيث تتَبَّعوا دراستها بُغية الإثراء والإفادة، وهو ما نستشفُّه في كُتبهم، و قد تنوَّعت تعاريفهم للُّغة من عالِم لآخر [1•].

ومهما يكن في شأن تعدد تعاريفها بين العلماء، فإنَّ رُؤاهم تكاد تُجمع و تتَّفق على أرضية واحدة و هي أنَّ اللُّغة أصوات بها نُترجم ما يختلج في النفس، و هي الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [2] .

• - لقد عرَّف ابن جنِّي (ت392هـ) اللَّغة بقوله : " أمَّا حَدُّهَا : فإنها أصْواتٌ يُعبِّرُ بِهَا كلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِم ." (- أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوقيفية، د. تا ، 1/ 44 .) و يكون بذلك قد حصر اللُّغة في ثلاث مَسائل: - "اللغة" أصوات، أي: أداة تعبير. - "اللغة ": أنواع من مجتمع إلى آخر - "اللغة " أشكال .
كما التفت إليها ابن منظور (630هـ - 711هـ)،و مِمَا قاله في شأنها : " اللغة من الأسماء الناقصة،وأصلها لُغوةٌ من لغَا إذا تكلَّم ...، و اللُّغة: اللِّسْنُ، و حَدُّها أنَّها أصْواتٌ يُعبِّرُ بِها كُلُّ قومٍ عنْ أغراضِهِم، و هي فُعْلَةٌ منْ لَغَوْتُ، أيْ تكلَّمْتُ..."

(- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، مادة (لغا)،دار المعارف القاهرة طبعة جديدة محققة،باب العين ،4 / 4049-4050.)

إنَّ اللُّغة هي الرَّافد القويم لفكر الإنسان، و كلّ ما هو منطوق يدخل في نطاق اللُّغة، و من علماء العرب الذين اهتمُوا باللُّغة ابن خلدون (732هـ - 808هـ) حيث عدَّها :
" ترجمان عمَّا في الضَّمائر من تلك المعاني يُؤدِّيها بعضٌ إلى بعضٍ ."
(- ابن خلدون المقدمة: المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر،،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان،ط مُحققة 2004م،ص563.)

إنَّ الذي عناه ابن خلدون من تعريفه للُّغة أنَّها أداة للتَّعبير عن حاجاتنا، فلا يُعبِّر الواحد مِنَّا ويُبلِّغ عن مُراده إلاَّ بلُغة يتواصل بها أبناء المجتمع الواحد، و من دعائمها عند النَّاطقين: الألفاظ، و هي في إطارها العام تهدف إلى إحداث التَّبليغ عن المقاصد، و تختلف في بناءها و رموزها و دلالتها من مجتمع لآخر .

كذلك من تعار يف اللُّغة تلك التي رأى أصحابها أنَّها ذلك " النظام الذي يمكن بواسطته تحليل أيَّ صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، و الذي يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووصفها في ترتيب خاص ." (عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية و أصولها النفسية و طرق تدريسها، ط4 القاهرة، دار المعارف د . تا،1/ 15 .)
و منهم مَن ضبط لفظ اللُّغة في الوحدات، و هو ما عبَّر عنه أحمد شامية في قوله : " و قد كانت كلمة (لغة) تُطلق على المُعطيات اللُّغوية التي قام بجمعها جامعو اللُّغة من مصادرها الموثوق بها، و ما تبع ذلك من تصنيف وشرح و كان يفرق بين اللُّغوي الذي يقوم بهذا العمل مثل الأصمعي و ابن الأعرابي و النَّحوي مثل سيبويه و الخليل . "
(-أحمد شامية ،دراسة تمهيدية منهجية في مُستويات البنية اللُّغوية ،دار البلاغ للنَّشر و التَّوزيع،ط1 2002 م،ص17).

[2] - سورة الروم،الآية 22 .

و تجدر الإشارة إلى أنَ صاحب التفسير الكبير راح بدوره يُعطي لها بُعداً يتماشى و اختلاف الألسنة في علاقتها بالأصوات حيث قال: "... فإن عربيين هما أخوان إذا تكلَما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر حتَى أنَ من يكون محجوباً عنهما لا يبصرهما هذا صوت فلان، وهذا صوت فلان الآخر، و فيه حكمة بالغة و ذلك لأنَ الإنسان يحتاج إلى التَمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحقِ من غيره،... " [3] فمن المعايير المُعتمَدة في التَمييز بين الناس مُراعاة اختلاف أصواتهم و إنْ تشابها في الملامح الفسيولوجية، فالفارق بينهما قد يكون ما يُسمع من أصوات تَصدر منهما.

و لم ينحصر الاهتمام باللغة عند اللغويين القدامى بل تجلَى اهتمام المحدثين بها كذلك [4•] فهي من هذا المنظور تُعدً بحق مجموعة غير متناهية من العلامات التي ترمز إلى أشياء يوظفها المتكلم للتعبير عن أفكاره كتابة أو نطقاً قصد التبليغ و الإفادة، الأمر الذي ينجرَ عنه تحقيق التَواصل اللُغوي بين الأفراد الذي به تنفرد اللُغة الإنسانية عن غيرها من الكائنات.

---

[3] - الإمام محمد الرَازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرأي (544هـ - 604 هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى 1401 هـ - 1981 م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع لبنان بيروت،1/ 112 .

• - باعتبار أنَ اللُغة لازمت، و تُلازم الإنسان مادام حياً، فمن المُحدثين مَن عُرّفها بأنها " نظام عُرفِي مُكوَن من رموز وعلامات يستغلها الناس للاتصال بعضهم ببعض، والتعبير عن أفكارهم، أو هي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني وتدركها الأذن فتؤدي إلى دلالات اصطلاحية معينة في مجتمع مُعين. "
(محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان – الأردن- الطبعة الأولى، 2006 م، ص161-162.) فاللُغة من هذا المنظور تجسيد لنِظام رمزي الهدف منه تحقيق التواصل بين أفراد المُجتمع الواحد .
و ممَا التفت إليه دي سوسير في مجال مفهوم اللغة حصره إيَاها بين الفكرة و الصَوت، و هو ما تجلَى في قوله : " لإثبات أن اللغة ليست إلاَ نظاما من القيم الخالصة، فإنَه يكفي أن نأخذ بالاعتبار للعنصرين المستخدمين في أداتها لوظيفتها ((fonctioning)) : الأفكار و الأصوات.
إنَ أفكارنا من ناحية نفسية – منفصلة عن التعبير عنها في كلمات – ما هي إلاَ كتلة مشبوهة و غير واضحة، يتفق الفلاسفة و اللُغويون دائما على الاعتراف بأنَه من غير الاستعانة بالعلامات، فإنَنا لا نستطيع عمل فواصل واضحة و فارق ثابت بين فكرتين . "
(فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية إسكندرية،ص195.) بل حتَى من النَاحية الإجرائية لا يُمكن الفصل بين اللُغة و الفكر، فحينما يُفكر الواحد مِنَا، حتماً سيُفكر بلغة، و لكنَها صامتة.

و من التَّعليقات التي يقف عليها الباحث في الحقل اللِّساني و التي أثبت صاحبها أنَّ تعريف اللُّغة عند دي سوسير مشدود بمنهجه " اللساني البنيوي، فالوحدات بمعزل عن بعضها البعض لا معنى لها، فاللُّغة بذلك عبارة عن نسق من الكلمات المُشكِلَة لجمل ذات دلالة، " [5] فهي من هذا المنظور نظام مُتكامل، و لا مجال فيه للوحدات التي لا يتجلَّى دورها منفردة، و لا يتمَّ إلاَّ في نسق المجموعة، و بها تتمَّ عملية التَّحليل لما هو مرئي و ما هو مُجرَّد، الأمر الذي توصل إليه البحث في الحقل اللُّغوي حينما حدَّدوا معالمها باعتبارها ذلك " النظام الذي يُمكن بواسطته تحليل أيَّ صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، و الذي يُمكن تركيب هذه الصورة مرَّة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووصفها في ترتيب خاص، " [6] و بهذا النَّسق كذلك تُركب الأفكار قصد تبليغها للغير، إلاَ أنَّ هذا التَّبليغ لن يتمَّ بالصورة المُثلى إلاَّ إذا اعتُمِد فيه على الانتقاء، و التَّأليف السليم بين الوحدات.

إنَ ميزة اللغة العربية لها طابع خاص يختلف عن الأنظمة اللغوية الأخرى على الإطلاق، و ذلك بحكمها أنَّها لازمت و صاحبت نزول القرآن الكريم، فأضحى مَنْ يُريد تناولها و البحث في عالمها الداخلي و الخارجي أنْ يعود إلى أصلها؛ الأمر الذي جعل من أهلها و أنصارها أنْ يولوا لها الاهتمام البالغ و ذلك لِتماشيها مع هذا الواقع، و هو ما دفعهم إلى التَّصريح بصريح العبارة عن هذه الحقيقة " إنَّ مَن أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى- ﷺ - ، و من أحبَّ النبيَّ العربي أحبَّ العرب، و من أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم و العرب، و من أحبَّ العربية غنى بها و ثابر عليها و صرف نعمته إليها. " [7]

---

[5] - الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين،د. ط، د. تا، ص51.

[6] - عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية و أصولها النفسية و طرق تدريسها، الطبعة الرابعة، القاهرة دار المعارف،د. تا، 1/ 15.

[7] - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة و سرِّ العربية، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان،الطبعة الأولى 2006م،ص13.

ثُمَّ إنَّه لِدراسة اللُّغة وِفق ما يقتضيه الضَّابط العلمي المنهجي يستوجب المقام أنْ نعود إلى أصل هذا النِّظام الذي استطاع أنْ يمتاز بهذه الخاصية في كونه قادراً على تحقيق بُعدٍ تواصلي في داخله و خارجه مع أبناء المجتمع .

و ممَّا سبق يتضح لنا أن اللغة نظام تتحكم فيه قواعد وقوانين لها دلالات تؤدي معنى التواصل بين أفراد المجتمع، و لأهميتها في حياة الأفراد و المجتمعات خُصَت بالدِّراسة و التَّنقيب فتتبَعوا أصلها و حقيقتها، و لا شكَّ أنَّ الحديث عنها وفق المُعطى العلمي يستدعي العودة إلى تلكم الينابيع الأولى التي تُمثل بحقٍّ الحجر الأساس في قضية النَّشأة و التطور و الأصل.

أصل اللغة

كثيرة هي الدراسات اللغوية التي تتبَّعت بالبحث و التَّنقيب قضايا اللُّغة للكشف عن أصلها[8•]، و الباحث في هذا المجال يستقرُّ رأيه على أمر اختلاف العلماء[9•] في تفسير أصلها، " وقد ذهب المتعصبون له في تصوير منشأ اللغة مذاهب ساذجة

و هو ما توصل إليه الباحثان حينما التفتا إلى بيان وظيفة اللُّغة عند الجاحظ حيث بيَّنا أنَّها " ترتكز أساساً على عنصر الإبانة و الوضوح، و من ثمَّ فهي ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، و ذلك قصد تناول المعرفة و نقل الخبرة فيما بينهم .."
(- حنفي بناصر – مختار لزعر، اللسانيات منطقاتها النَّظرية و وظيفتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2009م، ص114.

• - و نقصد بها الألفاظ العربية التي لفتت انتباه العلماء و الباحثين منذ القِدم، فبحثوا عن أصلها و توصلوا إلى أنَّ " العرب من أقدم الأمم ولغتها من أقدم اللغات وجودا، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها، بل الفارسية وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ، فلعلَّ الألفاظ القرآنية التي يظن أنَّ أصلها من لسان العرب، و لا يعرف مصدر اشتقاقها، و لعلَّها من بعض ما فقد أصله و بقي الحرف وحده . "
(- الجواليقي، المعرب ، الطبعة الثانية وزارة الثقافة المصرية، مطبعة دار الكتب 1969م، ص 37.)
إنَ البحث في أصل اللُّغة العربية و بيان جذورها الأولى من البحوث التي تتطلب الرَّجوع إلى الأزمنة الغابرة، و ربط نتائجها بما هو ملموس قصد بلوغ ما هو علمي موضوعي .

• - و هو ما أثبتته الدِّراسات اللِّسانية، و التي جسَّدته النَّظريات المُتبناة من الباحثين في الحقل اللُّغوي، و قد بلغ بهم الخلاف حتى " في كيفية دلالة الألفاظ على معانيها، و نوع العلاقة بين اللَّفظ و مدلوله، و علّة اقترانهما، فهلْ تدلُّ الألفاظ على المعاني بذواتها، أوْ بوضع الله – عزَّ و جلَّ – إيَّاها أوْ بوضع النَّاس ؟ . "
(- حامد محمد أمين شعبان، أسرار النّظام اللّغوي عند مصطفى صادق الرَّافعي، عالم الكتب القاهرة 1979 م، ص37 .)
و لم تقف تلك النَّظريات عند هذه الاستفسارات بل منها التي راحت تُقدَّم تفسيرات خارقة.

9 - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، دار النهضة للطباعة و النشر و التوزيع مصر، الطبعة الثانية 2005م، ص33.

غريبة تدل أبلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب ونطاق المعقول، " [10] الأمر الذي جعل من أهل الاختصاص في هذا المجال بالذات يُقرِّرون بأنَّ البحث في قضية أصل اللُّغة و نشأتها " لم يكن – في حقيقة أمره – وليد هذا العصر بل نشأ منذ مئات السنين، وشغل العلماء حتى أوائل القرن العشرين، ولقد احتدمت حوله المناقشات وتباينت فيه الآراء و اختلفت بسببه وجهات النظر بين الباحثين اختلافا كان خليقا أن يُلفِت النظر و يأخذ بالألباب " [11].

و سأجد نفسي مُضطراً لتتبُّع تلك النَّظريات لما لها من الأهمية في إجلاء الجوانب التاريخية، و الكشف عن حقيقة اللُّغة، و هو" ذلك السؤال الذي تضاربت في الإجابة عنه الآراء، و تعددت المذاهب ما بين قائل بأنَّ اللُّغة (إلهام رباني) أو إنها (مُواضعة و اصطلاح اجتماعي) أو أنَها (غريزة كلامية) أو (مُحاكاة لأصوات الطبيعة) [12] و سأكتفي بتتبع أشهر ما قيل في النَظريتين : التوقيفية و الاصطلاحية باعتبارهما يُمثلان الأساس في البحث عن أصل اللُّغة .

اللغة و مبدأ التوقيف

من علماء العربية و الباحثين مَنْ ردَّ أصل اللُّغة إلى أنَها توقيفية مُستدلين على ذلك بقوله تعالى﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [13]، فالفعل التعليمي من اللَّه – عزَّ و جلَّ – لآدم – عليه السلام – اقتضى أنْ يُمدَّه بأسماء الأشياء التي على مِنوالها يُمكنه أنْ يُميِّز بينها،

---

[10] - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، ص 33 .

3- مختار لزعر ، التَّصور اللُّغوي في الفكر الاعتزالي، دار الأديب للنَّشر و التَّوزيع 2006 م، ص 95 .

[12] - هادي نهر، علم اللُّغة الاجتماعي عند العرب ،الطبعة الأولى 1988م الجامعة المستنصرية، ص 59- 60.

[13] - سورة البقرة، الآية 31 .

فاللُغة العربة على حدِ قول بعضهم هي لغة " توقيف و دليل ذلك قوله تعالى – جلَ ثناؤه – ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ فكان ابن عباس يقول: علَمه الأسماء كلها [14•]، و هي هذه التي بتعارفها الناس من دابة و أرض، و سهل و جبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم و غيرها " [15].

بهذا العلم أصبح سيِدنا آدم– عليه السلام – على دراية بِمسميات الأشياء التي توارثها الأبناء عن الآباء من خلال هبة اللَه وفطر الإنسان عليها حيث ترى أن نشأتها ترجع إلى " إلهام إلهي هبط على الإنسان، فعلمه النطق و أسماء الأشياء " [16]، فاللُغة من منظور أصحاب هذا الاتِجاه هبة من اللَه، و وديعة أودعه إيَاها للتَفاهم و التَواصل بين النَاس، و هي بذلك إلهام إلهي باعتبار أنَ النُطق عملية متفاوتة، فمن لم يُوفَق من اللَه – عزَ و جلَ– بجهاز نطقي سليم لا يُمكنه أنْ يتواصل مع الأسوياء بلغة مفهومة، من هذا المُنطلق فهم يعتبرون اللُغة توقيف من عند اللَه– عزَ و جلَ – فهو الذي كرَم الإنسان و شرَفه بنعم جمَة، حيث خصَه بالنطق على سائر المخلوقات، فمكَنه من الكشف عن الأفكار بأدوات معروفة هي الألفاظ.

و في هذا الاتِجاه رأى " الأشعري[17•] و الجباني و الكعبي: اللُغات كُلُها توقيفية، بمعنى أنَ اللَه تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ و تلك المعاني، و بأنَ

• - لقد استوقفت هذه الآية الكثير من العلماء حيث ركَزوا على بيان دلالة القصد من تعليم الأسماء، علما أنَ اللغة ليست أسماء خالصة بل فيها من الأفعال و الحروف، و الذي ينبغي أن يُطرح كاستفهام لماذا خصَ الأسماء دون غيرها ؟

إنَ الذي يُمكن أنْ نُجيب به على السؤال المطروح أنَ القرآن خاطب العرب بأساليبهم اللُغوية، و لمَا كانت العرب في نظامها اللُغوي تُخاطب الرَجل - باعتباره يمتاز بمواصفات تكفي مَن ينضوي تحته - و تُريد به المرأة كذلك جاز قياساً على قوله تعالى أنَه أراد بالأسماء و خصَها وحدها كلفظ - باعتبارها أقوى من غيرها - : الأفعال و الحروف، و هو من هذا المنظور يعني بالأسماء اللُغة .

[15] - أحمد بن فارس بن زكريًا الرازي اللغوي، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م، ص 36 .

[16] - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، ص30 .

• - في هذا المقام يطلعنا الفكر الأصولي لحقيقة مُؤكدة مفادها أنَ المدرسة الأشعرية قد نشأت " في القرن الرابع للهجرة،و قد ساهم بتأسيسها تلامذة الأشعري،و هذه المدرسة ظلت مهيمنة عدة قرون على الدين الإسلامي ((السني))، و ناطقة باسمه في القسم الأكبر من العالم الاسلامي،و في القرن السادس للهجرة واجهت مصاعب كبيرة،و توقف نشاطها،و قد حاربها ((بنو بويه)) الشيعة في العراق و بلاد فارس،عندما كانوا أسياد الموقف في الدولة العباسية،و قبل ذلك ازدهرت و خاصة عندما سيطر السلجوقيون على الموقف في بغداد،و انتزعزا صلاحيات

تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني، و احتجوا عليه بقوله تعالى(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا) " [18]، فموقف الأشاعرة من الألفاظ و معانيها توقيفي من عند اللَّه، و هو ما تبنَّاه كثير من العلماء السنيين من باب التَّسليم بالنَّصِّ القرآني، فابن كثير(ت 774هـ) يُعقِب عليها بقوله: " و الصحيح أنَّه علَّمه أسماء الأشياء كُلَّها ذواتها و صفاتها و أفعالها كما قال ابن عبَّاس حتَّى الفسوة و الفسية يعني أسماء الذَّوات و الأفعال المكبر و المُصغر " [19] إلاَّ أنَّ الاختلاف الواقع بين العلماء إنَّما يكمن في الكيفية التي وُقفت عليها اللُّغة " لعلَّ ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة و في زمان واحد، و ليس الأمر كذا، بل وقف الله جلَّ و عزَّ آدم–

الخليفة العباسي،و في تلك الفترة كان ((نظام الملك)) وزيرا في دولة السلطان ألب أرسلان،و نظام الملك هذا قتل سنة 475هـ،و في حياته أسس مدرستين لتدريس علوم ((الأشعرية)) الأولى في بغداد و الثانية في نيسابور،و هذه العلوم أصبحت أخيرا مذهب الدولة الرسمي،أما نظام الملك فكان معدودا من العلماء،و محبا لمجالسهم،بعهد الخليفة العباسي ((المقتدي بأمر الله)) " .

(- فخر الدّين الرَّازي ، المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّين، تحقيق: عارف تامر، د. ط ، د. تا، ص 15 .)

إذا كان لكل اتِّجاه فكري أعلام و أقطاب فممَّن حملوا لواء الحركة الدينية الأشعرية : "الباقلاني،الاسفرائيني،السمعاني،الغزالي،ابن تومرت،الشهرستاني،فخرالدين الرازي،الجرجاني،الجويني،السنوسي أما ((أبو الحسن الأشعري)) فهو المؤسس لهذه الفرقة،و كان من تلاميذ ((أبو علي الجبائي)) المعتزلي ثم إنهما افترقا ."

(- فخر الدّين الرَّازي،المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّين، تحقيق: عارف تامر، مؤسسة عزّ الدّين للطّباعة والنَّشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1992 م، ص 16.)

و لقد بحث أعلام الأشاعرة في كثير من المسائل كتلك التي تتعلق بصفات الله و ممَّا توصلوا إليه في هذا المجال قولهم : " و هي معان أزلية قائمة بذات الله،و لكنها قالت بصفات جسمانية،فلله يد و عرش غير أن البشر لا يعرفون كيف هذه الصفات، كما لا يمكن تشبيهها بما عند البشر، و قالوا : برؤية الله لا على أن له مكانا و صورة و جسما،و إنما تتم الرؤية بمعرفة و إدراك عن طريق العين،و لكن الأبصار لا تتم بما يتم به عند البشر . و قالوا بالعدل – أي بالعدل الالهي – و نزاهة عن الشر و الظلم،فالله هو الذي يعفو عمن يشاء،و بمحض عدله و حكمته،و تفرعت من ذلك مسألة القبح و الحسن العقليين،التي ناقشتها ((المعتزلة)) فقالت : إن العقل يستطيع أن يدرك القبح و الحسن و لكنه لا يلتزم بذلك إلا إذا فرضه الدين،و يفضلون الدين على العقل،لأن الدين هو الأصل،و يقولون : إن أفعال الشر إضطرارية و إرادية ،فالإظطرارية لا يحاسب عليها المرء لأنها إرادية،أما الإرادية و منها الواجبات الدينية،و الفرائض الشرعية فيحاسب عليها عندما يكون هناك تقصير،و عادوا فقالوا : إن الأفعال كلها لله في الأصل،كما قالوا : بالجوهر الفرد و حدوث الأجسام،من الجواهر بقدرة الله،و بفناءها عند فناء هذه الجواهر . "

(- فخر الدّين الرَّازي،المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّين، تحقيق عارف تامر، ص 16.)

[18] - محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب ،2 / 191.

[19] - عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة و النَّشر و التوزيع بيروت لبنان، 1/ 127.

عليه السلام – على ما شاء أن يعلّمه إيّاه ممّا احتاج إلى علمه في زمانه، ثم علم بعد آدم– عليه السلام – من عرب الأنبياء–صلوات الله عليهم – نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد– ﷺ –، فآتاه الله– جلَّ و عزَّ – من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة، ثم قرَّ الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت، " [20] فالصاحبي في تفسيره لظاهرة التوقيف اللُّغوي يُقرُّ حقيقة مفادها أنَّ اللَّه – عزَّ و جلَّ – أوقف اللّغة على عباده تدريجياً من آدم– عليه السلام – إلى النبيِّ محمد – ﷺ – فاللُّغة العربية أنزل بها القرآن الكريم، فالتوقيف إذا حاصل في كلام اللَّه المُقدَس، و المُؤمن به يُسلِم بقدسية ألفاظه و معانيه، فهي من عند الله مِصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [21]، و تكون بذلك ظاهرة التَّوقيف للُّغة العربية قدْ بلغت أوْجها في القرآن الكريم، لذا رأى الصاحبي أنَّ الرَعيل الأوَل من الصحابة كان لا يحيد عمَّا نزل من القرآن على الرَغم من فصاحتهم، و هو ما وقفنا عليه في قوله: " و قد كان في الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – وهم البلغاء و الفصحاء – النَّظر في العلوم الشَّريفة ما لا خفاء به، وما عَلِمْناهم اصطلحوا [22]• على اخْتراع لُغة أوْ إحداث لفظة لم تتقدّمهم " [23] إنَّ الحكم باقتفاء لُغة العرب التي نزل بها القرآن من جيل الصَّحابة – رضوان اللَّه عليهم – كان يمثل بحقً خلفية ينبغي أنْ تتماشى و النَّظام اللّساني الذي أُنزل به القرآن بما احتواه من معان و حقائق تختلف باختلاف السياقات و الأحوال إلى أنْ استقرَّت الأوضاع و ثبتت دعائم

---

[20] - أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، ص37 .

[21] - سورة الحجر، الآية 9 .19

• - لقد انتقد محمد مصطفى رضوان رأي الصَّاحبي بقوله : " و لست أرى في هذا التَّدليل ما يقنع بتوقيفية اللُّغة؛ لأنَّ عدم اصطلاح الصحابة ربَّما كان راجعاً إلى أنَّهم وجدوا فيما اصطلح عليه غيرهم ممَّنْ تقدّمهم أو عاصرهم ما يكفي حاجاتهم،فانصرفوا عنه اكتفاء بمجهود المُتقدمين على أنَّ عدم اصطلاحهم هذا لا يُرجِّح لديهم جانب التَّوقيف؛ لأنَّهم لو كانوا يقولون به لصرَّحوا بذلك ثمَّ عارضوا غيره ."
(- محمد مصطفى رضوان ، العلاَّمة اللُّغوي ابن فارس الرَّازي، دار المعارف مصر 1971 م، ص 228 .)

[23] - أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها، ص 38.

الإسلام انصرفت اهتماماتهم إلى دراسة القضايا التي لها علاقة باللُّغة، و غيرها. (24•)

لعلَّ من بين التَّساؤلات الوجيهة فيما أشرنا إليه سابقاً و المتعلقة بألفاظ اللُّغة من الوجهة التَّوقيفية ما يلي :

– هل ألفاظ اللُّغة العربية الواردة في القرآن الكريم عرفت مستوى من الثبات في الواقع الاستعمالي لها، و بالأحرى لم تخرج عن القالب الشكلي، و المضمون الدَّلالي الذي ساير الأجيال المتعاقبة ؟

إنَّ هذا النوع من الطرح المتعلق بأصل اللُّغة و الذي حاولنا الإشارة إليه في جانبه الأوَل – التوقيفي – يجرَّنا الحديث فيه إلى الجانب المقابل، و هو ما يُعرف – بالاصطلاح أو التواضع –

لقد تعامل الكثير من أهل الاختصاص مع النَّظرية الاصطلاحية وفق خلفية متعدِّدة و مُتنوِّعة الأمر الذي جعل من مفهوم التواضع يختلف من باحث إلى آخر.

اللُّغة و مبدأ التواضع

إذا كان أصحاب النَّظرية التَّوقيفية قد استندوا في تعليل موقفهم من اللُّغة على النَّصِّ القرآني كدليل على التَّوقيف في قوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)، فمن روَّاد النظرية الاصطلاحية ابن جني(ت 392هـ) الذي ركَز على نفس سياق النَّصِّ

• - و من الرُّدود التي يقف عليها الباحث في هذا المجال، و التي يرى صاحبها أن استخدام حوادث العالم التي لا تنتهي لا تُمثل الدليل القطعي على التوقيف اللُّغوي،و بالتالي فهو " حُجَّة عليه لا لهُ،فإنَّ حوادث العالم المُتجدّدة لا تنْقضي،تحتاج إلى أسماء جديدة و تعبيرات جديدة تكون أوْفى بالدَّلالة و أحكم في الإبانة ..."
(- محمد مصطفى رضوان، العلاَّمة اللُّغوي ابن فارس الرَّازي، ص 229 .)

مُعتمداً على تأويله قائلاً : " وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضَع عليها، و هذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك مُحتملاً غير مُستنكر سقط الاستدلال به، " [25] و من التعقيبات على رأي ابن جني تلك التي وقف أصحابها على نفس النَّصَّ القرآني مُرجحين دلالة مُغايرة للفعل " علَّم" : " و معنى هذا أنَّ ابن جنّي يُفسِّر " علَّم "في الآية بمعنى " أَقْدَرَ " لا بمعنى " لَقَّنَ " كما فهِمَ ابن فارس وغيره من المُنادين بنظرية التَّوقيف، أيْ أنَّ الآية و هي الدَّليل على نظرية التَّوقيف تحتمل أكثر من معنى، و الدَّليل إذا تطرَّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول الأصوليون " [26].

إنَّ الذي يُلاحظ في شأن خروج دلالة الفعل" علَّمَ " إلى دلالة " أقدر " يعكس حقيقة مفادها أنَ الكلمة في الجملة يُمكن أن تأخذ عدَّة دلالات، و هو بذلك يقصد أنَّ عظمة الله – عزَّ و جلَّ – شاءت أنْ يُركب في الإنسان ما يُمكنُّه من تعلُّم ومُمارسة اللُّغة التي تمتاز ألفاظها بالتَّنوع الدلالي، و هو بهذا يميل إلى أنَّ اللُّغة تواضع .

من هذا المنطلق يعتقد ابن جني بأن اللغة تواضع و اصطلاح لا وحي و توقيف، و الذي يُؤيد منحاه هذا ما نواجهه من انشغالات في شأن الموضوع، فإذا سلَّمنا بتوقيفية اللُّغة نكون بذلك قدْ أضْفيْنا عليها طابع الكمال و يستحيل في ظلِّ هذا التقديس أنْ نقف على غير اللُّغة الأولى التي أوْحاها اللَّه تعالى لآدم – عليه السلام – و إذا كان الأصل في الألفاظ التي ترجع إلى تواضع المجتمع و اصطلاحه عليها، فإنَ هذه الظَاهرة تعكس حقيقة مفادها حتمية التنوُع اللُّغوي، و هي الحقيقة التي نقف عليها في شأن ما هو ثابت و ما هو مُتغيِّرٌ " فالموجود في الأعيان و الأذهان لا يختلِفُ باختلاف البلاد و الأمم بخِلاف الألفاظ و الكتابة، فإنَّهما دالتان بالوضع و الاصطلاح " [27].

---

[25] - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد ، 1 / 51 .
[26] - حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللُّغة ، دار المعرفة الجامعية 2005 م، ص 107 .
[27] - أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا دار المعارف بمصر 1991 م، ص 75 – 76 .

مثل هذه الأحكام من عالم كفيلة لتبرير مبدأ التواضع اللغوي، فواقع الكلام كما بيَّنه سيبويه [28] (ت 180هـ) منه " مستقيم حسن، و مُحال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو مُحال كذب، فأمَّا المستقيم الحسن، فقولك : أتيتك أمس، و سآتيك إذا، أما المحال فأن تنتقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، و سآتيك أمس، و أمَّا المستقيم الكذب، فقولك : حملت الجبل، و شربت ماء البحر و نحوه، و أمَّا المستقيم القبيح، فأن تضع اللَّفظ في غير موضعه، نحو قولك : قد زيداً رأيت، و كي زيد يأتيك " [29] مثل هذا التَّنوُّع في الأساليب اللُّغوية تجسيد فعلي على أنَّ اللُّغة اصطلاح، و هي تختلف من بيئة إلى أخرى، و من فرد لآخر، و للأسرة و المجتمع الأثر البالغ في ترسيخها، و هو ما أقرَّه علماؤنا حيث أثبتوا أنَّ اللَّغة تُؤخذ " اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه و غيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرَّ الأوقات، و تُؤخذ تلقنا من مُلقنَ، و تُؤخذ سماعا من الرَّواة الثقاة ذوي الصَّدق و الأمانة ، و يُتَّقى المظنون " [30] .

إنَّ الذي يُمكن قراءته و استخلاصه من قول ابن فارس أنَ الأصل فيما يُنقل من ألفاظ و أفكار قد يُحوَّر و يُبدَّل نتيجة تعارف المجتمع على ذلك، و بالتَّالي " فاللُّغة ليست مُجرَّد مادَّة هامدة كالحجر، و إنَّما هي ذاتها من إبداع الإنسان، و لذلك فهِي مشحونة بالتُّراث الثَّقافي لكلِّ مجموعة لُغوية . " [31]

و عن الكيفية التي بِها تمَت عملية الاصطلاح بيَّن ابن جنِّي أنَّ الحاجة إلى التَعبير تستدْعي ضبط الأشياء بمسميات يُتَّفق عليها كأنْ " يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ،فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكلً واحدة منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف به ما مسماه، ليمتاز عن غيره، وليُغني بذكره عن إحضاره إلى مَرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله...

---

[28] - أبو بشر عمرو بن عثمان أكبر نحاة العربية،بسَّط النحو العربي في مؤلَّفه "الكتاب " وروى الكثير عن شيخه الخليل.

[29] - سيبويه،الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية 1983م، 1 / 25- 26 .

[30] - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ص64 .

[31] - رينيه ويليك و أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدّين صبحي، المؤسَّسة العربية للدِّراسات و النَّشر،بيروت الطبعة الثالثة ،1987 م، ص 21 .

هذا مِمَّا هو جار في الاستحالة و البُعد مجراه فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني ادم، فأومؤوا إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان، فأيَّ وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، ...

فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها، وهلمَّ جرا فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف،" [32] مثل هذا التَّخريج في تفسير بداية اللُّغة الإنسانية الذي بيَّن صاحبه أنَّها ناتجة عن اتِّفاق و تفاهم هو أقرب إلى التأقلم مع الطبيعة الاجتماعية للإنسان، و أنَّ مصدر اللُّغة هو الطبيعة الخارجية التي تفرض اتفاق أفراد المجتمع على مسميات يغني استعمالها حضور الشيء .

و ممَّا يستدعي التريث في شأن واقع اللغة أنَّها من عند الله تعالى فهي على الرَّغم من تلازمها لواقع البشر، فإنَّها لا تخلو من صفات النَّقص و الكمال المُجسد في المنجز الكلامي بين البشر فيما بينهم تماماً الأمر الذي دفع بصاحب التفسير الكبير أنْ يُشير إلى هذه الحقيقة " و قال أبو هاشم : إنَّه لا بُدَّ من تقدُّم لُغة اصطلاحية، و احتجَّ على أنَّه لا بُدَّ وأنْ يكون الوضع مسبوقاً بالاصطلاح بأمور، أحدها: أنَّه لوْ حصل العلم الضروري بأنَّه تعالى وضع هذه اللَّفظة لهذا المعنى لكان ذلك العلم إمَّا أنْ يحصُل للعاقل أو لغير العاقل؛ لأنَّه لو حصل العلم الضروري بأنَّه تعالى وضع ذلك اللَّفظ لذلك المعنى لصارت صفة الله تعالى معلومة بالضرورة مع أنَّ ذاته معلومة بالاستدلال، و ذلك مُحال و لا جائز أنْ يَحْصُلَ لغير العاقل؛ لأنَّه يبعد في العقول أنْ يحصُل العلم بهذه اللُّغات مع ما فيها من الحِكم العجيبة لغير العاقل، فثبت أنَّ القول بالتَّوقيف فاسد..." [33] و هو بهذا المنحى يبرِّر موقفه الاصطلاحي اتجاه اللُّغة، و لو كانت فِعلا توقيفية لتساوى فيها جميع خلقه، و هو ما ينفيه الواقع التَّواصلي بين النَّاس.

إذا كان الفكر البشري هو الرافد لتطور المجتمع، فإنَ اللُّغة ترجمان ذلك فهي تعكسه، إذْ كُلَما وقفنا على تطوَّر مجتمع ما إلاَّ و تجلَّتْ لنا تطور لغته حيث أنَ " إتباع اللُّغة للتطور الاجتماعي الذي يُصيب الأمة و ضرورة الوقوف على مراحل هذا التطور تمهيداً للتَّحليل الأصيل للنَّصّ بما يُبين قدرات اللُّغة و إمكاناتها و تعبيرها عن الفكر

---

[32] - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 54/1.

[33] - محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب ،2 / 191.

مهما اختلفت ألوانه واتجاهاته " [34]، ففي ظلّ تنوع العصور من القوة إلى الضعف، و ما أُلِف فيها من نصوص بلغة تختلف حسب طبيعة المجتمع دليل على أنَ اللّغة ترجمة فعلية لواقع المجتمع من حيث الرّقي الفكري و الاجتماعي.

مثل هذه الحقيقة القائمة بين اللغة و الفكر و المجتمع تعكس رابطة قوية بين هذه العناصر، إذْ يستحيل أنْ نقف على تطور مُجتمع دون تطوّر في لغته، فهي من هذا المنظور نابعة من المجتمع و مُتأثرة به، تزدهر بارتقاء المجتمع، و تضعف و تنهار بضعفه، تلك إذاً هي حقيقة اللغة التي تنهل من واقع أفرادها " ولعل أعمق دراسة ظهرت في القرن الثامن عشر هي التي قام بها المفكر الألماني "هيردر"1774-1803(Herder) عندما صدر كتاب له تناول فيه موضوع أصل اللغة فنال به جائزة أكاديمية برلين، وقد تصدى بادئ ذي بدء لهدم الاعتقاد الراسخ في زمانه من أن اللغة لم يبدعها الإنسان، بل هي هبة من عند الله، وملكة غرسها في نفسه، فدحض حجج من يرى هذا الرّأي قائلا بان اللغة لو كانت من عند الله، لكانت أقرب إلى المنطق، وقوانين العقل مما هي عليه، فاللغات لا يتحكم فيها قانون الاطراد، بل إن الأمثلة التي تشذّ فيها عن القاعدة أكثر من أن تحصى، وهذا دليل على أنها من وضع الإنسان [35] .

إنّ تركيز الباحث في الحقل اللّغوي على تنوّع القواعد و الأساليب اللّغوية من الأدلّة التي يمكن من خلالها الحكم على أنّ اللّغة تواضع و اصطلاح باعتبار أنَ ما هو توقيفي يمتاز بالكمال و الثبات .

و تبقى اللّغة عند الإنسان من أهمّ ما يُميِّزه عن بقية الكائنات، و اكتسابه إيّاها " يرجع إلى غريزة زوّد بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع، كما زوّد باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة،

---

34 - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المُستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلاء، شركة الطباعة الفنية المُتحدة، طبعة 1971 م، ص 270 .

35 - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الطبعة الثانية 1980م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص28- 29.

" [36] و هو كذلك نتيجة الانتماء الاجتماعي الأمر الذي أكَّده إبراهيم أنيس حيث رأى أنَّ " الحياة الاجتماعية منذ نشأة الإنسان هي التي ساعدت إلى حدٍّ كبير على نمُوّ لُغته، ولكنَّ العامل الأكبر لرقيّ هذه اللُّغة و بلوغها ما بلغت هو ما امتاز به الإنسان من ذكاء لم يُشركه فيه غيره من الحيوانات، فكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية، و لها من الحناجر ما تستطيع به التَّصويت بأنواع مُتباينة من الأصوات، ولكنَّها لم تستطع أنْ تنْطِق كما نطق الإنسان، لأنَّها لم توهب القُدْرة العقلية الكافية أو الاستخدام الفطري لتُكوِّن من تلك الأصوات لُغةً لها" [37] .

إذا كان للإطار الاجتماعي الأثر البالغ في التَّوريث اللُّغوي نتيجة العلاقات و التواصل بين أفراد المجتمع الإنساني الذي يبدو أثره في إنشاء اللُّغة بادياً ، " فوجود اللِّسان ((اللُّغة)) يختلف بالأعصار و يتفاوت في عادة أهل الأمصار... و الألفاظ عبارة عن الحروف المقطعة الموضوعة بالاختيار الإنساني للدّلالة على أعيان الأشياء ... و يُقال سمَّى فُلان ولدَه إذا وضع لفظاً يدُلُّ عليه و يُسمَّى وضعُه تسمية ..." [38] ، فإنَّ ما أكرمنا به اللَّه – عزَّ و جلَّ – من سمع، و بصر، وعقل ساعد كثيراً على ترقية الفعل الكلامي، و ميَّز بذلك الإنسان عن سائر مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[39] و ممَّا استخلصه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية قوله : "... و جعل له سمعاً و بصرًا و فؤاداً يفقه بذلك كلَّه و ينتفع به، و يفرِّق بين الأشياء ... " [40] .

---

36 - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة ، ص37.
37 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية 1999 م، ص 14 .
38 - الغزالي أبو حامد ،المقصد الألسني في شرح أسماء الله الحُسنى ،مكتبة الجندي القاهرة 1968 م، ص 11 .
39 - سورة الإسراء، الآية 70 .
40 - لإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4 / 328 .

إنَّ التَّمييز بين الأشياء في ظلِّ عدم حضورها لنْ يتمَّ إلاَّ بواسطة اللُّغة التي بدورها لنْ تُفهم بين الجماعة التي تُنْجزها إلاَّ إذا كانت قد تعارفت [41•] عليها .

إنَّ احتدام النِّقاش حول موضوع أصل اللغة يعكس أهميته، و هو ما نتج عنه انقسام العلماء نتيجة اجتهادهم في هذا المجال حيث " استمر الخلاف بعد عصر ابن جنِّي وابن فارس بين علماء اللغة و أهل الكلام و كان يدعى أحيانا بأن يقف بعضهم موقفا وسطا بأن اللغة بدأت توقيفية ثم انتهت إلى الاصطلاح و المواضعة ،و هكذا نرى أن علماء العرب لم يهتدوا إلى رأيٍ يجمعون عليه أو يُرجحونه بصدد النشأة اللغوية [42].

و لعلَّ الصُّعوبة في ذلك مردُّها إلى أنَّ البحث في مجال اللُّغة يقتضي جملة من الآليات التي لا يُمكن أنْ تُتاح لجميع الباحثين، فالدِّقة و بعد النظر و تصوُّر الأزمنة الغابرة من خلال النُّصوص اللُّغوية كُلِّ هذه وسَّعتْ في الهُوَّة بين الباحثين، ناهيك عن اختلاف المرجعية العقائدية و اللُّغوية في أوساط الباحثين و عدم

• - و في هذا المنحى يُبرِّر حنفي بن عيسى مفهوم الاصطلاح اللُّغوي قائلاً : " والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء،ثم عرضها على آدم ليرى كيف يُسميها وليحمل كلّ منها الاسم الذي يضعه له الإنسان،فوضع آدم أسماء جميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول ".
(حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص19.)
و هو بذلك يُؤكد حقيقة الخلق الإلهي للأشياء،ثُمَّ بسطها لآدم – عليه السلام- قصد تسميتها فاللُّغة من منظوره في أصلها نابعة من البيئة الاجتماعية الرَّاقية، فهي تعارفية اصطلاحية، و أيُّ تعارض مع ما هو معروف،و مُتداول قد يقصي صاحب القول من الحيِّز التَّواصلي،و هو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس في تحديد معالم الخطاب النَّاجح في قوله : " و ليؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة،وليترك سامعيه مشدودين مُعجبين بقوله و بلباقته،كان عليه أنْ يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجة من اللَّهجات،و أنْ يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها،و ألفوها جميعاً،كذلك كان لابُدَّ لأولئك الشُّعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن يُنظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة،لينال إعجاب سامعيه،و لا يكون موضع سخريتهم و هزئهم،و إلاَّ فكيف كان من الممكن أنْ يُفضَّل شاعر على شاعر في تلك المُناظرات إذا كان المقياس مُختلفاً،و أداة القول مُتباينة ".
(- إبراهيم أنيس، في اللَّهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 36 .)
إنَّ حسن التَّموقع في الوسط اللُّغوي للجماعة يُكسب الكلام فهماً حيث يَسْهُل تلقيه لا لشيء إلاَّ لكون أنَ مثيله معروف،و مُتَّفق عليه،فهذا التَّنوع و الاختلاف الحاصل في البنية و الدلالة اللُّغوية يُجسد حقيقة الاصطلاح،و يبقى البحث في هذا المجال إلى يومنا هذا جدير بالتَّنقيب لاعتبار واحد هو أنَّ العلماء لم يُجمعوا رأيهم،فمنهم مَن مال إلى التَّوقيف،و منهم مَن أيَّد الاصطلاح،و منهم مَن وقف موقفاً وسطاً بينهما،فالجاحظ (ت 255هـ) يرى انَّه " إذا كان العرب يشتقون كلاما من كلامهم،و أسماء من أسمائهم،و اللغة عاربة في أيديهم ممن خلقهم و مكنهم،و ألهمهم و علمهم،و كان ذلك منهم صوابا عند جميع النَّاس،فالذي أعارهم هذه النعمة أحقُّ بالاشتقاق،وأوجب طاعة،و كما أنَّه له أن يبتدئ الأسماء،فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أحبَّ فقد سمَّى كتابه المنزل قرآن،و هذا الاسم لم يكن حتَّى كان ."
(- الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،1 /348 .)
و هو بذلك ينح منحى وسطاً بين التوقيف و الاصطلاح .
[42] - أنظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص20 .

توفر العيِّنات لبعد الحقبة الزمنية بين عصرنا و العصور الأولى، و بذلك تكون " قضية التَّوقيف و الاصطلاح من أهمّ قضايا التَّفكير اللُّغوي و الدّيني عند العرب القدامى و لقد رجح عندهم ردهة من الزَّمن – في قرب عهدهم بالإسلام – القول بتوقيفية اللُّغة و إنْ استقرَّ عندهم تدريجياً بعد ذلك طابعها الاصطلاحي" [43] ، و هو ما وقف عليه علماء اللُّغة العربية في العصور الأولى حيث كان موقفهم في غالب أحواله يميل إلى التوقيف، و بعد استقراء النُّصوص و التَّمعن فيها أصبحت نظرة الكثير منهم تميل إلى أنَّ حقيقة اللُّغة تواضع و اصطلاح .

و مِمَّا اطَّلعْنا عليه في هذا المجال فريق آخر وقف مَوقفا يكون أقرب إلى المعقول حيث رجَّح حقيقة أصل اللُّغة في الجانب الاصطلاحي كما لم ينف بداية أصولها بشيء من التوقيف، و هو موقف وسطي بين التَّوقيف و الاصطلاح، حيث " اختلف العلماء في أصلها، فقال فريق منهم إنها وحي و توقيف، و قال فريق إنها تواضع و اصطلاح و رآها فريق آخر على الاثنين معا، و أجدني – سنداً لعمرٍ سلختُ شطره الأكبر في الدراسة والمقابلة و البحث – أميل إلى أنها تواضعٌ و اصطلاحٌ أكثر مِمَا هي وحي و توقيف و أعني أنها(تواطئية) لا (توقيفية) إلا ما شاء الله تعالى من توقيفٍ لألفاظ معلومات لم تأتِ بالتواضع و الاصطلاح .. " [44] .

إنَّ معقولية هذا المنحى يُمكن للواحد مِنَّا أنْ يتصوره، فكما هو الشأن بالنسبة للسويٍ من البشر الذي لا يُمكن أنْ يهتدي إلى التفكير المنطقي دون توظيف العقل، كذلك هو الشأن بالنسبة للمتكلم الذي لا يُمكنه أنْ ينطق و يستفيض في الحديث و هو يشكو خَللاً في جهازه النطقي، و لمَّا كانت هذه و غيرها من النِعم التي أنعمها الله – عزَّ و جلَّ– على عباده، و تسليما مِنَّا بالنَّص القرآني (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا) كيفما

---

[43] - الهادي الجطلاوي، قضايا اللُّغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، دار محمد علي الحامي الجمهورية التُّونسية،ص254.

[44] - شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة نوادر و مدهشات علمية و يتضمن الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية، دار صادر بيروت،الطبعة الأولى 2000م، ص 11.

كانت دلالة الفعل (علَم) بـ " أقدر " أو بـ " لقن " فحكمة الله – عزَ و جلَ– تقتضي هذا الإمداد مثلما اقتضت مع سيِّدنا نوح إمداده بالكائنات تمكينا له ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ *(45)*، و هو إذ نحا هذا المنحى في شأن اللُغة يكون بذلك قد سلَم بالنَص القرآني المُنزَل على سيدنا محمد– ﷺ – ولاعتبار آخر و هو أنَ سيدنا آدم – عليه السلام – أب الأنبياء و البشرية شاءت قدرة اللَه– عزَ و جلَ– أنْ تخصَه بالرِعاية الكاملة بما في ذلك الجانب اللِساني، فعلَمه الكثير من الأسماء و عليه تبقى غالبية اللغة من صنع الإنسان نتيجة الحاجة باعتبارها مجموعة من " الألفاظ الدَالة على المعاني و طريقها الكلام و الكتابة، و بهذا الاعتبار تختلف صيغُها باختلافِ الأُمم و درجات علومهم و تمدُنِهم بما هي مجموعةٌ من الرُموز الاصطلاحية في مفرداتها، و مجموعة من القواعد النَحوية الاتفاقية في ضبط تلك المفردات، فهي – لهذا – لا تخضع لمنطق عقليً عام، لأنَها اصطلاحية اتفاقية، و قُلْ معي (تقليدية موروثة) و أعني به أن اللُغة من الأمور الاعتبارية، و الأمور الاعتبارية لا يُشترَطُ فيها أنْ تكون عامَة بين الأُمم جميعاً " *(46)*، فمثل هذه الاختلافات الحاصلة في الشأن اللُغوي و المجسدة في اختلاف صيغها و أساليبها و أنظمتها بمثابة تبرير لاصطلاحها بين النَاس .

نشأة اللغة

إذا كانت الصفحات السابقة قد حاولت بالقدر المُستطاع تبيان البعد المعرفي و الفكري لواقع اللُغة، و هي تُحاول أنْ تُعطي لكلِ جانب حقَه من البيان و الشَرح سواء ما تعلَق الأمر بالتَوقيف أمْ بالاصطلاح، فلا ضير من أنْ نبسط القول عن الطبيعة التي نشأت في ظلِها اللُغة العربية مولينا الاهتمام البالغ إلى البيئة و تلك السياقات التي من

---

45 - سورة المؤمنون، الآية 27 .

46 - شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة نوادر ومدهشات علمية ، ص9 .

شأنها إبراز الخلفية المعرفية و المنهجية لنشأة اللُّغة، و مِمَّا جاء على لسان حال أهل الاختصاص أنَّها قدْ نشأت " ضعيفة محدودة في ألفاظها وتصرفاتها؛ لأنَّ مظاهر الحياة آنذاك كانت محدودة، وفي غضون قرون عديدة تشعبّت حاجات أهلها وكثرت متطلباتهم تبعا لنموّهم المطرد وتنقلاتهم في موطنها (شبه الجزيرة العربية)، " [47] فحاجة الإنسان إلى اللُّغة قد تبدأ بسيطة تبعا لبساطة البيئة، و كُلَّما توسعت هذه الأخيرة احتاج أهلها إلى ألفاظ جديدة، فتتولد بذلك اللغة نتيجة تلك الحاجة، إلاَ أنَّ الذي يُمكن الوقوف عنده هو أنَ اللُّغة لا يُمكن حصرها سوى في الألفاظ المجسدة لأسماء واقعة في البيئة المادية التي نحياها بل اللُّغة أوسع من ذلك، و إلاَ كيف يمكن أن نُفسر تاريخ اللُّغة العربية الغني في ظل واقع مادِّي بسيط ؟

و ما يراه إبراهيم أنيس في هذا المجال جدير بالتَنويه حيث يقول "و لا شكَّ أنَّ الألفاظ العربية في بدء نشأتها، و لا ندري متى كانت هذه النَّشأة، قد قصد بها أنْ يعبِّر كلّ لفظ عن معنى مُعين، و أنْ تكون له دلالته المستقلة، ومهما قيل عن نشأة الألفاظ في لغة الإنسان الأول، لا نستطيع أنْ نتصور أنَّها يُمكن أنْ توجد في عصورنا التَّاريخية إلاَّ حين تدعو الحاجة إليها، بعد أنْ استقرت اللغة الإنسانية، و أصبحت مُهمتها الأساسية أنْ تتخذ وسيلة التَّفاهم بين أفراد المُجتمع " [48] .

إنَّ التوسع اللغوي، الذي ينتج عنه ذواب لغة أو أكثر في لغة أُخرى يرجع إلى أسباب لها علاقة ببيئة اللغة وقدرتها على تلبية المواقف الخطابية، ففكرة توحيد القرآن الكريم للهجات العربية يعكس بحقٍ غِنى اللغة العربية و توسعها بنشر الإسلام، و قد أرجع علي عبد الواحد وافي نشأة اللغة إلى" المجتمع نفسه، و إلى الحياة الاجتماعية" [49]، فحركية المجتمع و تطوره الشامل لا يتم في معزل عن اللغة، بل تعدّ من أساسياته ممَّا يُيسِّر

---

[47] - بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006 م، ص 19.

[48] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 210 .

[49] - على عبد الواحد وافي، نشأة اللغة، ص 29 .

عملية الإبداع اللغوي من خلال استحداث الألفاظ " فاللغة ليست واقعا ذهنيا مجردا لا رابط يربطه بالواقع الاجتماعي، فللكلمة قوتها الخاصة في أداء الأعمال وانجازها، وهي _ أعني الكلمة _ إن فقدت فعلها في الحياة الاجتماعية فلا يمكن لعمل إنساني أن ينجز، أو أن يؤدي على النحو الذي تكون فيه تأدية العمل فاعلة في حركة الإنسان داخل المجتمع الذي يعيش، " [50] فتثرى بذلك اللغة وتتوسع وتنتشر بفعل عملية التدوين، وهو ما يمكن تأكيده في الكلمات ومعانيها الجديدة الذي " يأتي الاعتراف متأخرا بعض الوقت، و يكون ذلك بطريق تسجيلها في المعجم " [51•] .

إن تحولات المجتمع و حركيته [52•]، تُفرز توسّعاً في القاموس اللغوي حيث تتجلى إلى الوجود ألفاظ جديدة، كما يتمّ التوسع في دلالة ومعاني بعضها الآخر، فيقع ما يعرف بالاتساع اللّغوي، على أساس أنّ " اللغة العربية لغة تتغير فيها الدلالات بتغير بنية الكلمات فكلمة " علم " يمكن أن تكون مصدرا، و فعلا ماضيا وفعلا مضارعا، و

---

50 - هادي نهر،علم اللّغة الاجتماعي عند العرب، ص67.

• جاء في لسان العرب : "العُجْمُ و العَجَمُ : خِلافُ العُرْبِ و العَرَبِ،يعْتقبُ هذان المِثالان كثيرًا،يُقالُ : عَجَمِيٌّ وجمعه عَجَمُ،و خِلافُه عَرَبيٌّ و جَمْعُهُ عَرَبُ،و رَجُلٌ أعْجَمُ،و قوم أَعجمُ،قال :

سَلومُ،لو أصْبَحْتِ وَسَط الأعْجَمِ

في الروم أو فارسَ،أو في الدَّيْلَم

إذًا لزُرْناكِ ولو بسُلَّم

وقوْل أبي النجم :

وَطالمَا وَ طالمَا وَ طالمَا * غلبْتُ عَاداً،وغلبْتُ الأعْجَمَا !**

قال ذو الرمة :

ولا ترى مثلها عُجْمٌ و لا عَرَبٌ

فأراد بالعُجْمِ جَمْعَ العَجَمِ ؛ لأنه عطف عليه العَرَبَ. قال أبو إسحاق : الأعْجَمُ الذي لا يُفْصِحُ،و لا يُبيِّنُ كَلامَهُ وإنْ كانَ عَرَبيَّ النسَبِ كزيادٍ الأعْجَمِ ؛ قال الشاعر :

مَنْهَلٌ لِلْعِبادِ لا بُدَّ مِنْهُ * مُنْتَهى كُلِّ أَعْجَمٍ و فَصِيحِ**

(- ابن منظور، لسان العرب المحيط، مادة (عجم)،1 / 2825 .)

• - مِمَّا يراه شوقي حماده في هذا المجال أنَّ " حياة الإنسان لا تستقرُّ على حال، فعلومه تتطور و أفكاره تتسع و حضارته تتقدم، و حياته الاجتماعية و الاقتصادية تتعقد، و هذا يعني أنَّه يطرأ في حياة الإنسان معاني جديدة تتطلب وضع ألفاظ لها، لهذا يلجأ الإنسان إلى لُغته بمفرداتها و قواعدها يستعين بها، فيجعل لهذه المعاني ألفاظاً أوْ ينقلُ ألفاظاً من معانيها الآفلة إلى هذه المعاني الماثلة التي تدلُّ عليها ..."
(- شوقي حماده، مُعجم عجائب اللّغة ، ص9.)

أمر، و أن تدلَ على الراية، أو تضاف إلى اسم بعدها لتدل على اسم لمادة خاصة مثل: " علم الحساب " ... إلى آخره، و يشتق منها أوزان جديدة، كاسم الفاعل، واسم المفعول، و صيغة المبالغة، و اسم الزمان و المكان و اسم التفضيل ... و هكذا ... يبرز مع كل تغيير جديد في الكلمة معنى جديد، و تعبّر هذه الظاهرة عن ثراء اللغة و اتساعها للتعبير عن مختلف المطالب و الحاجات " [53] ، فبهذه الصيغ و هذا التنوع في اللَفظ الواحد أصبحت اللّغة العربية على درجة من التَوسّع الأمر الذي يوحي لنا أنَ نشأتها تمَت في بيئات شبه متفاوتة في الاصطلاح اللغوي "حيث كانت خير وعاء يعكس و يتضمن هذا الرَّكب الحضاري الهائل و ما جدَّ فيه من معارف عديدة، كما أنَّه لمْ يصبها عجز و لا عقم على استيعاب كلّ ذلك، فقد استطاعت أنْ تحوي حضارة اليونان و الفرس و أنْ تكون الأداة طيِّعة لتقبل كلِّ ما جدَّ على السَّاحة اللُّغوية آنذاك " [54] .

إنَ غِنى اللُغة العربية يرجع في أساسه إلى عنصر النشأة في البيئة العربية التي احتضنتها حيث مكنها ذلك من احتواء حضارات الأمم السابقة مِمَا أفادها في التَوسُع و الإثراء .

جمع اللغة

إنَ حقيقة اللُغة العربية في قرونها الأولى جسَدت السليقة في تعلمِها و التعامل معها بين أفراد المجتمع، فلم تدع الحاجة آنذاك إلى ما ينتاب لغتهم فيما بينهم من استعصاء في فهم الألفاظ نتيجة البديهة في القول، و الانجاز الذَاتي و الآني للملفوظ اللُغوي، و لعلَ من أسباب ودواعي جمع اللغة ما له علاقة بالقرآن الكريم، و هو ما رآه الكثير من الباحثين في هذا المجال " و لاشكَّ في أنَّ غريب القرآن كان حافزاً من أهمّ الحوافز لجمع اللُّغة العربية إضافة إلى الدوافع المعروفة المنسوبة إلى الأجداد و المتمثلة خاصة في حفظ لغة القرآن من الاندثار و التلاشي لتفشي اللَّحن و مُخالطة الأعاجم " [55].

بالإضافة إلى حرصهم على تذليل الألفاظ الصَعبة الواردة في القرآن الكريم بات لزاما عليهم من الرُجوع إلى كلام العرب لمعرفة دلالته قصد فهم المعاني التي استغلقت عليهم، هذا فضلاً عن تقويم اللِسان و تعديله نتيجة ما أصبح عليه من العلل بفعل

---

[53] - علي أحمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة دار الفكر العربي 2000م، ص 38- 39 .
[54] - عبد الحميد بوفاتيت، اللّغة مستويات، مجلّة آمال،العدد 55،1985 م، ص 66 .
[55] - الهادي الجطلاوي، قضايا اللُغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، ص 53 .

مُخالطة الأعاجم للمسلمين و " لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها و ماضي جاهليتها، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا و أقبلوا إليه أرسالا [56] و اجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، و اللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية ... حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم و فساد كلمتهم، إلى أن سببوا الأسباب في تقْييدها لمن ضاعت عليه و تثْقيفها[57] لمِنْ زاغت عنه.[58]

إنَّ صفاء اللسان و سلامته تزدهر في ظلِّ الأحادية اللغوية، فالعربي في العصر الجاهلي و بداية العصر الإسلامي عرف ظاهرة الاكتساب اللغوي البديهي، و نظرا لعالمية الرسالة المحمدية استجاب لدعوتها الأعاجم، فكانت نتيجة ذلك أن تأثر اللِّسان العربي بما أصبح مُتداولا من سلوكات لُغوية غريبة عن العربية، ففشت ظاهرة اللَّحن بين أوساط المسلمين العرب، و لوضع حدٍّ لها اجتهد العلماء في الرجوع إلى أصلها و نبعها .

إن ميلاد الدراسة اللغوية العربية [59•] كان مُبكِّرًا، و قد ساير التحوّل الكلِّي للمجتمع العربي في قرونه الأولى ،" فحين نُنْشد التقصي لظاهرة العلوم اللغوية لدى المسلمين نجد أن القرن الأوّل الهجري كان قرن افتخار فكري رائع،ظهرت فيه الدراسات اللغوية المتعددة للغة العربية الفصحى"،[60] و لعلَ خوض علماء اللُغة آنذاك و تحملهم لعبئ الدَرس اللُغوي منذ القرن الأوَل يُجسد حقيقة ارتباط اللُغة و البحث فيها بما يخدم الدين الإسلامي من خلال معرفة دلالة ألفاظه لفهم آياته، لِذا فقد تولَى عملية جمع اللُغة

---

56 - أرسالا : أي طوائف .

57 - و تحقيقها .

58 - أبو بكر محمد بن الحسن الزوبيدي الأندلسي، طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق: محمد بن أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر 1973م، ص11 م .

• - و هي الحقيقة التي جاءت على لسان الكثير من العلماء و الباحثين منهم محمد حسن باكلاً حيث قال : " كان للعرب دورٌ كبيرُ مشهودٌ في تطوير الدراسات اللُغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجري،فقد ساهم رواد البحث اللغوي بدءا بأبي الأسود الدؤلي (ت 79 هـ \ 689 م) ومرورا بالخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ _ 170 هـ \ 718م – 787م) وتلميذه سيبويه (ت 180 هـ \ 797م) و أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ \ 1002م) و غيرهم ممن ساهموا ليس في خدمة اللغة العربية فحسب بل و في تطوير البحث اللغوي ككلّ " .
(محمد حسن باكلاً و آخرون، معجم مصطلحات علم اللُغة الحديث، مكتبة لبنان،الطبعة الأولى 1983م،ص .ز.)

60 - نشأة ظبيان، العلوم اللغوية في سنا الإسلام، مجلة الفيصل،العدد 87 رمضان 1404هـ يونيو 1984م، ص113.

من البوادي العربية ثُلَة من العُلماء (61•) و قد اقتضت عملية الجمع من علمائنا- في بداية الأمر- منهجية أولية حيث قاموا بضبط المداخل المعجمية وِفق نظام مبني على الموضوعات المعالجة، و ذلك لاقتضائها في تلك الحقبة بغية ضبط الموضوعات من جهة و التَّحكم في محتوياتها من جهة أُخرى .

لقد رُوعي في عملية الجمع اللغوي الجانب التقني في تصنيف البيئات، و السعي الحثيث في التعامل معها للمحافظة على بلوغ أساس اللغة العربية الأصيلة، و هو ما تمَّ من خلال تعاملهم الموضوعي مع الظاهرة حيث كان لزاما على علماء اللغة أثناء تعاملهم مع جمعها أن يُركزوا على البادية باعتبارها الحيِّز الرسمي و المحافظ على ألفاظها، (62•) و هو ما جسَده عُلماؤنا – و لا يزال يُجسِّدُ – في العمل المُعجمي الذي خضع في بداية مطافه إلى الواقع الفعلي للُّغة من خلال عملية الجمع التي شملت بعض البوادي العربية .

و لمَا أُشكل الأمر على المسلمين في الألفاظ الواردة في آيات الذِّكر الحكيم تتبَّع علماء اللُّغة آنذاك هذه الإشكالات، و سعوْا إلى تذليلها، و إزالة الغموض عنها؛ إلاَّ أنَّ هذه الاجتهادات لم تسلم من الانتقاد، و من المآخذ التي وقف عليها

• - ومن الأوائل الذين اهتمُّوا بعملية الجمع " الأصمعي عبد الملك بن قريب (214 هـ) نشأ بالبصرة،و قدِم بغداد في أيَّام الرَّشيد،ثمَّ عاد منها إلى البصرة لمَّا ولى المأمون ...

و قد ذكر له ابن النَّديم في كتابه الفهرست نيفاً و أربعين كتاباً في موضوعات مُختلفة ذهب معظمها،و مِمَّا بقِيَ لهُ : (ا) الأصمعيات، مجموعة مُختارة من الشّعراء . (ب)رجز العجاج . (ج) أسماء الوحوش، (د) كتاب الإبل . (هـ) خلق الإنسان . (و) الخيل . (ز) الشَّاة . (ح) كتاب الدّارات . (ط) الفرق . (ى) النَّبات و الشَّجر . (ك) النَّخل و الكروم . (ل) الغريب "

(ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (213هـ - 276 هـ) المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، الطبعة الثانية،دار المعارف مصر،د.تا،ص 14 .)

ولم يتوقف هذا العمل على الأصمعي فحسب بل تعدَّاه ليتبنَّاه كذلك " أبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (215 هـ) نشأ بالبصرة وقدم بغداد حين قيام المهدي ومن كتبه التي بقيت لنا : (ا) كتاب النَّوادر في اللُّغة . (ب) المطر . (ج) اللَّبن " (ابن قتيبة، المعارف ،ص 15 .)

• - و في هذا المقام يرى محمد عابد الجابري أنَّ " جمع اللغة من الأعراب،دون غيرهم معناه جعل " عالم" هذه اللغة محدودا بحدود عالم أولئك الأعراب،ولما كان هؤلاء يعيشون حياة حسية بدائية فلقد كان لابد أن ينعكس كل ذلك على لغتهم وبالتالي على " العالم " الذي تقدمه اللغة التي جُمعت منهم وقيست بمقاييسهم،ومن هنا لا تاريخية اللغة العربية وطبيعتها _ الحسية إن " العالم" الذي فيه نشأت هو عالم حسي لا تاريخي عالم البدو من العرب الذين يعيشون زمنا ممتدا كامتداد الصحراء "

(محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة دراسات .. و مناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 1991م، ص 144.)

بعض المفكرين منهم محمد علي الجابري و التي وجّهها إلى الخليل كونه قد تعامل مع اللغة من الإمكان الذهني لا من المعطى اللُّغوي " لقد كان من الطبيعي، والحالة هذه أن ينتهي الأمر إلى تحكيم " القياس " بدل السماع، الشيء الذي جعل اللغة المعجمية لغة الإمكان لا لغة الواقع: فالكلمات صحيحة لأنها ممكنة وليس لأنها واقعية، وهي مُمكنة مادام هنالك أصل يمكن أن ترد إليه أو نظير تقاس عليه، وهي ليست واقعية لأن " الفرع " هنا هو في الغالب فرض نظري، وليس معطى من معطيات الاستقراء أو التجربة الاجتماعية " [63] .

و مهما يكن من أمر فإنَّ العمل المعجمي قد أفاد اللغة العربية في ضبط كثير من القضايا التي ترتبط بالكلمات، و هو غير مسؤول عن بعثها و استعمالها في الواقع الفعلي لاعتبار واحد، و هو أنَّ التَاريخ أثبت لنا أنَّ توظيف اللُغة في الأعمال الإبداعية ارتقى في حقب زمنية معيَّنة،ولم يرتق في حقب أُخرى- لأسباب جمَّة- فللإنتاج الفكري و الأدبي الفضل في بعث الألفاظ المعهودة، و لكن في دلالة جديدة لاعتبار" أنَّ الألفاظ تنْزلق أحيانا انزلاقا يسيراً عمَّا وُضعت له بمرور الزمن " [64] الشيء الذي أفاد اللُّغة في التَوسُّع الدَّلالي، و خروج الألفاظ من المعاني المعهودة إلى تأدية معاني لم تعهدها من قبل.

إنَّ التركيز على بيئات معينة أثناء عملية جمع اللُغة لا يعني البتَّة ضياع ألفاظها في قبائل أخرى لم يؤخذ عنها، بل لمَّا كانت هذه القبائل تمتاز بمواصفات حدَّدها العلماء جاز لهم أن يأخذوا منها، و بالتالي فاللغة لم تؤخذ " عن حضريٍ قطَّ و لا عن سكان البراري مِمَن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنَّه لم يُؤخذ من لخم و لا من جذام لمجاورتهم أهل مصر و القبط، و لا من قضاعة وغسان و إياد لمجاورتهم أهل الشام (وأكثرهم يقرؤون بالعبرانية)، و لا من تغلب واليمن(فإنَهم

---

63 - محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة دراسات .. و مناقشات، ص 145.

64 - إحسان عبَّاس، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب، الطبعة الأولى، بيروت 1971م، ص179.

كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان)، ولا من بكر (لمجاورتهم للنبط والفرس)، ولا من عبد القيس و ازَد عُمان؛ (لأنَّهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهند و الفرس) و لا من أهل اليمن (لمُخالطتهم للهند و الحبشة)، و لا من بني حنيفة و سكان اليمامة، و لا من ثقيف و أهل الطَّائف لمخالطتهم تُجَّار اليمن المقيمين عندهم، و لا من حاضرة الحجاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم – حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب – قد خالطوا غيرهم من الأمم و فسدت ألسنتهم " *(65)* .

بهذا التحديد للقبائل يكون عمل اللُغويين قد صُبغ بصبغة فيها من الموضوعية لا لشيء إلا لكون أنَّ الإطار الجغرافي كان يشوبه شيء من تأثر اللسان العربي بغيره إمَّا بفعل المجاورة أو التجارة *(66•)*.

إنَّ الذي يستدعي التَّريث في هذا المقام بالذَّات هو تلكم التساؤلات المنهجية المتعلقة بقضية الاستعمال اللُغوي، و لعلَّ من أهمِها أثراً – هل عملية الجمع أثَّرت في الواقع الاستعمالي للغة آنذاك باعتبار أنَها انطلقت من الواقع الفعلي للغة ؟

إذا افترضنا الإجابة بنعم.

– فبم يُمكن أنْ نُفسِّر دخول ألفاظ جديدة فارسية، و رومية... في التأليف الشعري بعد ترسيخ عملية التأليف المعجمي كالذي نقف عليه مع بعض شعراء العصر العباسي ؟

إنَّ الذي يُمكن أن نستجليه من طرحنا هذا هو أنَّ حركة جمع اللغة في عهدها الأوَل جاءت بُغية وضع الأصيل من ألفاظها في رسائل و كتب و معاجم، و بما أنَ اللُّغة مُتغيرة و مُتأثرة بغيرها جاز أنْ تُضاف لها فيما تلاها من العصور و الأزمنة من الألفاظ ما شاء لها، و هو ما يُمكن أنْ نُفسِّر به ظاهرة توالي بناء و تأليف المعاجم .

إنَّ عملية جمع اللغة لم تتّخذ منحى شكلياً، وإنَّما اعتُمِدَ فيها على مناهج و طرق، أشهرها ما تمَّ تصنيفه وفق حقول دلالية، مِماّ يسَّر عملية الرجوع والاستفادة منها، وقد

---

[65] ـ شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة نوادر و نوادر ومدهشات علمية، ص7.

• ـ الأمر الذي مكَّن العلماء من تصنيف الشعراء الذي جاء فيه " أفصح الشعراء لسانا،وأعذبهم أهل السروات و هن ثلاث: الجبال المطلة على تهامة،ثمَّ بجيلة السراة الوسطى، وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سَراة الأزد، أزد شنوءة، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد".

(- عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، دار المعارف القاهرة 1971م ، ص81.)

أخذت دلالة الألفاظ والأسماء اتجاهات عدة، فمنها ما تعكس شكل المسمى، ومنها ما تعكس مضمونه، ومنها ما تعكس صوته " من جهة أخرى، و في اللهجات العربية أسماء لحيوانات هي في عمومها ألقاب تُذكِر بخصوصية جسمية أو معنوية " •(67).

لقد راعى علماء العربية أثناء جمعهم للّغة عنصر الدِّقة مِمَّا يوحي توخِّيهم للموضوعية، " فوضعت لِلدَّلالة ضوابطها ببيان أنواعها وتقْييد مسالك رواية اللُّغة وشروطها تقييدًا مُقتبسًا من قواعد رواية الحديث النبوي، فاستفاد تفسير القرآن من ذلك أيَّما استفادة وأصبحت دلالة اللفظ المعجمية طرفا مُساهما، ومُؤثِّرًا في قضايا مختلفة" (68)، ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار عملية جمع الألفاظ، وضبطها بمثابة العامل المُيسِّر لتحديد دلالاتها في معاجم ذات اتجاهات متنوعة.

فالعملية إذاً كانت تُركز كثيراً على الواقع الاستعمالي للألفاظ حيث " قامت تلك الدراسة على المشافهة والرحلة إلى البادية، وهذه الدراسات نشأت في أول أمرها لحفظ القرآن من اللَّحْن الذي بدأ يَسْتَشْرِي في أوساط العامة والخاصة، بعد إقبال نفر كثير على الدخول في الدين الإسلامي " (69)، فمن أبرز دواعي عملية جمع اللُّغة تفشي ظاهرة اللَّحن نتيجة دخول الأعاجم في الدِّين الإسلامي، و لمَّا كان خوفهم من انحراف اللِّسان العربي نتيجة تنوّع الوسط التواصلي الذي أصبح يفرض نموذجين أحدهما قويم اكتسب اللُّغة عن طريق السَّليقة، والثاني دخيل يسعى إلى التَّواصل معه بكيفية قد تكون على حساب سلامة الموروث اللِّساني، و قد تأكَّدت هذه الفكرة في كثير من البحوث اللَّغوية حيث " بدأتْ حركة جمع اللُّغة، أوْ التُّراث القوْلي للعرب – إنْ صحَّ التَّعبير– بناءً على دوافع دينية من ناحية و لُغوية علْمية من ناحية أُخرى فقد زحف اللَّحْن من الكلام إلى النَّصّ القرآني، " (70) فعملية جمع التُّراث القولي للعرب تُعدُّ مرجعية رسمية لكلام العرب، فما قالته العرب توارثته الأجيال و قُيِّدَ خشية الضياع .

• - d autre part dans les dialectes arabes les noms d animaux sont généralement des surnoms, rappelant une particularité physique ou morale …"
- Vincent Monteil , l'arabe moderne , librairie l , klinck bieck 19601 , p 178 .

68 - هادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص278.

3- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994 م، ص 70.

70 - حلمي خليل، مُقدِّمة لِدراسة التراث المُعْجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، 1997م، ص 110 .

في ظلِّ هذه الثنائية اجتهد علماء اللغة على ضبطها، و التركيز على تقييدها باعتبار أنَّ اللُّغة العربية " بدأت مُشافهة تُتناقل قواعدُها وآدابُها بالألسنة، أمَّا الكتابة والقراءة فقد كانت قليلة، لا يُجيدها إلا القليلون، وكان خطيب القوم يعتلي رَبوة، يلقي على السامع بليغَ القول، لا يني و لا يتلعثم، و كانت قصائد شعرائهم تطير في القبائل، يتذاكرها كبار القوم و صغارهم، و كان للأدب شعره و نثره تأثير كبير في نفوسهم، بماله من جمال في اللَّفظ و شرف في المعنى "[71].

لعلَّ من الأسباب التي ساعدت على انتشار اللُّغة بالسليقة و البديهة ميل العربي إلى الألفاظ الجميلة، و المعاني الشريفة، و لمَّا كانت هذه الأخيرة مُتضمنة في القصائد الشِّعرية، و النُّصوص الأدبية توارثتها الأمَّة أجيالاً عن أجيال فحُفظت النُّصوص في الذاكرة، و تواصل بها الأفراد فيما بينهم إلى أن جاء جمعها، " وقد أثمرت حركة جمع اللغة مجموعة من الكتب و الرسائل اللغوية. لقد جمع اللغويون ما عرفته القبائل الفصيحة من ألفاظ، وصَنفُّوها في مجموعات دلالية، و ألَّفوا في هذا مجموعة كبيرة من الكتب، ألَّف الأصمعي في "خلق الإنسان " و " الإبل "و " الخيل" و " الوحش" و"النبات " و "الشجر"، و ألّف أبو زيد الأنصاري في " اللبن" و" المطر" و"النبات" و"الشجر"، و ظلَّت الرسائل هي الشكل الوحيد الذي اتَّخذته دراسة الألفاظ العربية من الناحية الدلالية وقتا طويلا، إلى أن برزت إلى الدوائر العلمية حركة تأليف المعاجم "[72].

نظراً لاتّساع اللُّغة العربية في ألفاظها و دلالتها من قبيلة إلى أخرى تطلَّب من جامعيها أنْ يخُصِّصُوا الموضوع الواحد بأكثر من كتاب، فالأصمعي مثلاً جمع كتاباً في " النبات " و " الشجر " كما جمع أبو زيد الأنصاري في " النبات " و " الشجر "، و هو ما يمكن تفسيره بثراء اللُّغة العربية، و هي الحقيقة التي تجسدُها عملية تنوّع الألفاظ و اختلاف دلالتها فأيقن " جامعوا الألفاظ أنَّهم أمام بحر خضم من الألفاظ العربية التي تحتاج إلى تنظيم و ترتيب فقنعوا بحصرها أو مسحها على حدّ تسيير المهندسين، مع القليل من الشواهد أو النُّصوص الأدبية حتَّى يمكن أنْ يضمَّها جميعا كتاب واحد أوْ عدَّة

---

[71] - عيسى أمين صبري، اللغة بين السمع و البصر، مجلة الأمة، العدد السادس و الأربعون، السنة الرابعة شوال 1404هـ/1984 م، ص 96.

[72] - محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية)، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع - د . تا، ص 97 .

مجلدات، " [73] فعملية الجمع من هذا المنظور مرَّت بمراحل اعتمدها علماء اللُّغة أثناء جمعها، و قد ضُبطت في ثلاث مراحل :

"المرحلة الأولى: جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية سمع كلمة في المطر، و سمع كلمة في اسم السيف و أخرى في الزرع و النبات فيُدوِّن ذلك كلَّه حسبما سمع من غير ترتيب إلا السِّماع .

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المختلفة بموضوع واحد في موضوع واحد، و توجت هذه المرحلة بكتب ألفت في الموضوع الواحد .

المرحلة الثالثة: وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة و أوَّل من وضع هذا المعجم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين، " [74] فبعد الجرد العام للكلمات المسموعة في البادية العربية التي لم يلحقها تأثير خارجي، جُمعت الكلمات المُختلفة ذات الموضوع الواحد في كتب، أو ما يُعرف بالرَّسائل اللُّغوية المجموعة على شكل حقول دلالية، و التي كانت بمثابة المادَّة الخام للتَّأليف المُعجمي في مرحلة ثالثة .

كما أكَّد هذا المسعى و بيَّن أنَّ مراحل جمع اللغة العربية بدأت بمرحلة أولى انتابها اللاَّتنظيم، و كان همُ الجامعين محاصرتها، و تدوين ألفاظها حيث " جمع علماؤنا الأجلاء تلك الألفاظ كيفما اتفق لهم دون ترتيب أو تنظيم، لأن الغاية كانت تتجه أو لا إلى الجمع والتدوين دون غيره خوفا على العربية من الغريب الدخيل، ومن أبرز كتب هذه المرحلة كتب الغريبيْن و كتب النوادر، " [75] فنتج عن عملهم هذا تأليف عدد من الكتب، و لم تتوقف العملية عند هذه المرحلة بل تعدتها إلى مرحلة مُوالية، و هو ما سمَّاه بالمرحلة الثانية حيث فيها " تم تدوين الألفاظ في رسائل صغيرة متفرقة عرفت قدرا أكبر من التنظيم، بحيث جمعت كلَّ رسالة منها مجموعة من الألفاظ التي يربطها رابط لفظي معين، كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد مثلا، أو التي ترتبط برابطة

---

[73] - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص248 .

[74] - رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدَّلالة و المعجم، د. ط ، د. تا، ص 148 .

2- عبد اللطيف الصوفي،اللغة و معاجمها في المكتبة العربية، دار طلاس دمشق، د. تا ، ص 38 .

الأضداد، حيث اللفظة الواحدة تدل على الشيء و ضدَّه " [76] فبعد النَّظرة الشَّاملة لعملية الجمع مالت منهجيتهم إلى شيء من الدِقَّة مع ما هو جزئي خاصً، و هي كخطوة ثانية تعكس بحقً ارتقاؤهم في المنهج المُتَّبع أثناء عملية الجمع التي تطلبت توافر جملة من العناصر :

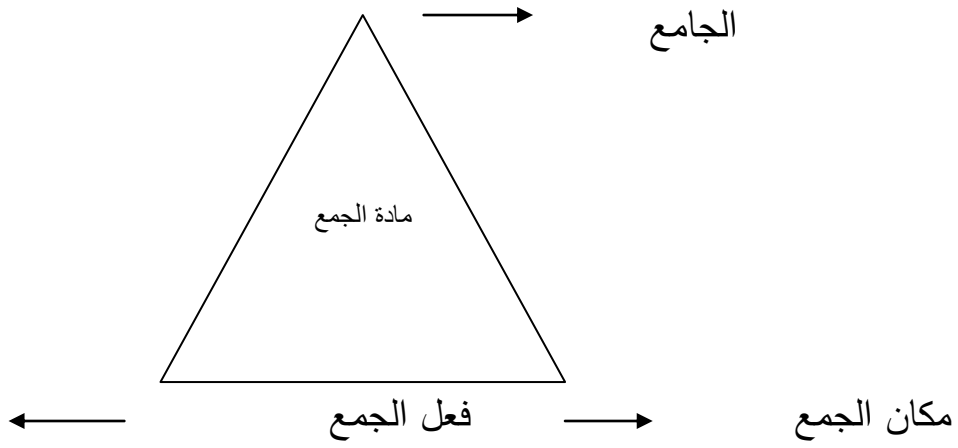

أ – **الجامع:** و يمثل فئة العلماء التي أخذت على عاتقها عملية الجمع .

ب – **مكان الجمع:** و نقصد به البيئة التي وقعت فيها عملية الجمع .

ج – **فعل الجمع:** و نعني به الجانب المنهجي، و الطريقة التي تمَّت بها، و كيف؟

د – **مادَّة الجمع:** و هي في عمومها مجموع الألفاظ العربية .

مثل هذه الجهود في عملية الجمع الأوَّلي للُّغة تعكس حقيقة مفادها أنَ عملية الجمع لم تكن اعتباطية بل كانت عملية ترتكز على الدَّقة و المنهجية، فانتقاء بيئات عربية و تخيِّرها على أخرى بناء على معايير موضوعية، و الأخذ عنها يُجسِّدُ عامل الدَّقة، كما

4 – المرجع نفسه، ص39 .

أنَّ لتنويع الحقول و تغطيتها بالمفردات و الألفاظ العربية تجسيد فعلي للجانب المنهجي المُتَّبع من قبل جامعي اللُّغة .

الفصل الأوّل:

بين اللفظ و الكلمة و الدلالة

أوّلاً : دلالة الألفاظ عند اللغويين

أ – الألفاظ عند النحويين

ب – عند الصّرفيين

ج – دلالة الألفاظ عند البلاغيين

ثانياً – دلالة الألفاظ عند الأصوليين

إنَّ الدارس لِلُّغة العربية و المتأمل في دلالة ألفاظها يقف على حقيقة مفادها أنَّه كيفما كانت هذه الأخيرة، فإنَّ القصد من توظيفها و استعمالها هو إحداث التَّواصل بين أفراد المجتمع الواحد الذي يعتمد على الكلام [77•] الذي تمثل فيه الكلمة وحدة صغرى، و هي النواة الأولى التي ترتكز عليها الجملة لذا فهي تُدرس من وجهات عدَّة، فعلم الأصوات يتتبَّع التَّبدلات الصَّوتية التي تطرأ على الكلمة و تتجلَّى في تلك التغيرات التي تظهر أثناء النطق، و علم الصرف يتتبعها من حيث ما يطرأ عليها من تبدلات في بنائها و أثر تلك البنيات في دلالاتها، و هي في ثنايا الترتيب تأخذ دلالات خاصَّة كما يتناول علم المفردات الكلمة باعتبارها وحدة أساسية في المعجم.

و من المهام التي تُؤدِّيها الكلمة في اللُّغة إشارتها للمقصود بها، لِذا فهي بمثابة رمز له، و باستعمالها تتحدَّد المسميات، و هي في المعجم لا ترتبط بمعنى واحد، فالفعل جلب مثلاً من معانيه : إحضار الشيء، و الزجر و الصيح، و القشرة التي تعلو الجرح إذا برأ، و السحاب الرقيق...، [78] فالكلمة بحقٍّ تمثل الوحدة الصغرى بها تُبنى الجمل، و بها تتحدَّدُ المعاني..

•- و من تعريفات الكلام ما يشدَ الانتباه قول ابن الأنبا ري: " ما كان من الحروف دالاًّ بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه. "
(- عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنبا ري (ت 577هـ)، أسرار العربية، تحقيق:محمد حسين شمس الدين الطبعة الأولى1997م، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان- ص23 .) و هو ما رآه علماء اللُّغة الذين أجمعوا أنَّ الكلام ما كانت كلماته دالَّة في ذاتها، و في اجتماعها.
كما أنَّ للمُحدثين رأي في ذلك تجلَّى في قول بعضهم :" و من وجهة نظر علم اللغة التركيبي تعرف الكلمة word بأنَّها " وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها " (ليس من الضروري أن يتمَ الوقوف فعلاً) ففي جملة مثل the houses are being built من الممكن نظرياً الوقوف بعد the – houses - are - being – built و لكن وقوفا بين (hous) و (es)، أو بين (be) و (ing) ربما يعطي الحدث الكلامي شيئاً من اللامنطقية . " و الجملة نفسها تعرف بأنَّها تتابع من الكلمات و المورفيمات التنغيمية ."
(- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب الطبعة الثامنة 1998م، ص112.)
78 - أنظر: ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)- مجمل اللُّغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة العراق،الطبعة الثانية 1986م، 1/ 194.

و الذي ثبت لدى القائمين في هذا المجال أنَّ بلوغ الكلام المفيد يبدأ بتآلف الحروف في الكلمة الواحدة [79•] الأمر الذي أجمع عليه بعض النقاد، كون أنَّ الكلمة " ثمرة للفكرة، فمتى نضجت الفكرة سقطت كما تسقط الثمرة الناضجة، و لكنها تسقط على كلمتها " [80]

.

إنَّ نضج الفكرة و اكتمالها أساسه الكلمة المناسبة، و إذا كانت العلاقة بين الفكرة و الكلمة مشدودة بنضج هذه الأخيرة، فإنَ الذي يترتب على العلاقة التناسبية بين الفكرة و الكلمات في الجملة [81•] الواحدة جُملة من العناصر كالتنظيم و الترتيب

• - لذا اهتمَّ النُقاد بها، وتتبَّعوا بنائها لما له من أثر في ترقية العمل الأدبي، و من الخصائص التي ينبغي أنْ تكون عليها الكلمة: " يجب أن تكون جارية على القواعد العربية في التصريف غير شاذة، وألا تكون كثيرة الحروف، فمثلا كلمة "مغناطيسهن"غير مرضية لكثرة حروفها في قول أبي نصر بن نباتة :

فإيَاكُم أَنْ تَكْشِفُوا عَنْ رُؤُوسِكُم * أَلَا إِنَ مغْنَاطِيســهن الذَوَائِبُ "**

(محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1982م، ص 259 .)

و هي الحقيقة التي أكدتها الدراسات النقدية التي رأت أنَّ " كثرة حروف الكلمة إذا استعملت في الشعر خاصة كانت قبيحةً، ولو كانت عربية كما في (سويداراتها) من قول المتنبى :

إنَّ الكَرِيمَ بِلا كِرَامٍ مِنْهُمُ * مِثلَ القُلُوبِ بِلا سُوَيْداراتِهَا**

فالمتنبي خرج إلى الشاذ النادر في تركيب لفظ من حروف كثيرة، فقبح لطوله وكثرة حروفه والطول وحده قبيح " (- حسين جمعة، في جمالية الكلمة(دراسة جمالية بلاغية نقدية)،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،2002م، ص 34.) و قد يرجع السّرّ في ذلك إلى صعوبة قراءتها والتّوالي عليها نتيجة عدد حروفها المُعتبر.

إنَ لحروف الكلمة الواحدة التي إذا أُحسِن التأليف بين أجزائها أفضت إلى بناء وِحدة كاملة، و هي الظاهرة التي تتبعها حنفي بن عيسى و اعتبر عملية " التصويت (أي العملية الكلامية) أشبه ما تكون بعملية انبعاث الأنغام عن آلة موسيقية ذات أوتار مُهتزة، فالصدر و الرِّئتان يقومان مقام المنفاخ، و القصبة الهوائية تقوم مقام قناة الهواء و الحنجرة منطقة يتحول فيها الهواء الخارج من الرئتين إلى صوت يُدعى الصوت المزماري، فإذا وصل هذا الصوت إلى الأقسام العليا من أنبوب الهواء (البلعوم و الحفرتان الأنفيتان و الفم) فإنَّه يتحول إلى نغمات تتخذ شكل الحروف، و هذه الحروف التي كانت بالأصل مجرد أصوات فيزيائية تنتظم فيما بينها لتؤلف كلمات. "
(- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 117.)
باعتبار أنَّ مفهوم الصوت اللُّغوي محصور فيما يصدر عن الجهاز النُطقي و كُلَّما كانت وِفق هذا المنحى أدَّى ذلك إلى بيان الكلمة و بُلوغها، و التي بدوْرِها إنْ تآلفت و انْتظمت أدَّت إلى بناء جملة مُفيدة، و تُفضي إلى فقرات مُنسجمة في معانيها و هكذا.

[80] - محمد عبد المنعم خفاجي – محمد السعدي فرهود– عبد العزيز شرف،الأسلوبية و البيان العربي،الطبعة الأولى 1992م، الدار المصرية اللبنانية، ص141.

• - التي تُعرف بأنَّها"وحدة متماسكة العناصر لها نظامها و علاقاتها الداخلية و لها توزُّع و تعدُّد و نظم مدلول تامّ، فمن المبادئ في بلورة الجملة حسن الاختيار و انتقاء المفيد المتميِّز، و معرفة مرتبة كل عنصر من النظام. "
(- المنصف عاشور، التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كليلة و دمنة دراسة إحصائية وصفية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م، ص13.) و هي المعايير التي ينبغي أن تتبلور في نسج و بناء الجمل .

و العلاقات بين الكلمات، فعنصر التماسك و العلاقة بين الكلمات في الجملة الواحدة له من الأثر في إفادة المعنى و تبليغه.

إنَّ العلم الذي يهتمُ بالكلمات – مثلما أشرنا سابقاً – و يتتبَّع أصلها، و يُذلِّل معناها، و يقف عند جزئياتها، و يُحلِّل بنْيتها هو علم المفردات lixicologie " الذي يبحث في جزئيات الكلمة المفردة، فيستقصي أصواتها و يتعرَّف على أصولها الأولى و يُوضح ما غمض من تركيبها و يُؤصِّل بنْيتها، و يُبيِّن صيغتها، و يُقابلها بِمدلولها مُشيراً إلى كُنه التّغيرات التي تطرأ على المدلول بتغيِّر الصّيغة زيادة، أوْ إبدالاً في صوت منها، أوْ حذْفاً لواحد أوْ أكثر من هذه الأصوات،" [82] فمن مجالات هذا العلم كذلك أنَّه يُقابل المُفردة بمدلولها حيث يُفيدنا في بيان دلالاتها [83] و استعمالها في النُّصوص، فيسعى بذلك إلى تذليل دلالتها.

لقد انصرفت اهتمامات العلماء و الباحثين إلى التقصِّي عن دلالة العلامات و الوحدات اللُّغوية قصد الوقوف على العلاقة القائمة بينهما؛ لأنَّ " بين الكلمة ودلالتها لا يوجد في أغلب الأحيان إلا علاقة خارجية قُحَّة، وعلى الرغم من استعمالها المتعدِّد، تضحى هذه العلاقة أكثر محدودية إلى درجة أنَّنا تعودنا أخذ الكلمة انطلاقا من معناها، حتى وإن تبدَّى لنا من خلال المتمثلات الموضوعية أن الكلمات تحدد الموضوعات التي تشير إليها." [84]

---

[82] - نشأة محمد رضا ظبيان، علم المفردات في إرثنا اللُّغوي، دار العلوم للطباعة و النّشر الرياض المملكة العربية السعودية 1981م، ص05 .

• - باعتبار أنَّ " الطريقة الوحيدة لتعريف معنى كلمة من الكلمات هو وصف توزيعها الدّلالي بواسطة العبارات و الجمل التَّوضيحية " (- علي القاسمي، علم اللّغة و صناعة المعْجم، الرّياض 1975 م، ص 172 .)

[84] - « Entre le mot et sa signification .il n'y a dans la plupart des cas qu'un lien purement exterieure et. Pourtant du fait de son emploi frequent.ce lien devient si etroit que nous avans tendance à prendre le mot pour son contenu méme et par suite d'une objectivisation des representations à identifier les mots avec les objets qu'ils designent »

Adam schaff Introduction a la semantique. traduit du polonais par Georges lisowski . edition anthropos paris1980. P18

القضية التي اعتبرها البحث اللّساني جديرة بالاهتمام لا لشيء إلاّ لكون أنّ " مركز الإنقطاب في الحضارة الإنسانية كان العلامة، و سيظل العلامة من حيث هي معطى نفسي و ثقافي و اجتماعي و حضاري بشكل عام، و لذلك فلا جرم من أن تنصرف الجهود إلى تدارسها تدارسا أوفر من أجل استكشاف حقيقتها الدلالية و مجالها الإجرائي، " [85] و هو ما أصبحت تهتمّ به العلوم الإنسانية على مختلف مشاربها، فدراسة العلامة بشيء من التّحليل أضحت ضالة علم النّفس و علم الاجتماع و غيرها من العلوم، فتوسعت بذلك دائرة نطاق دراستها .

اللفظ و الدلالة

لقد شدّت قضية الدلالة اللّفظية اهتمام علماء اللّغة منذ القديم، و هو ما عنوه باللّفظ و المعنى و العلاقة بينهما، فالكلام لا يقوم إلاّ " بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لا ترى نظماً أحسن تأليفا و أشدّ تلاؤما و تشاكلا من نظمه، و أمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، و الترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها و صفاتها، " [86] و قد عالجوها بشيء من الجرأة، حيث ينتصرون تارة للألفاظ، و تارة أُخرى للمعاني كما أنّ منهم مَنْ وقف موقفاً وسطاً بينهما، الأمر الذي كان دافعاً للمحدثين في البحث و التنقيب، فاهتموا بهذا المجال و تتبعوا " العلاقة بين اللّفظ و المعنى، أوْ كما يُسميها اللُّغويون المُحدثون بين اللّفظ و الدّلالة، من البحوث التي حظيت بعناية أولئك الباحثين في هذه الفترة أوْ في هذا القرن وذلك لأنّ

85- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999م، ص137 – 138 .

86 - أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (319هـ - 388هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني و الخطّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي، بيان إعجاز القرآن،تحقيق:محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1976 م، ص 27.)

اللّفظ رمز لهذه الدَّلالة، و قد يكون الرَّمز دالاً على جملة المعنى أوْ على جزء منه أوْ على لازمة من لوازمه يُمكن أن يستدل به على المعنى نفسه..." [87] فتكون بذلك دلالة اللَّفظ مُعبِّرة عن المعنى الإجمالي أو على جزء منه، و قد تتحكم في تحقيقها بعض اللَّوازم.

و في أمر دقَة الألفاظ و تقييد دلالتها [88•] في اللُّغة العربية رأى علماء اللُّغة أنَه " كما لا يجوز أنْ يدلَ اللَّفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللَّفظان يدلاَن على معنى واحد لأنَّ ذلك تكثيرا للُّغة بما لا فائدة فيه،" [89] فهو بهذا الحكم ينفي تعدُّد المعاني للَّفظ الواحد [90•] و يرى أنَّ كثرة الألفاظ للمعنى الواحد غير مُجدية للُّغة عِلما أنَه " يوجد في كل ألسن لغات العالم و بأعداد محددة و معتبرة كلمات ذات دلالات واضحة أكثر تعبيرية من كونها مرجعية تفتح متصوات ذات أهمية " [91] إلاَ

---

87 - السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النَّهضة العربية بيروت – لبنان 1968 م، ص 89.

• - إنَّ دلالة اللفظ قد تُقيَّد، و هو ما رآه الآمدي في ثلاثة أوجه :

" الأول: انه يلزم منه الخروج عن العهدة بيقين...

الثاني: أن المطلق إذا حمل على المقيد، فالعمل به فيه لا يخرج عن كونه موفيا للعمل باللفظ المطلق في حقيقته، و لهذا لو أداه قبل ورود التقييد كان قد عمل باللفظ في حقيقته، و لا كذلك في تأويل المقيد و صرفه عن جهة حقيقته إلى مجازه.

الثالث: أن الخروج عن العهدة بفعل أي واحد كان من الآحاد الداخلة تحت اللفظ المطلق لم يكن اللفظ دلالة عليه بوضعه لغة، بخلاف ما دل عليه المقيد من صفة التقييد، و لا يخفى أن المحذور في صرف اللفظ عما دل عليه اللفظ لغة أعظم من صرفه عما لم يدل عليه بلفظه لغة "

(- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي دار الأصمعي للنشر و التوزيع الرياض، الطبعة الأولى 2003م، 3 / 7- 8.)

89 - أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، د . تا، ص23 .

• - إلاَ أنَّ من العلماء مَنْ يرى عكس ذلك خاصَة فيما يتعلَّق باختلاف القراءات القرآنية حيث أنَّ المراد بسبعة أحرف في غالب التخريجات " سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، و إن شئت فقل : سبعة لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ و المباني مع اتفاق المعاني، أو تقاربها، وعدم اختلافها و تناقضها، ذلك مثل: هلم، و أقبل، و تعال، و إليّ، و نحوي ، و قصدي و قربي، فإنَّ هذه ألفاظ سبعة مُختلفة يعبَّر بها عنْ معنى واحد، و هو طلب الإقبال . " (- محمّد محمّد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللّواء للنَّشر و التَّوزيع، المملكة العربية السعودية، الطَّبعة الثالثة 1987م، ص 176.)

91 - « il existe dans toutes les langues du monde, en nombre variable, parfois important le plus souvent limité, des vocables a la sémantique fluide, plus expressifs que cognitifs. »

(- Roman Jakobson et Linda Waugh La charpente phonique du langage.

Traduit par Alain kihm . c 1980 les editions de minuit paris. Page : 238

أنَ حقيقة الألفاظ في اللًُغة العربية " ليس فيها هذا الثبات؛ لأنها قائمة على الانتقال والتحول بين الأشياء تبعا للمعاني التي يضيفها عليها الإنسان، و الأشياء التي ليست متقدمة على المعاني الشيئية بدورها جزء من المعنى، و هي ليست أشياء إلا من حيث هي موضوعات للنشاط الإنساني الذي تتحول معه إلى مسميات نحتاج إلى أسماء."[92]

إنَ الأصل في العلاقة بين العناصر اللًُغوية التكافؤ بين وحداتها، " فالمعاني إذا كثرت على الألفاظ ضاق دونها ذرع الكتبة، فذهبوا في إبرازها إلى الخلق و عرضها على الأذهان مذاهب الضعف، و مسالك السخف، فأقسووا لغتهم و أعجموا منطقتهم، و إذا كثرت الألفاظ على المعاني بين قوم سادت بينهم الصناعة اللَّفظية، و لها المُشتغلون بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته، فكان العيُّ و الحصر، "[93] و هي الحقيقة التي مرًَت بها اللًُغة العربية على مرَ الحقب التَاريخية، فحين ضعف الفكر الإبداعي اشتغل الكُتًَاب بالتَرصيع اللًَفظي الذي كان على حساب المعنى، و هو ما تجلًَى في عصر الضُعف كإنتاج أدبي .

لقد اهتمتْ البحوث في المجال البلاغي بهذا المنحى و هو ما أكًَده أبو هلال العسكري(ت-395هـ) في قوله: " و من تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية، و وجوه الاستعمال لها؛ و العلم بفاخر الألفاظ و ساقطها، و مُتخيرًها، و رديئها، "[94] فالذي يُميًز بين هذه العناصر في الخطاب اللًغوي ترد كلمته مُنسجمة الأمر الذي ينتج عنه الإبانة و الوضوح.

إنَ احتواء العلوم العربية لا يتمًُ إلاًَ بعلم ألفاظها باعتبارها المادًة الخام التي عليها و بها تُبْنى كلً العلوم، و في دراسة لطه أحمد إبراهيم خصَ بها نظرة ابن قتيبة

---

92 - لطفي عبد البديع، فلسفة المجاز بين البلاغة العربية و الفكر الحديث، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى 1997م، ص78.

93 - محمود علي صبيح، الدُرَة اليتيمة من حكم الكاتب البليغ الأشهر عبد الله بن المُقفع، المكتبة المحمودية مصر، د . تا، ص 05.

94 - العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت395هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البيجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى 1952م، دار إحياء الكتب العربية، ص21.

الدينوري(ت276 هـ) للشّعر مِمَّا جاء فيها قوله: " تدبّر ابن قتيبة الشعر فوجده أربعة أضرب: ضرب منه حُسن لفظه و جاد معناه كقول أبي ذؤيب الهذلي :

و النَّفس راغبة إذا رغَّبتها * و إذا تُردُّ إلى قليل تقنــعُ**

وضرب منه حسن لفظه و حلا معناه، فإذا أنت فتّشته لم تجدْ هناك فائدة في المعنى لقول جرير

إنَّ الذين غدوْا بلبّك غادروا * و شلا بعينك ما يزال مَعينــا عيّضْن**

من عبراتهنَّ و قُلْنَ لي * ماذا لقيت من الهوى و لقينـا**

وضرب منه جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة :

ما عابَتِ المرءَ الكريمَ كنفسِه * و المرءُ يُصلحُه الجليسُ الصالحُ**

فهو و إن كان جيّد المعنى و السّبك، قليل الماء و الرّونق.

و ضرب منه تأخر معناه و تأخر لفظه كقول الأعشى:

و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني * شاوٍ مِشلٌّ شَلولٌ شلْشلٌ**

فهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، و قد كان يستغني بأحدها عن جمعها

و يريد ابن قتيبة باللَّفظ التَّأليف و النَّظم و يُريد بالصياغة كلما تضمه من لفظ ووزن وروي، و يريد بالمعنى الفكرة التي يُبيّنُ عنها البيت أو الأبيات. " *(95)*

إنَ من معايير معرفة الشعر – حسب ابن قتيبة – النظر إلى لَفظه و معناه، فالجيِّد منه ما جادت ألفاظه، و تأقلمت مع معانيه، و الرديء منه ما تكررت فيه ألفاظ ذات دلالة واحدة، فأساءت بذلك إلى معناه .

---

95 - طه أحمد إبراهيم، تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع الهجري، دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1985 م، ص 117 – 118 .

و من الذين أبدوا رأيهم في هذا المجال **الباقلاني (ت-403 هـ)** حيث رأى أنَّه من البلاغة أنْ نجمع بين اللَّفظ القوي و المعنى الرَّاقي، " فإذا برع اللَّفظ القوي في المعنى البارع، كان ألطف و أعجب من أنْ يوجد اللفظ البارع في المعنى المُتداول المتكرِّر " [96] خلافاً لِما وصفه بوجود اللَّفظ القويِّ في المعنى العادي الذي لا يرقى إلى قوَّته .

و فيما يتعلَّق بالمعاني و النَّظم و كيفية اكتسابهما رأى الخطابي(319هـ-388هـ) أنَ الأمر " في معاناتها أشدَّ؛ لأنَّها نتائج العقول و ولائد الأفهام و بنات الأفكار، و أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة و الحذق فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ و زمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، و يلتمَّ بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان، " [97] و أمَا عن تحقيق النَّظم فلن يبلغ إلاَّ بسعة الثقافة و اعتماد النباهة فيه تتآلف الألفاظ و تنسجم أجزاء الكلام فتتحقق بذلك بلاغته .

لقد اختلف علماء اللُّغة في ذلك، و لأهمية الألفاظ أجمع بعض المفكرين منهم ابن خلدون(732هـ - 808هـ) على أنَّ سِرَ " صناعة الكلام نظما و نثرا إنَّما هي في الألفاظ لا في المعاني، [98•] و إنَّما المعاني تبع لها و هي أصل، فالصانع الذي يُحاول ملكة الكلام في النَّظم و النَّثر، إنَّما يُحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب،" [99] فهو بهذا الحكم للألفاظ في صناعة الكلام بنوعيه يُقرُّ ميْله للألفاظ على المعاني باعتبار أنَّ النَّاس يشتركون في المعاني و الأفكار، و يختلفون في وسيلة

---

[96] - الباقلاني القاضي أبو بكر محمد بن الطيب(ت403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، د. تا، ص63.

[97] - أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (319هـ - 388هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرَّماني و الخطَّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، ص36.

• - غير أنَّ من العلماء – كالشَّاطبي في كتابه الموافقات في أصول الأحكام - رأى عكس ذلك، و اعتبر اللفظ وسيلة و المعنى هو المقصود .

[99] - ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين، المقدمة: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص 596 .

التعبير عنها " الألفاظ " فالذي يُحسِنُ انتقاؤها يصل إلى إقناع الغير و استمالة عواطفهم، كما أنَّه لم يتوقف عند أهمية الألفاظ في تبليغ المعاني بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث رأى أنَه حتَى يتمكن الواحد مِنَّا من تحقيق ملكة الكلام أنْ يحذُو حذو فطاحل الشُعراء و الخطباء من خلال حفظ ما جاؤوا به، فيستقيم بذلك لِسانه .

إنَّ مفهوم الألفاظ في نظر جماعة الدِيوان لا يختلف عمَّا أوردناه سابقاً، و ما يُجسِّد ذلك رأيهم " و معلوم أنَّ الكلام لا قيمة له من أجل حروفه، فإنَّ الألفاظ كلُها سواء من حيث هي ألفاظ، و إنَّما قيمته و فصاحته و بلاغته و تأثيره تكون من التَأليف الذي تقع به المزية في معناه لا من أجل جرسه و صداه، " [100] فقيمته ما يُؤدِيه من معنى نتيجة التَأليف، و ليس فيما يُؤدِيه كنغم موسيقي .

و هو ما أيَده بعض النُقاد المُحدثين حيث رأوا أنَّ " الأهمية للألفاظ في مواقعها من الجمل، بوصفها الوسائل التي بها يؤدّى المعنى، و لا أهمية لها في ذاتها، و إنَّما تظهر أهمية الألفاظ في أداء المعاني، و يتجلَّى ذلك في تأليف الكلام و هنا تظهر مزية الصياغة و ما فيها من ألفاظ في جلائها للصُّورة،" [101] و من موقع اللَفظ في الجملة يُمكن قراءة دلالته لذا ينبغي أنْ يُراعى ذلك أثناء عملية التأليف بين الكلمات حيث يُقدَم ما له أهمية فيُؤدِي بذلك دلالة.

و عن كيفية إحداث العلاقة بين اللَفظ [102•] و المعنى، و أيُهما يتحكم في الآخر ترى مجموعة من الباحثين و على رأسهم محمد عبد المنعم خفاجي أنَّ " المعنى هو المتحكم

---

100 - عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني، الديوان(في الأدب و النَقد)، الطبعة الرابعة، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة و الطباعة و النَشر القاهرة 1997م، ص103- 104 .

101 - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 273 .

• - و من تقسيمات اللَفظ التي أوردها الآمدي: - المجمل، و هو " اللفظ الذي لا يُفهم منه عند الإطلاق شيء، و هو فاسد؛ فانه ليس بمانع و لا جامع .

أما إنه ليس بمانع، فلأنه يدخل فيه اللفظ المهمل، فإنه لا يفهم منه شيء عند إطلاقه، و ليس بمجمل؛ لأن الإجمال و البيان من صفات الألفاظ الدالة و المهمل لا دلالة له، و يدخل فيه قولنا: مستحيل؛ فإنه ليس بمجمل مع أنه لا يفهم منه شيء عند إطلاقه، لأن مدلوله ليس بشيء بالاتفاق .

و أما انه ليس بجامع؛ فلان اللفظ المجمل المتردد بين محامل قد يفهم منه شيء، و هو انحصار المراد منه في بعضها، و إن لم يكن معينا، و كذلك ما هو مجمل من وجه، و مبين من وجه، كقوله تعالى: " و آتوا حقه يوم حصاده"، فانه مجمل و إنْ كان يفهم منه شيء " (- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص 11.)

في اللفظ، و هو الذي يستدعيه ،فهي فكرة صحيحة من الناحية العلمية، و إذا نظرنا إلى المسألة من ناحية أخرى وجدنا أن الفكرة (المعنى) لا تستدعي اللفظ إذا كانت جنينية، أي قبل اكتمال خلقها، فإذا اكتمل خلقها و اجتمعت لها صفاتها، و حددت تحديدا حقيقيا، أي إذا وصلت إلى منتهاها، وَثبتْ إليها الكلمة المواتية وثْبا،"[103] فالفكرة حينما تكون واضحة في النَفس تستجيب لها ألفاظ تتأقلم و منحاها الذي ينبغي أنْ تُؤدِيه .

و لعلَ من الذين وقفوا موقفاً وسطاً بين اللَفظ و معناه أبو حيان التوحيدي، حين رأى بأن " الجمال لا يتحقق إلا بمراعاة جانب اللفظ وجانب المعنى، و الاهتمام بهما معا وأنه ليس من الأدب في شيء ذلك الكلام الذي يعتمد على ألفاظ رنانة وعبارات محفوظة دون أن يكون وراءها كبير معنى،كذلك المعاني الشريفة إذا ألبست ألفاظا لا تناسبها جنت عليها وذهبت بقيمتها، "[104] و هو ما يجسد الفهم القويم لمصطلح البلاغة عند الرُماني حيث حصر مفهومها في تبليغ المراد بألفاظ مُناسبة، و هو ما وقفنا عليه في قوله: " و ليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر غير بليغ، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غثً مستكره ونافر متكلف.وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللَفظ، "[105] فبلوغ الفكرة إلى الغير من البلاغة شريطة أن ترد في لفظ حسن الصُورة .

إنَ الأصل في الرَبط القويم بين اللَفظ و معناه يبدأ من وضوح الفكرة على مستوى النَفس و هو ما ذهبت إليه جماعة الدِيوان " و معلوم كذلك أنَ الألفاظ ليست إلاَ واسطة للأداء فلا بدَ أن يكون وراءها شيء، و أنَ المرء يُرتب المعاني أوَلا في نفسه ثُمَ يحذو على ترتيبها الألفاظ، و أنَ كُلَ زيادة في اللَفظ لا تُفيد زيادة مطلوبة في المعنى و فضلاً معقولاً فليست سِوى هذيان يطلبه من أخذ عن نفسه، و غيَب عن عقله،

---

[103] - محمد عبد المنعم خفاجي – محمد السعدي فرهود– عبد العزيز شرف، الأسلوبية و البيان العربي، ص 140.

[104] - محمد عبد الغني الشيخ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنقد، الدار العربية للكتاب 1983م،1 / 269 .

[105] - الرماني أبو الحسن علي بن عيسى(296 هـ - 386هـ)، النكت في إعجاز القرآن، د. ط . د. تا ، ص 75- 76.

" (106) فوضوح المعنى في الذَّات يقتضي ألفاظاً مُناسبة كماً و عدداً، و كُلَّما كانت الأقلمة بينهما قائمة أدَّى ذلك إلى تحقيق المعنى المُبتغى .

إنَّ لعدد الألفاظ في الجملة الواحدة الأثر البالغ في تحديد دلالتها، و هو ما أشار إليه علماء اللُّغة في قولهم بأنَّ " الألفاظ في دلالتها الوضعية إما أن تكون مفيدة مسمياتها بالكمال أو لا تفيد شيئا منها أصلا فأما أن تفيد إفادة ناقصة، فذلك غير معقول، مثاله إذا أردت تشبيه زيد بالأسد في الشجاعة فإن أفدت هذا المعنى بالدلالة الوضعية، و قلت: " زيد يشبه الأسد في الشجاعة " فقد أفدت مقصودك بألفاظ دالة عليه دلالة وضعية، وهذه الإفادة يمتنع تطرق الزيادة و النقصان إليها، لأنَّك إنْ نقصت من هذه الألفاظ شيئا، فقد نقصت من المعنى لا محالة، و إنْ زِدت فيها شيئاً فقد زِدْتَ في المعنى لا محالة، " (107) فالدلالة من هذا المُنطلق تتحكم فيها الألفاظ الواردة في الجملة حيث إذا زادت لفظة أو نقصت أدَّى ذلك إلى خلل في المعنى.

و من التحليلات الواردة في شأن نظرة عبد القاهر الجرجاني للألفاظ و المعاني ما أورده عبد العظيم إبراهيم محمد المرطعي حينما فسَّر موقف الجرجاني و هو ينتصر " للمعاني على الألفاظ كان يرد على مَن جعلوا المزية في اللفظ و بالغوا في قيمته و حافوا على المعنى، و حين انتصر للَّفظ على المعاني كان يواجه المغالين في قيمة المعاني الحائفين على الألفاظ، أمَّا حين سوى بين المعاني و الألفاظ فإنَّه كان يبدي رأيه الخالص في هذه القضية،" (108) فالَّذي يُمكن قراءته من موقف الجرجاني الذي أبدى في الأخير إنصافه للألفاظ و المعاني على حدٍّ سواء لِما لهما من أثر في تحقيق العنصر الدَّلالي يتجلَّى لنا اهتمامه بهما في تحقيق الدَّلالة اللَّفظية (109•).

---

106 - عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني، الديوان (في الأدب و النَقد)، ص104.

107 - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 2004م، ص32.

108 - عبد العظيم إبراهيم محمد المرطعي، المجاز عند ابن تيمية و تلاميذه بين الإنكار و الإقرار، مكتبة وهيبة القاهرة، الطبعة الأولى 1995م، ص50.

• - التي هي محصورة في عناصر أساسية هي:- فهم الألفاظ – مراعاة قصد المتكلِّم، و هي إشارة منه بضرورة مراعاة حال المنتج للُّغة و هو يتكلم ، و بالتَّالي فدلالة اللَّفظ كوحدة لُغوية تتحكم فيها وضعيات أخرى، حيث يرى أنَّ " العبرة في معرفة اللغات بفهم الألفاظ، و فهمها يقتضي الوقوف على مقاصد المتكلمين بها و ما تقوم عليه من مضامين تتعاطاها الجماعة اللغوية ..."
(- لطفي عبد البديع،فلسفة المجاز بين البلاغة العربية و الفكر الحديث، ص85.)

إنَّ التَحكم في اللُّغة لن يتمَّ إلاَّ إذا تمَّ التَّحكم في ألفاظها و معرفة دلالتها، وقد يحصُل هذا الفهم بالممارسة الفعلية لنشاط الكلام – إنْ كان الأمر مُتعلِقاً بالفعل الكلامي – و قد تُذلَّل العملية بعد ذلك نتيجة الممارسة وربطها بقصدية المُتكلم،

مكونات المستوى الدلالي

إنَّ الذي نقصده من المستوى الدلالي هو ما ينصرف إليه اللفظ في الذهن من معان معنوية أو محسوسة، و هو يحمل أركاناً ثلاثة :

أ – الدَّال و هو اللفظ المنطوق، و قد يرِد مُفرداً أو مُركَّباً.

ب – المدلول و يُقصد به الفكرة التي تحملها الكلمات.

ج – النسبة و يُراد بها العلاقة القائمة بين الألفاظ و المعاني التي تدلَّ عليها و مدارها على حالات الكلام و أوضاعه اللُّغوية و المتكلم و السامع، [110] و من هذا المنظور تتعدَّد الدَّلالات– التي سبق و أن أشرنا إليها سابقاً– و يُمكن ضبطها في الأنواع الآتية:

1– الدَّلالة الصَّوتية: و هي التي تستخلص من بعض الأصوات، و بتعبير أدَّق هي الدلالة التي توحيها أصوات الكلمة، و يطلق على هذا النوع من الدلالة اسم المعنى الاستدعائي حيث أنَّ الدَّلالة في هذا المقام تستدعي استخدام الجرس الصوتي في ضبط الدلالة لا المعنى المعجمي.

2– الدلالة الصرفية: و هي التي تهتمَّ بالكلمات من حيث هيئتها و بنيتها، و هي غير مُقترنة بمادة اشتقاقية مُعينة، بل تمتدَّ لتشمل جميع ما يترتب على الأصول من المفردات وفق هيئة مُعينة نحو قولنا: (باحث) و في تفكيكنا لهذه المادة و إرجاعها لأصلها نقف على (ب ح ث) فمن المشتقات (البحث) و (باحث) و (مبحوث) و بهذا الشكل تتغير دلالة الكلمة من وزن لآخر.

3– الدلالة النحوية: و هي نتيجة العلاقات التي تنتظم وفقها الجملة فمثلاً (النجم الرجل ، العابد) مثل هذه الكلمات ليس لها معنى نحوي حتى توضع في تركيب معين كأن تُصبح وفق تركيب : " الرجل العابد كالنجم " و هنا تتجلى العلاقات النحوية بين هذه الكلمات فتُشكًا دلالة مُعيَّنة تُعرف بالوظائف النَّحوية، أو المعاني النَّحوية [111] .

فتزول تلك الغرابة و يحصلُ له فهمها، كما يحصل فهم الألفاظ في النَّص القرائي بناء على معرفة دلالاتها المعجمية، و ربط إحدى الدلالات بالقرينة الموحية لها .

110 - أُنظر:عبد الغفار حامد، علم اللغة بين القديم و الحديث، الطبعة الثانية، ص 190، 194 .

111 - أُنظر: فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة،مكتبة الخانجي القاهرة 1977م، ص309.

مظاهر التطور الدلالي

إنَّ حياة الألفاظ شبيهة بحياة البشر حيث تتأثر و يؤثِّر بعضها في البعض الآخر، تموت ألفاظ و تحيى ألفاظ أخرى كما تتوسَّع بعض الألفاظ في دلالتها و تضيق أُخرى و قد درس بعض الباحثين اللُّغويين هذه الظاهرة و حاولوا تفسيرها، فمنهم مَن أثبت أنَّ تغيُّر دلالة الألفاظ ناتج عن أسباب منها التطور الاجتماعي، الانحراف اللُّغوي، الانتقال المجازي، الابتداع و الخلق ...[112] و لعلَّ أكثر مظاهر التَّغيُّر الدَّلالي بروزاً هما ظاهرتي: التَّخصيص و التَّعميم، و هو ما سنوليه بشيء من التَّوضيح.

أ. تخصيص الدلالة :

و هو ما يعرف عند كثير من الباحثين بتخصيص المعنى [113] حيث يضيق و لا يتَّسع لأداء معان أخرى، و قد تعرَّض ابن منظور لمثل هذا النَّوع من مظاهر التبدل الدلالي، فمثلا في مادة " (حوت) الحوت: السمكة و في المحكم: الحوت السمك معروف، و قيل هو ما عظم منه، و الجمع أحوات و حيتان ..." [114] و الذي يتجلَّى لنا في تغيُّر الدَّلالة هنا أنَّ كلمة الحوت كانت تُطلق على السمك الكبير و الصغير، ثُمَّ تخصَّصت دلالتها فأصبحت تدلُّ على السمك الكبير فقط، و هو ما وقف عليه المفسرون للآيات التي تضمنت لفظ (حوت)﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [115] حيث فسَّرها ابن عاشور على نحو يتماشى و تخصيص دلالتها " و الإلتقام: البلع، و الحوت الذي التقمه: حوت عظيم يبتلع الأشياء و لا يعضُّ بأسنانه و يقال: إنَّه الحوت الذي يُسمَّى (بالين) بالإفرنجية . " [116]

إنَّ الحقيقة المُؤكَّدة في المعاجم اللُّغوية في شأن تخصيص الألفاظ في دلالتها كثيرة، و من الأمثلة المُجسَّدة لها كلمة (الصحابة) التي كانت تعني مطلق الصحبة، ثُمَّ خُصِّصت بأصحاب رسول الله- ﷺ - " و في حديث قيلة: خرجت أبتغي الصَحابة إلى رسول

---

112 - أُنظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية و التطبيق، دار الفكر، دمشق 1985م، ص21.

113 - أُنظر: محمود السعران، علم اللغة، ص230.

114- ابن منظور،لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، 13 / 1037.

115 - سورة الصافات، الآية142.

116 - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر 1984م. 23 / 176.

الله – ﷺ – هو بالفتح جمع صاحب، و لم يُجمع فاعِلٌ على فَعالَة إلاّ هذا، قال امرؤ القيس:

فكَانَ تَدانِينَا و عَقْدُ عِذَارِهِ * و قَالَ صِحَابِي : قَدْ شَأَوْنَكَ فاطْلُبِي** " *(117)*

ب. تعميم الدَّلالة:

من مظاهر الدَّلالة اللَّفظية أنَّها تتمظهر في كثير من حالاتها بخاصَّية التَّعميم، حيث يقوم هذا الأخير على " توسيع معنى اللَّفظ و مفهومه و نقله من المعنى الخاص الدَّال عليه إلى معنى أعمَّ و أكمل " *(118)* و من الأمثلة المجسدة لهذا المنحى كلمة (فرعون) التي نعت بها الله – عزَّ و جلَّ – الطاغية الذي نعته الله في كتابه بجملة من الأوصاف منها ما جاء في قوله: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ *(119)* و من مظالم فرعون سفك الدماء و هتك أعراض النساء، و هو ذروة الظلم الذي اتَّصف به فرعون، و في المعجم تتضح لنا دلالة هذه الكلمة أكثر حيث وقفت على شرحها التالي:" و قد تفرعن علينا فلان، و ما هو إلاّ فرعون من الفراعنة، و تقول: أعوذ بالله من تيه الفراعنة و من سفه الفراعنة . " *(120)*

إنَّ الملاحظ لدلالة هذه اللفظ يستقرَّ رأيه على أنَّها لم تعد محصورة في شخصية فرعون الأوَّل، بل تجاوزته لتشمل كلَّ مَنْ اتَّصف بصفاته فأصبحت دلالتها عامَّة مقارنة لما كانت عليه.

و في مُقارنة لطيفة بين تعميم الدلالة و تخصيصها رأى بعض الباحثين أنَّ تعميم الدلالة أقلَّ شيوعاً في اللغات من تخصيها. *(121)*

إذا كان مفهوم دلالة الألفاظ محصور في المعنى الذي تُؤدِّيه، فجدير بي أن أتتبَّع دلالتها عند علماء اللَّغة و الأصوليين، و كيف تعامل معها كلَّ فريق، و بمعنى أدَّق هل دلالة اللَّفظ الواحد ثابتة في معناها بين اللَّغويين و الأصوليين ؟ أم أنَّها تخرج بين الحين

---

117 - إبن منظور، لسان العرب، 4 / 2400

118 - أُنظر: محمد المبارك، فقه اللُّغة و خصائص العربية، ص218.

119 - سورة البقرة، الآية49.

120 - الزمخشري، أساس البلاغة، 2 / 19.

121 - و هو ما وقفت عليه في كتاب دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، ص154.

و الآخر إلى دلالات جديدة في الاتجاه الواحد ؟ ما طبيعة هذه الدِّلالة ؟ و ما هي الحيثيات اللُّغوية التي تتحكم فيها ؟

هذا ما سأسعى إلى تبيينه و توضيحه في المحور الآتي .

أوَّلاً : دلالة الألفاظ عند اللغويين

لقد وقف اللُّغويون على الدَّال و المدلول، و فرقوا بين الدلالة القائمة بينهما " إنَّ الدَّلالة على الشيء ما يُمكن كُلّ ناظر فيها أنْ يستدلّ بها عليه كالعالم لما كان على الخالق كان دالاّ عليه لكلّ مُستدلّ به، و علامة الشيء ما يُعرَفُ به المعلم له، و لِمَنْ شاركه في معرفته دون كُلَّ واحد، كالحجر تجعله علامة لِدفِين تدْفنه فيكون دولة لك دون غيرك، و لا يُمكِنُ غيرك أنْ يستدلّ به عليْه إلاّ إذا وافقته على ذلك كالتَّصفيق تجعله علامة لمجيء " زيد " فلا يكون ذلك دلالة إلاّ لِمَنْ يُوافقك عليه، ثُمَّ يجوز أنْ تزيل علامة الشيء بينك و بين صاحبك، فتخرج من أنْ تكون علامة له، و لا يجوز أنْ تخرج الدَّلالة على الشيء من أنْ تكون دلالة عليه، فالعلامة تكون بالوضع و الدَّلالة بالاقتضاء، " *(122)* و من هذا المنطلق يُمكن اعتبار ما توحي إليه الدلالة أعمَّ و اشمل لما تهدف إليه العلامة .

إنَّ ما أثبته العلماء من تفريق بين الدلالات يُجسِّد حقيقة هذا المسعى في التمييز بينهما باعتبار أنَّ " العرف إمَّا قولي أو عملي، و العرف القولي نوع من التغيير الدلالي يسير بدلالة الكلمة من الاتساع إلى التضييق غالبا، كإطلاق لفظ الدابة على ذوات الحمل خاصة وهي في الأصل لكلِّ من يدبُّ على الأرض، أما العرف العملي، فهو ما جرى عليه عمل الناس وتعارفوا عليه في سلوكهم و تصرفاتهم. " *(123)*

إنَّ دلالة الألفاظ من هذا المنطق قائمة على ما هو قولي، و ما هو عملي و كلاهما ناتج عن حتمية عرفية قائمة بين أفراد المجتمع الواحد. *(124•)*

---

122 - أبو هلال العسكري، الفروق في اللُّغة، ص 61- 62 .

123 - أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي(ت 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1988م، ص172.

• - و هو ما أكَّده أحمد مختار عمر في تعريفه لها حيث قيَّدها في " دِراسة المعنى أوْ العلم الذي يدرس المعنى، أوْ ذلك الفرع الذي يدرس الشُّروط الواجب توفرها في الرَّمز حتَّى يكون قادراً على حمل المعنى. "
(- أحمد مختار عمر، علم الدَّلالة، عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الثانية 1988م، ص 11.)

و من المُحدثين مَن حصر علم الدلالة في " دراسة المعنى " [125] حيث تتتبَّع القضايا المُبهمة و تسعى لإزالة الغموض عن عناصرها خاصَّة في الجمل المُركَّبة باعتبار أنَّ لتآلف الألفاظ و اجتماع عناصرها و وحداتها في جمل تنتج عنه دلالة ما، فإنَّ " كُلَّ كلمة لها معنى و ليس لها دلالة؛ لأنَّ الدلالة من خصائص الجملة، و الجملة لا تتوفر إلا بتوفر التركيب... فإذا كان المعنى يوجد بدون تركيب، فإنَّه يستحيل أن توجد دلالة بدون تركيب." [126]

وهو بذلك يُقرُّ حقيقة مفادها أنَّ الدَّلالة لا تحدث إلاَّ في توالي وحدات كلامية أو لفظية، ففي ثنايا هذا التَّركيب توجد الدَلالة، إلاَّ أنَ من الباحثين مَن لا يُفرِّقُ بين دلالة اللَّفظ و دلالة الجملة، و ربَّما يرجِع هذا إلى مُنطلق الدراسة البلاغية التي تولي للكلمة المفردة أهمية في تحوير المعنى العام للجملة، و هو ما وقف عليه أحد الباحثين في قوله: " إنَّ البحث عن دلالة المفردة، أو دلالة الجملة لا يتهيأ للإنسان إلاَّ إذا عاد إلى هذه الأصول و عرفها، و فهم دلالات المفردات بالقياس إليها، فكانت قاعدة الأصل أساسية لمعرفة دلالات الألفاظ أو دلالات التراكيب، " [127] فهو لا يُجزم القول بالفصل بين معنى المفردة، و دلالة الجملة بل نراه لا يُفرِّقُ بين دلالة المُفردة و دلالة الجُملة، و يُخيِّرنا بينهما، فدلالة التركيب لا يُمكن بلوغها و تحقيقها إلاَ بفهم و معرفة دلالة الألفاظ التي بدورها لنْ تتحقَق إلاَّ إذا اجتمعت بعض الشروط التي حصرها صاحبها في قوله: " لكيْ تنْعقِد الدَّلالة اللَّفظية لا بُدَّ من ثلاثة أمور:

- اللَّفظ و هو نوع من الكيفيات المسموعة .
- و المعنى الذي جُعِل اللَّفظُ بإزائه .

إذا كان علم الدَّلالة عند العرب القدامى و المحدثين قد أخذ مفهوم المعنى بشكله العام، فهو عند الغربيين المُحدثين لا يخرج على نطاق هذه الدَّلالة " المعنى "، و هو ما أكَده بيار جيرو حيث يعتبرها " القضية التي يتمَّ خلالها ربط الشيء و الكائن و المفهوم و الحدث بعلامة قابلة لأنْ توحي بها ... "

(- بيار جيرو، علم الدَّلالة، ترجمة أنطوان أبو زيد، الطبعة الأولى 1986م، منشورات عويدات بيروت - لبنان، ص 15.)

[125] - جون ليونس، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة عليم حسين فالح كاظم حسين باقو، كلية الآداب البصرة، جامعة البصرة، مطبعة جامعة البصرة 1980م، ص9.

[126] - علي آيت أوحشان، السياق و النَّص الشعري من البنية إلى القراءة، د. ط، د. تا، ص43.

[127] - سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز (دراسة في المجاز الأسلوبي و اللغوي، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق، الطبعة الأولى 1996م، ص70.

– و إضافة عارضة بينهما هي الوضع، أيْ جعل اللَّفظ بإزاء المعنى، على أنَّ المُخترع قال: إذا أطلق هذا اللَّفظ فافهموا هذا المعنى. " *(128)*

و من العلماء والباحثين مَن قدَّموا مفهوماً أوسع للدلالة حيث توسموها في المعنى المستنبط من النصوص والألفاظ (129•)، *(130)* و هي بذلك تشمل فضاء النَّصَّ بالإضافة إلى اللَفظة.

لقدْ أثَّرَ القرآن الكريم في التَّوسع الدَّلالي للألفاظ حيث أفاد الكثير منها بدلالات جديدة، فإنَّ ذلك بدوره قد أثَّر في تنوَّع المجالات الدَّلالية عند علماء العرب و شملت بذلك اهتمامات اللُّغويين، فتكون بذلك قد " شغلت به عدَّة بيئات لأسباب متنوعة، فاللُّغويون من أصحاب المعاجم اهتمُّوا بالدلالة في إطار تحديدهم لدلالة الألفاظ، و البلاغيون شغلوا بقضية الحقيقة و المجاز..." *(131)* .

---

128 - التَّحتاني قطب الدّين الرَّازي، تحرير لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار، مطبعة السَّناوي القاهرة 1303 هـ، ص 28 .عن طريق عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت، الطبعة الأولى 1985م، ص 16 .

• - و من الدراسات التي أثبتت صعوبة ضبط دلالة اللَفظ، و هو ما نقف عليه في بعض النُّصوص الواردة في الكتب المدرسية حيث يلجأ المؤلف إلى حصر مُختلف الدَّلالات المعجمية للَّفظ الواحد حيث " ترد في الكتب الدراسية أحيانا كلمات تفسر بألفاظ و عبارات متعددة، و قد تكون هناك فوارق دقيقة بين معاني هذه الألفاظ و العبارات، و لا يتمكن الناشئ من تمييز هذه الفوارق و لا من تحديد المراد أو تعيين اللفظ الذي يفسر الكلمة المشروحة على نحو واضح و محدد، فيبقى معنى الكلمة قلقا مضطربا في ذهنه، و تظل الكلمات الشارحة المتعددة مختلطة متراكبة في تفكيره . "
(- أحمد محمد المعتوق، ظاهرة اللفظية:أسبابها، نتائجها وسائل علاجها، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس الآداب[2] 1993م، مطابع جامعة الملك سعود، ص 506 .)
الأمر الذي دفع بضرورة مُراعاة دلالة اللَّفظ في النَّصِّ و تقييدها بناءً على جملة من المُعطيات .
إنَّ ما رآه جيلالي حلاَّم في شأن تعدُّد القراءات للنَص الواحد تفرضه جُملة من المُعطيات المعروفة " بالقرينة والرمز والسمة والأمثولة، وهي كلها تحيل على علاقة بين طرفين (مرسل ومستقبل) في شكل تنظيم صوري للمحتوى فيما بين المدلولات، ويتم التوافق في هذه الحال بين أشكال التلقي من حيث فهم المحمولات الإشارية وتعدد القراءات، وفق عملية استكشاف للمعاني المصاحبة، وهي معان لا توجد في المعاجم، وإنما تستنطق من السابق واللاحق و المتشاكل والمتناقض والمتناص وغيرها من المظاهر التي تزخر بها وحدات النص القرائية."
(- حلاَّم الجيلالي، المنهج السيميائي و تحليل البنية العميقة للنَّص، الموقف الأدبي مجلة أدبية، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد365، أيلول 2001م، ص36 .)
فالمعاني الحقيقية المُتوخاة من النَّصِّ لا يُمكن استجلاؤها من المعاجم، و إنَّما من خلال وحدات النَّصِّ و ربط بعضها ببعض .
130 - أُنظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ص8.

131 - محمود فهي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، د . تا، ص 135.

و قصد الوقوف على نظرة اللُغويين لدلالة الألفاظ، و كيف تعاملوا معها سأعمد على تتبُع نظرة كلً فريق، و لكن ليس من باب المسار التاريخي لها و ذلك لكون أنَ الدراسات التي سبقتنا في هذا المجال تعرَضت لهذا الجانب بشيء من التوسُع .

لقد اهتم العرب أيّما اهتمام بالألفاظ، [132•] و تكاد البحوث في هذا المنحى تُجمع على أنَ من أسرار تسميتها بذلك يرجع إلى أنَ " اللَفظ من الكلام: ما يخرج من الفمِ من أصوات " لفظ بالكلام و تلفظت به أي: تكلَمْت به، قال تعالى: " ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [133]، و هو ما أقرَه اللُغويون، فاللفظ في عرفهم هو ما يخرج من الفمِ في صورة أصوات لكلمات و رمز له بأشكال كتابية للدلالة على منطوق له معنى، " [134] فاللَفظ من هذا المنظور هو كُلً منطوق من القول في شكل أصوات دالة على معنى .

و من العلماء اللَذين أفردوا أبواباً في مؤلفاتهم لهذا الجانب المبرِّد في كتابه الكامل سماه: من ألفاظ العرب البيِنة القريبة المفهمة بعد أن ضبط كلام العرب و خصَه بجملة من الخصائص حيث قال : " فمن ألفاظ العرب البينة القوية المفهمة، الحسنة الوصف الجميلةِ الرَّصفِ قولُ الحطيئةِ :

و ذاكَ فتَى إنْ تَأتهِ في صَنيعَةٍ * إلى مالِهِ لا تَأْتِهِ بِشَفِيعِ**

• - و اللفظ في عرف اللغويين هو ما يخرج من الفمِ في صورة أصوات لكلمات، و رمز له بأشكال كتابية للدلالة على منطوق له معنى .
و في تفسير البغوي بيَن أنَ المقصود من التَلفظ مُطلق الكلام، حيث نقرؤه في قوله: " (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ)، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي : يرميه من فيه ... "
(- الإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)، تفسير البغوي، معالم التنزيل، حقَقه محمد عبد الله النَمر و آخرون، دار طيبة للنَشر و التَوزيع الرياض 1411هـ ، سورة ق،26 / 359.)
- و قد فرَق حنفي بن عيسى بين اللفظة و الكلمة و بيَن أنَ الفرق بينهما كائن في دلالة الوضع، و هو ما نقرؤه في قوله : " وأماً اللَّفظة فهي جنس للكلمة وذلك أن تشمل المهمل و المستعمل، فالمهمل ما يُمكن ائتلافه من الحروف، ولم يضعه الواضع بإزاء معنى، نحو ((صص و كق))، ونحوهما، فهذا وما شابهه لا يُسمَّى كلمة، لأنَّه ليس من وضع الواضع، بلْ يُسمّى لفظة، لأنَّه مجموعة من الحروف الملفوظ بها ."
(- حنفي بن عيسى،محاضرات في علم النفس اللغوي،ص 64 .)
فالألفاظ من هذا المنظور فيها من المُهمل و هو لا يُجسِد دلالة و فيها من المُستعمل، و هو المجسِد لدلالة ما خلافاً للكلمات التي هي من وضع الواضع ...
[133] - سورة ق، الآية18.
[134]- محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية 2002م، ص 19 .

و كذلك قول عنترةَ :

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أنَّنِي * أَغْشى الوَغَى و أعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ**

و كما قال زُهيْرُ :

على مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ * و عنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ و البَذْلُ** " *(135)*

إنَّ من الخصائص التي استحسنها المبرد في هذه الأبيات و التي على ضوئها حكم لأصحابها بالإبانة في الألفاظ يوحي بأنَّ من معايير الارتقاء بالأعمال ما له علاقة بالألفاظ .

و لابن جنِّي موقف بارز من الألفاظ و علاقتها بالمعاني حيث اعتبرها بمثابة الدَّليل لبلوغ المعنى و تحقيقه، و مِمَّا جاء في هذا الشَّأن قوله: " اعلمْ أنَّه لمَّا كانت الألفاظ للمعاني أزِمَّةً و عليْها أدِلَّةً، و إليها مُوصلةً و على المراد مِنها محصِّلة عُنِيَت العرب بها فأوْلتْها صدْراً صالحاً من تثْقيفها و إصلاحها،" *(136)*.

كثيرة هي العلوم التي تعتمد على الألفاظ في مجال بحثها *(137•)* حيث تُعدُّها أرضية لاستقصاء حقائق و هي في الحقل اللُغوي تتموقع في المُستوى الدَّلالي *(138•)*، " فكُلَّ

---

135 - أبو العباسي محمد العباس محمد بن زيد المبرد، الكامل للمبرد في اللغة و الأدب، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت 2004م، 1 / 26 .

136 - ابن جنِّي أبو الفتح عثمان (330 – 392 هـ)،الخصائص، تحقيق:عبد الحكيم بن محمد، 1 / 267 .

• - و هو ما ذهب إليه إبراهيم أنيس حينما بيَّن علاقة الحدود اللُّغوية بين مُختلف العلوم، " فالألفاظ لاتصالها الوثيق بالتَّفكير كانت - و مازالت – مجالاً مُهمّاً للدّراسة الفلسفية، و لصلتها بالعقل و العاطفة يتناولها أصحاب علم النّفس و لكنّها – قبل هذا و ذاك – عنصر من عناصر اللُّغة، و لِذا يعرض لها اللُّغويون أيضاً في بحوثهم، و يتناولونها من زاويتهم الخاصّة، و إنْ كانت دراسات كُلّ هؤلاء من أهل العلم تتشابك حدودها و تتقارب في بعض نواحيها حين تعرض للألفاظ و دلالة الألفاظ . "
(- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 6 -7 .)

• - في هذا المجال يرى منقور عبد الجليل أنَ اهتمام اللغويين بدراسة الدلالة كان مقتصراً على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معين "
(- أُنظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 16.)

معرفة هي في واقعها أفكار و معاني تحملها ألفاظ، و إنَّ كُلَّ مُتكلّم أوْ سامعٍ إنَّما يدور في فلك الألفاظ و المعاني . " [139]

و للإحاطة بدلالة الألفاظ في الحقل اللُّغوي رأيت أنْ أتتبعها من مناظر و مستويات ذات صلة بالدَّرس اللَّغوي، و كيف نظر إليها كلٌّ فريق ؟

العلاقات الدلالية

لقد كان لأثر اللَّهجات العربية و اختلافها بين القبائل الدور البالغ في اختلاف دلالة الألفاظ و تباين معانيها الأمر الذي أدَّى إلى ظهور بعض المصطلحات في هذا المجال، و التي فرَّق بينها اللَّغويون كتلك التي تتعلَّق بالترادف و المشترك والأضداد، و التباين... التي سنوليها بالشَّرح و التَّحليل.

أ – الترادف

هو أنْ يدلَّ أكثر من لفظ على معنى واحد و قد اهتمَّ اللَّغويون القدامى بهذا المجال، و ما يُمكن استنباطه من دراساتهم له أنَّهم اختلفوا حوله، فمنهم مَن أثبته و منهم مَن أنكره، إلاَّ أنَّ الذي ينبغي أنْ نُقرَّه هو أنَّ التَّرادف قائم في اللُّغة، و أنَّ الألفاظ المترادفة لا تُؤدِّي دوماً نفس المعنى، و بالتالي فحتمية وجود فروق معنوية تجعل كلَّ لفظ يمتاز عن الآخر في دلالته، مِمَّا يُكسب الألفاظ شيئاً من الاستقلال، و قد أكَّد هذه الفكرة السيوطي في قوله: " و احترزنا بالإفراد عن الاسم و الحدِّ، فليس مُترادفين، و بوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف و الصَّارم، فإنهما دلاَّ على شيء واحد[140•]، لكن باعتبارين:

---

[139] - عبد القادر عبد الجليل، اللُّغة بين ثنائية التَّوقيف و المواضعة، دار صفاء للنشر و التَّوزيع عمان – الأردن، الطبعة الأولى 1997م، ص36 .

• - إنَّ الأصل في علاقة ألفاظ اللُّغة بمعانيها إمَّا أنْ تتَّحد ببعضها البعض، و هي التي تُسمَّى بالمفرد باعتبارها واحدة و مدلولها واحد، فاللَّفظ إذاً ينفرد بمعناه أمَّا حينما يتعدَّاه فهي " الألفاظ المتباينة كالإنسان و الفرس و غير ذلك من الألفاظ المُختلفة ، الموضوعة لمعانٍ مُختلفة؛ و حينئذ إمَّا أنْ يمتنع اجتماعها، كالسَّواد و البياض، و تُسمى المتباينة

أحدهما على الذَّات و الآخر على الصِّفة، و الفرق بينه و بين التوكيد أنَّ أحد المترادفين يُفيدُ ما أفاده الآخر، كالإنسان و البشر، " [141] و لعلَّ السِّرَّ في ذلك يرجع إلى تعدُّد اللَّهجات العربية التي بدورها ساعدت على بلورة الترادف اللَّفظي، و الأمثلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في شرح مادة (أسف): " و الأسف عند العرب الحزن و قيل أشدُّ الحزن، و قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿...إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ [142] معناه حزنا و القول الآخر أن يكون معنى أسف على كذا و كذا أي جزِع على ما فاته، " [143] فلفظ الحزن و الجزع دلاَّ على معنى الأسف.

و كذلك من الأمثلة المُجسَّدة للترادف لفظ (حصب) الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [144]

و في شأن بيانها الوارد في معجم لسان العرب قوله: " قال الفرَّاءُ: ذكر أنَّ الحَصَبَ في لُغة أهلِ اليمن الحطبُ، و رُوي عن عليٍّ – كرَّم الله وجهه – أنَّه قرأ حَطَبُ جهنَّمَ، و كُلَّ ما أَلْقَيْتَهُ في النَّار فقد حصبتْها به، و لا يكون الحصبُ حصباً حتَّى يُسجَرَ به، و قيل: الحصبُ: الحطَبُ عامَّةً، " [145] فالتَّرادف اللَّفظي من فوائده في التَّحصيل اللُّغوي إطلاع القارئ للُّغة على مكنونها في المعنى الواحد.

ب – المشترك اللَّفظي

المُتفاضلة، أو لا يمتنع كالاسم و الصِّفة نحو السيف و الصَّارم، أو الصِّفة و صفة الصِّفة كالناطق و الفصيح، و تُسمَّى المُتباينة المُتواصلة "

(- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك – محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث القاهرة، 1 / 368.) فالمتباين من الألفاظ نوعان: أ - مُتباين مُتفاضل – ب – مُتباين مُتواصل .

141 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها،تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك و آخرون، 1 / 402.

142 - سورة الكهف، الآية6.

143 - ابن منظور، لسان العرب، باب الألف مادة أسف، 1 / 79.

144 - سورة الأنبياء، الآية98.

145 - ابن منظور، لسان العرب،مادة حصب، 9 / 894 .

" و قد حدَّه أهل الأصول بأنَّه اللَّفظُ الواحد الدَّال على معنيين مُختلفين فأكثر دلالةً على السَّواء عند أهل تلك اللُّغة؛ و اختلف الناسُ فيه؛ فالأكثرون على أنَّه مُمكنُ الوُقوع؛ لجواز أنْ يقعَ إمَّا من واضعيْنِ، بأن يضع أحدُهما لفظاً لِمعنى، ثُمَّ يضعه الآخرُ لِمعنى آخر، و يشتهر ذلك اللَّفظ بين الطَّائفتين في إفادته المعنيين، و هذا على أنَّ اللُّغات غير توقيفية، " *(146)* فهو من هذا المنظور أن يدل اللَّفظ الواحد على أكثر من معنى، قد عرفه القدامى و بيَّنوا أسبابه حيث حصروها في الاستعمال المجازي للألفاظ عموماً،" و اعلم أنَّ الحنفية إنما أخذوا التَّكوين من قوله تعالى﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أنْ نقول له كُنْ فيكون﴾ فجعلوا قوله كُنْ مُقدَّماً على المُكون و هو المُسمَّى بالأمر و الكلمة فقالوا عبَّر الله تعالى عن التَّكوين بكلمة كُنْ، و عن المُكوّن بقوله فيكون و التكوين و الاختراع و الإيجاد و الخلق ألفاظ مُشتركة في معنى ، و تتباين بمعان و المشترك في كون الشيء مُوجداً من العدم " *(147)* و من الأمثلة الدالة عليه لفظ " (سربل) السربال: القميصُ و الدِّرعُ، و قيل: كُلَّ ما لُبِسَ فهو سِربالٌ، و قد تسربل به، و سربله إيَّاه، و سربلتهُ فتسربل أيْ ألبسْتُهُ السِّربال، و في حديث عثمان – رضي الله عنه – لا أخلعُ سِربالاً سربلنيه الله تعالى، السربال: القميص، و كنَّى به عن الخلافة. " *(148)*

إنَّ خُرُوج لفظ (سربل) من معنى مُطلق اللِّباس إلى المعنى المجازي(الحكم و الخلافة) هو تجسيد لاشتراك نفس اللَّفظ في أكثر من معنى.

و من الأمثلة التي وقفت عليها في المعجم لفظ " (شطر) الشطر: نصفُ الشيء، و الجمعُ أشْطُرٌ و شُطُورٌ.

و شطرْتُهُ: جعلتُه نصفين، و في المثل: أحلُبُ حَلَباً لك شَطْرُهُ.

---

146 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك و آخرون، 1 / 369.

147 - العلامة الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عدية – رحمه الله تعالى - ،الرّوضة البهية فيما بين الأشاعرة و الماتريدية ،الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند 1322 هـ ، ص 42 . 43 .

148 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة سرب ، 3 / 1983.

و شطرَه مالَهُ: ناصَفَهُ،" [149] و من دلالاته كذلك: " و شطر الشيء: ناحيتُهُ، و شطر كُلِّ شيء: نحوُهُ و قصدُهُ.

و قصدْتُ شَطرَهُ أيْ نَحوَهُ؛ قال أبو زِمباعٍ الجُذاميّ:

أَقُولُ لأُمِّ زِنباعٍ: أَقِيمِي * صُدُورَ العِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمِ**

و في التَّنزيل العزيز: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، و لا فعل له.

قال الفرَّاء: يُريدُ نحوَهُ و تِلْقاءَهُ." [150]

فالملاحظ لهذا المدخل المُعجمي يقف على حقيقة اهتمام المُعجميين بالعلاقات الدِّلالية.

ج- الأضداد

إنَّ المتضادَّ من الألفاظ هو نوع من المشترك اللَّفظي، و هو يعني اتفَّاق اللَّفظين و اختلاف المعنيين و هو ما أثبته السيوطي في قوله: " أمَّا اختلافُ اللَّفظين و المعنى واحد فقولك: ظَنَنت و حسَبْتُ؛ و قعدتُ و جلَستُ؛ و ذِراع و ساعِد؛ و أنف و مَرْسن.

و أمَّا اتِّفاق اللَّفظين و اختلافُ المعنييْن فقولك: وجدت شيئاً إذا أردْتَ وِجدان الضَّالة، ووجدت على الرَّجل من المَوجدَة، ووجدتُ زيداً كريماً أي علِمتُ، و كذاك ضربتُ زيداً، و ضربْتُ مثلاً، و ضربْتُ في الأرض إذا أبْعدت.

و كذلك العين؛ عينُ المال، و العين التي يُبصِر بها، و عينُ الماء، و العينُ من السَّحاب الذي يأتي من قبل القبلة، و عين الشيء إذا أردتَ حقيقته، و عين الميزان، "

---

149 - المصدر نفسه، مادة شطر 4 / 2261.
150 - المصدر نفسه، مادة شطر 4 / 2263.

[151] و المُتصفِّح للمعجم اللُّغوي يقف على التفات أصحاب المعاجم له بين الحين و الآخر، كتلك التي وقفت عليها في مادَّة (جلل) " و الجللُ الأمر العظيم قال وَعلة بن الحارث : **قَوْمِي هُم قَتَلوا أُمَيْمَ أخِي *** فإذا رميتُ يُصِيبُني سَهْمِي**

فلئن عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً * و لئن سَطَوْتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي**

و الجَلَلُ أيْضاً: الهيِّنُ و هو من الأضداد.

قال امرؤ القيس لمَّا قُتل أبوه : **ألا كُلُّ شيء سِوَاهُ جَلَلْ**

أيْ هيِّنٌ يسيرٌ " [152]

و الأمثلة المبيِّنة لهذه العلاقة كثيرة في المعاجم اللُّغوية منها ما تضمنته مادَّة (صرخ) " الصُراخُ: الصَّوت، تقول: صرخَ صَرْخَةً، واصْطَرَخَ بِمَعنىً.

و التَّصرُّخُ: تكلُّف الصُراخِ. يُقال " التَّصرُّخُ به حُمْقٌ" أي بالعُطاس.

و المُصرِخُ: المُغيثُ. و المُسْتصْرِخُ المُستَغيثُ.

تقول منه: استصرخني فأصْرَخْتُهُ. و الصريخُ: صوتُ المُستَصْرِخ.

و الصريخُ أيضاً الصارخُ، و هو المُغيثُ و المُستغيثُ أيضاً، و هو من الأضداد. " [153] مثل هذا التَّبيين من المعجميين في شأن العلاقات الدلالية يوحي بحقِّ شمولية محتوى المعجم و لو بشيء من التَّعميم فيما له علاقة بالجوانب اللُّغوية.

ثانياً – **دلالة الألفاظ عند الأصوليين**

---

151 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك و آخرون، 1 / 388.

152 - الجوهري، الصَّحاح، 4 / 1659.

153- المصدر نفسه، 2 / 426.

إنَّ اللُّغة عند الأصوليين ليست غاية في ذاتها، بل هي مبدأ من مبادئه و بما أنَّ النَّص المتعامل معه عربي اللُّغة وجبت معرفة " سِعة لسان العرب و كثرة وجوهه و جماع معانيه و تفرّقها؛ " [154] لأنَّ من عادة العربي التَّوسّع في لُغته، و هو في ثنايا ذلك يستعمل العام الظَّاهر، و قد يُريده كما يُريد به الخُصوص، و قد يتكلَّم بالشيء يعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللَّفظ، [155] مثل هذه المعرفة في نظر الأصوليين لا تتمّ إلا بعلوم اللُّغة العربية، و ذلك " لتوقف معرفة دلالات الأدلَّة اللَّفظية من الكتاب و السَّنة، و أقوال أهل الحلّ و العقد من الأمَّة على معرفة موضوعاتها لُغة، من جهة الحقيقة و المجاز، و العموم و الخصوص، و الإطلاق و التَّقييد، و الحذف و الإضمار، و المنطوق و المفهوم، و الاقتضاء و الإشارة، و التَّنبيه و الإيماء، و غيره مِما لا يُعرف في غير علم العربية. " [156]

و مِمَّا يُمكن استخلاصه من قول الآمدي أنَّ الدَّلالة الشرعية عند الأصوليين لا تتحقَّق إلاَّ بتحديد دلالة لُغة النَّصّ، و قد نقف على دلالات مُخالفة للدَّلالة اللُّغوي، و قدْ يدلّ وظيفياً دلالة مُخالفة لدلالتيه اللُّغوية و النَّسقية، و في هذه الحالة بالطَّبع تكون عملية استخلاص الدَّلالات و حصرها مُتعدِّدة الإمكانات، و هو ما لا يتمّ إلاَّ بفضل نوع آخر من القواعد، و يتعلَّق الأمر بالقواعد التَّرجيحية التي بفضلها يتمّ تحديد درجة حجية كُلّ مجموعة من مجموعات القواعد الثلاثة، (اللُّغوية، النسقية ، الوظيفية) من المجموعات الأخرى، [157] فالقواعد اللُّغوية قد تحتمل عِدَّة ترتيبات، و يظهر ذلك جليًا عندما ننظر إلى(حروف المعاني) حيث أنَّ للحرف الواحد عدَّة مستويات دلالية في اللُّغة،و هي بذلك تتفاوت في القوَّة و الظُّهور، و من الأمثلة على ذلك حرف (الفاء) الذي يُفيد التَّرتيب نحو: دخل زيد فخرج عمرو، كما تُفيدُ التَّعليل نحو: زنى ماعز فرُجِم.

فكان لا بُدَّ لِفهم نصّ يتكوَّن من رابط (الفاء) مثلاً من أن تُقدِّم دلالته على التَّرتيب أوْ تُقدِّم دلالته على العليَّة، و بذلك احتيج إلى قاعدة ترجيحية ترفع التعارض عند وقوعه،

---

154 - الشَّاطبي، الموافقات في أصول الشَّريعة، تحقيق: عبد الله درار ، دار المعرفة بيروت لبنان، 2 / 96.

155 - ينظر: محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة دار التراث القاهرة، ص169.

156 - الآمدي سيف الدين أبو الحسين(ت631)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميل، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية 1986م، 1 / 10.

157 - أُنظر: حمو النَّقاري، المنهجية الأصولية و المنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقيّ الدِّين بن تيمية، الشركة المغربية ولادة، الدَّار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، ص117- 118.

و من هذا المنطلق فإنَّ الأصوليين أثناء تعاملهم مع النَّصوص الشَّرعية ميَّزوا بين ما هو لُغوي، و ما هو نسقي، و ما هو وظيفي . (158)

لقد اهتمَّ الأصوليون بتحديد العلاقة بين اللَّفظ و المعنى في الخطاب الشرعي، و من هنا تتحدَّد لنا أهمية البحث اللَّغوي عندهم و لتبيين هذه العلاقة و توضيحها وقفت على ما قاله ابن خلدون في شأن العلاقة بين اللَّغة و النَّصوص الشَّرعية " ثُمَّ إنَّ هناك استفادات أُخرى خاصة من تراكيب الكلام، و هي استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلَّتها الخاصَّة بين تراكيب الكلام و هو الفقه، و لا يكفي فيه معرفة الدَّلالات الوضعية على الإطلاق، بل لا بُدَّ من معرفة أمورٍ أُخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصَّة، و بها تُستفاد الأحكام بحسب ما أصلَ أهل الشَّرع و جهابذة العلم من ذلك، و جعلوه قوانين لهذه الاستفادة ..." (159)

من هذه المقولة يُمكن أن نستشف بنية الفكر اللَّغوي عند الأصوليين، و كيف أنَّهم جمعوا بين طرق الفقه و الاستدلال بها، و ربط ذلك بالجوانب القائمة في البحث اللَّغوي، وخاصَّة ما تعلَّق باللَّفظ و المعنى و في هذا المنوال يقول الجويني: " اعلم أنَّ مُعظم الكلام في الأصول يتعلَّق بالألفاظ و المعاني، " (160) و من هذا المنظور فالمحور الرَّئيسي الذي به تنتظم المباحث الأصولية، هو قضية الدَّلالة، و هكذا فإذا نظرنا إلى البحث الأصولي من الزَّاوية الابستمولوجية الخالصة أمكن القول للفاحص و بدون تردَّد أنَّه أساساً بحث في الدَّلالة. (161)

لقد كان لتنوَّع النَّصوص من حيث الوضوح اللَّغوي، دافع إلى اعتماد منهج دقيق يقوم على " تصنيف النَّصوص إلى مراتب من حيث قوة الوضوح، و هو منهج اقتضته طبيعة التشريع نفسه من حيث هو نصٌ يقتضي تفهَّماً و تحرِّياً لمُراد الشَّارع و قصده منه، " (162) ونقصد به الإبانة عن مُراد المشرِّع، فمراد الشارع قد لا يكون هو المعنى الظاهر، بل معنى آخر يؤول إليه المعنى اللَّغوي.

---

158 - أُنظر المرجع نفسه، ص119.

159 - ابن خلدون، المقدمة، ص436.

160 - أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت478هـ)،البرهان في أصول الفقه ،تحقيق:عبد العظيم الديب، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الثانية 1979م، 1 / 169.

161 - أُنظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الرِّباط الطبعة الأولى، 1986م، ص51.

162 - فتحي الدِّريني، المناهج الأصولية، دار الرَّشيد للطباعة و النَّشر، الطبعة الأولى دمشق 1975م، ص37.

إنَّ عملية الفهم و استنباط الأحكام من النَّصوص الشرعية تتطلب تجنب أيَّ تعارض ظاهري للَّفظ مع قصد الشارع – باعتبار أنَّ التَّعارض لا يُمكن أنْ يُتصوَّر في التَّشريع الإلهي بين النَّصوص في حكم ما –

إنَّ هدف الأصوليين من وراء هذا الضبط يكمن في إزالة الغموض و التعارض بين النصوص لِذا قسَّموا الألفاظ حسب قوَّة وُضوحها إلى أربعة أقسام:

المحكم:

يحوي القرآن الكريم آيات مُحكمات و أُخر مُتشابهات بدليل قوله في كتابه العزيز ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ *(163)*

و مما أورده الرَّازي في تفسيرها نقلاً عن ابن عبَّاس – رضي الله عنهما – قوله: " المحكمات هي الثلاث آيات التي في سورة الأنعام (قل تعالوا) إلى آخر الآيات الثلاث، و المتشابهات هي التي تشابهت على اليهود، و هي أسماء حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، و ذلك أنَّهم أولوها على حساب المجمل فطلبوا أن يستخرجوا منها مُدَّة بقاء هذه الأمَّة فاختلط الأمر عليهم و اشتبه " *(164)*

و هو اللَّفظ الذي يدلَّ على مقصوده بعينه و لا يحتمل التفسير، و لا التَّأويل، و لا النَّسخ لذا ضبطه الغزالي في أحد المعنيين:

أ– المكشوف المعنى باعتباره لا يحتمل إشكالا في الدَّلالة .

ب – ما انتظم و ترتَّب ترتيباً مُفيداً على ظاهر أو على تأويل ما لم يختلف و يتناقض، *(165)* و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿...وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ *(166)* فالقارئ لمثل هذه الآيات و المُتدبِّر لمعانيها يقف على حقيقة في دلالة ألفاظها أنَّها مقصودة بعينها، و لا تحتمل أيَّ تأويل.

المفسَّر:

و هو المحكم نفسه، و مَمَّا ذكره السَّرخسي في شأنه قوله: " أمَّا المُفسَّر، فهو اسم للمكشوف، الذي يُعرف المُراد به مكشوفاً على وجه لا يبقى معه احتمالُ التَّأويل، فيكون

---

163 - سورة آل عمران، الآية7.
164 - الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، 9 / 183.
165 - أُنظر: الغزالي، المستصفى، 1 / 106.
166 - سورة البقرة، الآية282.

فوق الظّاهر و النّصّ؛ لأنّ احتمال التّأويل قائم فيهما مُنقطع في المُفسّر " [167] و يرى في شأن حكمه أنّه يقبل النّسخ " و تبيّن أنّ المُفسّر حكمه زائد على حكم النّصّ و الظّاهر، فكان مُلزما موجبه قطعاً على وجه لا يبقى فيه احتمال التأويل، و لكن يبقى احتمال النّسخ " [168] نحو قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [169]

النّص :

و هو كالمفسر من حيث دلالته على معنى مقصود إذْ لا يتعارض مع السياق الذي ورد فيه، و لكنه يختلف عنه من حيث إنّه يحتمل التأويل، فضلاً عن كونه يقبل النّسخ، و النّصّ في نظر الآمدي ما كان مُجسّداً لمعناه غير مُحتمل للتّأويل" فلا يُترك النّصّ الذي لا احتمال فيه لأمر يحتملُ " [170] نحو قوله تعالى﴿ و لا تقربوا الزّنا﴾ [171] حيث جاء في تفسيرها " قال العلماء: قوله تعالى: ﴿ وَ لاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ أبلغ من أن يقول: و لا تزنوا؛ فإنّ معناه: لا تدنوا من الزّنى،" [172] فلفظ " تقربوا " المسبوق بأداة النفي " لا " دلّ على معنى مقصود.

و من الأمثلة التي نقف عليها في القرآن الكريم و المُجسّدة لهذا النّوع من الدّلالة قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ [173]

الظاهر:

و هو الذي يدلّ على معنى ظاهر في السياق، غير مقصود مع احتماله التأويل و النسخ، و التفسير، و قد التفت إليه الآمدي في قوله: اللفظ الظاهر هو " ما دلّ على معنى بالوضع الأصلي أو العرفي، و يحتمل غيره احتمالا مرجوحاً " [174] و مثاله قوله تعالى: ﴿ ... فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ... ﴾ [175] فالظاهر

---

[167] - السرخسي، الأصول ، ص164.
[168] - المصدر نفسه، ص165.
[169] - سورة النور، الآية4.
[170] - ، الآمدي، الأحكام، 2 / 164.
[171] - سورة الإسراء، الآية 32.
[172] - القرطبي(محمد ابن أحمد الأنصاري-671هـ)، الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2006م، 13 / 72.
[173] - سورة الإسراء، الآية33.
[174] - ، الآمدي، الأحكام، 3 / 73 .
[175] - سورة النساء، الآية3.

من قوله تعالى " فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء " الترخيص بمطلق النكاح، إلاَّ أنَّ المعنى الحقيقي و المقصود هو قصر عدد الزوجات على أربع.

و قد قسَّم الآمدي الظَّاهر إلى قسمين: أحدهما ظاهر بحكم الوضع الأصلي، كإطلاق لفظ الأسد بإزاء الحيوان المخصوص، أمَّا ثانيهما فظهوره بحكم العرف و الاستعمال ، و من الأمثلة على ذلك إطلاق لفظ الغائط في قوله تعالى ﴿... أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ...﴾[176] بإزاء الخارج المخصوص من الإنسان [177]

علماً أنَّ أصل الدَّلالة للفظ الغائط تطلق على المكان المطمئنَّ من الأرض، و هو ما وقفت عليه في لسان العرب قوله: " و كان الرجلُ إذا أراد التَّبرُّزَ ارتادَ غائطاً من الأرض يغيبُ فيه عن أعين النَّاس، ثُمَّ قيل للبِراز نفسهِ، و هو الحدثُ: غائطٌ، كنايةٌ عنهُ، إذْ كان سبباً لهُ . " [178]

كما قسَّم الأصوليون الألفاظ حسب خفائها إلى أربعة أقسام هي :

- المتشابه:

و يقابل المحكم، و قد خصَّه الآمدي بقوله: والمتشابه المُقابل له (المحكم) ما تعارض فيه الاحتمال بجهة التساوي كالألفاظ المُجملة في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ...﴾[179] لاحتماله زمن الحيض، و الطهر على التَّسوية،[180] أمثلته كثيرة، و الغالب منها ما نقف عليه في التعبير المجازي، و ما يُؤوَّل تأويلاً مُناسباً، و في شأن تسميته قال: " سُمِّيَ مُتشابهاً لاشتباه معناه على السامع" [181] و هو كذلك ما خفيت دلالته و تعذَّرت معرفة المقصود منه و مثاله فواتح السور، و الآيات التي تُفيد التشبيه في الظاهر.

- المجمل:

و يقابله المفسَّر، و هو ما خفي معناه، و لا سبيل إلى معرفته إلاَّ ببيان، و هو عند الغزالي اللَّفظ الصَّالح لأحد معنيين الذي لا يتعيَّن معناه لا بوضوح اللغة، و لا بعرف

---

176 - سورة المائدة، الآية6.
177 - أُنظر: الآمدي، الأحكام، 3 / 73.
178 - ابن منظور، لسان العرب، باب الغين، مادَّة: غوط، 5 / 3317.
179 - سورة البقرة، الآية228.
180 - الآمدي، الأحكام، 1 / 237.
181 - المصدر نفسه، 1 / 237.

الاستعمال" [182] و قد وضّح مواطن الإجمال و حصرها في ثلاث مسائل مُستعيناً بأمثلة توضيحية " و مثال الإجمال ثلاثة:

– صفة مجهولة كقوله – سبحانه و تعالى – ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ [183] فإنّ الإحصان مُتردّدٌ بين صفات.

– و زيادة مجهولة، كما إذا فرض ورود الشّرع بتوقّف صحّة الصّلاة على زيادة فيما عُهد و لم تتبيّن الزّيادة.

– و نقصان مجهول، كقوله لفلان: عليّ عشرة إلاّ شيئاً، و لهذا لا يُتمسّك بعموم قوله تعالى: ﴿ افْعَلُوا الخَيْرَ ﴾ [184] لأنّ المستثنى عنه مجهول في نفسه. " [185]

– **المشكل:**

و يقابل النّص، و هو ما التبس معناه بمعنى لفظ آخر لاشتراكهما في الدلالة ، حقيقة أو مجازا، و من أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ...﴾ [186] و مما جاء في دلالة (القرء) الطهر " حدّثنا الأحمسي، ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عمرة، عن عائشة، قالت: الإقراء : الإطهار. " [187]

كما فُسّر الطّهر بالحيض " قال ثلاث حيض " [188] و حكم المشكل في نظر السرخسي " اعتقاد الحقيقة فيما هو المراد، ثُم الإقبال على الطلب و التأمل فيه إلى أن يتبيّن المراد فيُعمل به " [189]

– **الخفيّ:**

و يقابل الظاهر، و" هو اسم لما اشتبه معناه و خفي المراد منه بعارض في الصيغة، يمنع المراد بها إلا بالطلب مأخوذ من قولهم: اختفى فلان، إذا استتر في وطنه

---

182 - الغزالي، المستصفى، 1 / 345.
183 - سورة المائدة، الآية24.
184 - سورة الحجّ، الآية 75.
185 - الغزالي، المنخول من علم الأصول، الطبعة الثانية، دار الفكر دمشق 1400هـ، تحقيق: محمد حسن هيتو، 1 / 168 – 169.
186 - سورة البقرة، الآية 228.
187 - الرازي، تفسيرمفاتيح الغيب، 1 / 414.
188 - المصدر نفسه، 1 / 415.
189 - السرخسي،الأصول ، 1 / 168.

وصار بحيث لا يوقف عليه بعارض حيلة أحدثه إلا بالمبالغة في الطلب" [190] و الخفي ضد الظاهر عند السرخسي، ويسوق لذلك مثلا يدل على معناه .

_ فمثال الخفي: لفظ (السارق) و(السارقة)، في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[191]

كما تناول الأصوليون دلالة اللَّفظ على معناه من الناحية الوضعية و قسَّموه إلى ثلاثة أقسام: 1- دلالة المطابقة. 2- دلالة التَّضمن. 3- دلالة الالتزام.

فدلالة المُطابقة، هي فهم السَّامع من كلام المتكلِّم كمال المُسمَّى.

أمَّا دلالة التَّضمن، فهي فهم السَّامع من كلام المتكلِّم جزء المُسمَّى.

و أمَّا دلالة الالتزام، فهي فهم السَّامع من كلام المتكلِّم لازم المَسمَّى البيِّن، و هو اللاَّزم له في الذِّهن. [192]

مِمَّا سبق شرحه و بيانه، و هو مُسلَّمٌ به أنَّ الألفاظ أجناس و أنواع، و المستعمِل هو الذي يختار منها ما يناسب مراده، و بهذا تتحقق الدَّلالة بين اللَّفظ و معناه، و في هذا الصَّدد وقفت على مقولة يُؤكد فيها صاحبها هذا المنحى قائلا:" وأن الألفاظ تتفاوت فيما بينها جمالا وقبحا من حيث دلالتها على المعنى وعلى جوانبه المختلفة، وأن المتكلم يستعين- على حسب قصده- بألفاظ قد تستر جانب القبح في الأشياء أو تكشف عنه، وأن الألفاظ يجب أن تختار لتلاءم موقعها في الجمل..." [193] ذلك أنَّ الدلالة [194•] لها عدَّة أبعاد موحية لدى أهل الاختصاص الذين تعاملوا معها وفق خلفيات حيث شرح و فسَّر ابن سينا (ت 428هـ) المقصود من دلالة اللَّفظ، و

---

190 - السرخسي،الأصول ، 1 / 167.

191 - سورة المائدة، الآية38.

192 أنظر: - شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن إدريس القرافي(ت684هـ)، شرح تنقيح الأصول في اختصار المحصول من الأصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر الطبعة الأولى، 1973م، ص24.

193 - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1982، ص253 .

• - و قد عرَّفها أبو هلال العسكري " الدَّلالة من القياس كذا، و الدَّليل فاعل الدَّلالة، و لِهذا يُقال لمن يتقدّم القوْم في الطَّريق دليل، إذا كان يفعل من التَّقدم ما يستدلون به، و قدْ تُسمَّ الدَّلالة دليلاً مجازاً و الدَّليل أيضاً فاعل الدّلالة مُشتق من فعله، و يستعمل الدَّليل في العبارة و الأمارة و لا يُستعمل في الشَّبه. "
(- أبو هلال العسكري، (ت 402 هـ)، الفروق في اللُّغة، تحقيق: لجنة إحياء التُّراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطَّبعة الخامسة1401 هـ / 1981 م، ص 59 – 60 .)

أهمَ الخطوات التي من خلالها يُمكن أن تُفسَّر عملية تصوِّره " فمعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، [195•] فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكُلَّما أورده الحسَّ على النفس التفتت إلى معناه،" [196]، و لمَّا كان من المستحيل التعامل مع الأشياء أثناء تجاذب الحديث بين الجماعة أوجدوا لها ألفاظاً كدليل على مُرادها، فحينما نريد مثلاً بالحجر العيني قصْداً نكتفي باللَّفظ، و إنْ كُنَّا في وضعية كتابة استهدفناه بالتَّدوين عِوض التَّلفظِ .

فالأشياء القائمة في واقعنا و الموجودة في مُحيطنا هي التي نعتها الإمام الغزالي (ت 505 هـ) بالأعيان " إن للشيء وُجودا في الأعيان ثُمَّ في الأذهان ثُمَّ في الألفاظ ثُمَّ في الكتابة، فالكتابة دالَّة على اللَّفظ، و اللَّفظ دالّ على المعنى الذي في النَّفس، و الذي في النَّفس هو مثال الوجود في الأعيان،" [197] فهو بذلك يرى أن الأشياء لها أربعة مراتب : الأعيان – الأذهان – الألفاظ – الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، و اللفظ دال على المعنى الذي هو في النفس، و الذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان، فالألفاظ في مُجملها و عمومها ترجمة لأشياء تُعرف بها .

إنَّ من أبرز العلاقات بين اللَّفظ و دلالته تلك التي أشار إليها السيوطي(ت911هـ) في قوله:" الألفاظ إما أن تدلَّ بمنطوقها، أو بفحواها، أو بمفهومها، أو باقتضائها و ضرورتها، أو بمعقولها المستنبط منها...قلت فالأول دلالة المنطوق، و الثاني دلالة

• - إنَّ ثُنائية ابن سينا التي حصرها بين اسم (مسموع) و (معنى)، شبيه بما هو قائم في الدراسات اللُّغوية الحديثة بالدال و المدلول، و يكاد تعريف عبد الله محمد الغذامي أنْ يكون جامعاً لها لا لشيء إلاَّ لكونه بيَّن حقيقة اللُّغة، ثُمَّ عدَّد عناصر الفعل أو الحدث الدَّلالي في قوله : " اللُّغة نظام اشاري " سيميولوجي "، و الكلمة إشارة تقف في الذِّهن على أنَّها دالٌ يُثير في الذِّهن مدلولاً ؛ هو صورة ذهنية لموجود عيني، وهذا الحدث هو الدَّلالة، "

(- عبد الله محمد الغذامي، تشريح النَّص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية مُعاصرة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثانية 2006م ،ص 17.)

فالجمع بين الكلمة – باعتبارها إشارة – أيْ دالٌ، و بين الموجود العيني تجسيدٌ للفعل الدَّلالي .

196 - ابن سينا أبو علي بن عبد الله (ت 428هـ)، العبارة (الشفاء)، تحقيق:محمود الحضري القاهرة 1970م، ص 04.

197- الغزالي أبو حامد محمد (ت 505 هـ)، معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا دار المعارف بمصر 1991 م، ص 35 – 36 .

المفهوم، و الثالث دلالة الاقتضاء، و الرابع دلالة الإشارة،" [198] و هو بهذا التقسيم لمضمون دلالة اللَّفظ بيَّن مدى اتَّساع الألفاظ في احتواء تلك العلاقات .

و بهذا يكون علماء الأصول و هم الذين بحثوا في علم أصول الفقه و هو العلم الذي " يُتعرف منه تقرير مطلب الأحكام الشرعية العملية و طرق استنباطها و مواد حججها و استخراجها بالنظر" [199] قد تعرَّضوا لدراسة اللَّغة العربية و اهتموا بها كمباحث لُغوية للكشف عن كثير من قضايا تخصصِّهم، [200•] الأمر الذي أدَّى إلى تنوع البحث الدَّلالي عند علماء المسلمين، وهو يهدف في أقصى غاياته إلى معرفة معنى الآيات القرآنية الذي يتوقف تحقيقه بقدر كبير على معرفة دلالة الألفاظ، لِذا خصَّت كتب علماء أصول الدين قسماً خاصاً بمباحث الدلالات، إذ بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها، فكان علماء الفقه والأصوليون من أوائل من احتضنوا الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها، [201] حيث احتموا بها لتذليل دلالة ألفاظ القرآن، و هو ما وقف عليه البحث اللَّغوي في كون أنَّ الأصوليين " شغلوا بقضية الدلالة في مقدمات كتب علم أصول الفقه في إطار تعرفهم على الدلالة في اللَّغة بوصفها وسيلة لفهم النصوص و استخراج الأحكام..." [202]، و نظرا للارتباط الوثيق بينها، فإن مباحث الدلالة عند اللغويين تأثرت بمباحث ومناهج الأصوليين في تقعيد فهم النص، [203] و بهذا الأسلوب تكون الدِراسات اللُّغوية في جانبها الدَلالي قد استفادت مِمَّا حقَّقه الأصوليون.

و الألفاظ عندهم تابعة لمسمياتها لذا صنَّفوها بناء على ما يقتضي ذلك " إن الألفاظ المتعدِّدة بالإضافة إلى المسميات المتعددة على أربعة منازل ولنخترع لها أربعة ألفاظ وهي المترادفة و المتباينة و المتواطئة و المشتركة، أما المترادفة فنعني بها الألفاظ المختلفة و

---

198 - السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر(ت 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1988م، ص172.

199 - محمد بن إبراهيم بن سعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد في العلوم و أصنافها، الطبعة الأولى 1318هـ ، ص61.

• - و قد ضبطه بعض العلماء في إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية.

201 - أنظر: عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء- عمان1985م، ص9.

202 - محمود فهي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 135.

203- أنظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 16.

الصيغ المتواردة على مسمى واحد كالخمر و العقار و الليث و الأسد و السهم و النيشاب و بالجملة كل اسمين المسمى واحد يتناوله احدهما من حيث يتناوله الأخر من غير فرق .

و أما المتباينة فنعني بها الاسامي المختلفة للمعاني المختلفة كالسواد و القدرة و الأسد و المفتاح و السماء و الأرض و سائر الاسامي و هي الأكثر .

وأما المتواطئة، فهي التي تنطلق على أشياء متغايرة بالعدد و لاكنها متفقة بالمعنى الذي وضع الاسم عليها ،كاسم الرجل فإنه ينطلق على زيد و عمر، و بكر و خالد، و اسم الجسم ينطلق على السماء والأرض و الإنسان (...) و أما المشتركة فهي الأسامي التي تنطلق على مُسميات مُختلفة لا تشترك في الحدِّ و الحقيقة البتة؛ كاسم العين للعضو الباصر وللميزان، و للموضع الذي يتفجر منه الماء؛ و هي العين الفوارة، و للذهب و للشَّمس، " [204] فبهذا التفريع للألفاظ أثبت الأصوليون أنَّ فهمهم للدلالة نابع من تصوَّر معقول لها [205•] .

إنَّ المسار التَّاريخي للألفاظ العربية أثبت لنا أنَّ الحقل الدَّلالي للَّفظ الواحد قد يتأثر بالحدث الجديد، فانتقال المجتمع من وضع إلى آخر، و من نظام إلى نظام، بل من مُعتقد إلى عقيدة يفرض هذا الأمر تحولات دلالية لكثير من الألفاظ تماشياً مع البيئة الجديدة .

و لبيان ذلك نلتفت إلى ما وضَّحه الغزالي في قوله: " إن دلالة اللفظ على المعنى تنحصر في ثلاثة أوجه و هي: المطابقة و التضمن و الالتزام، فإن لفظ " البيت " يدل على معنى البيت بالمطابقة، و يدل على السقف وحده بطريق التضمن؛ لأن البيت يتضمن السقف(...)وأما طريق الالتزام و هو كدلالة لفظ السقف على الحائط، فإنه غير موضوع للحائط وضع لفظ الحائط للحائط حتى يكون مطابقا، ولا هو متضمن إذ ليس

---

[204] - الغزالي أبو حامد، المستصفى في علم الأصول الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية بولاق مصر 1324هـ، 1 / 31 ، 32 .

• - علماء الأصول اختلفوا فنتج عن ذلك ظهور طريقتين: " فأمَّا المتكلمون: فإنَّه كان من رأيهم البحث على طريقة علم الكلام، و تقرير الأصول من غير التفات إلى موافقة فروع المذاهب لها أو مُخالفتها إياها؛ و قد كانوا ينتسبون إلى مذاهب شتى فمنهم المعتزلة، و منهم الشافعية، و المالكية أهل السنَّة، ما أيَّدته العقول و الحجج من القواعد أثبتوه، و ما خالف ذلك نفوه، و قلما يشتغلون بالبحث في الفروع المذهبية إلاَّ عرضاً.

و أمَّا الحنفية: فإنَّ طبقتهم كان يُراعى فيها تطبيق الفروع المذهبية على تلك القواعد، حتَّى إنهم كانوا يُقرِّرون قواعد على مُقتضى ما نُقل من الفروع على أئمتهم(...) و قد يُؤدِّي بهم ذلك في بعض الأحيان إلى تقرير قواعد غريبة الشكل لذلك نرى أصول الحنفية مملوءة بالفروع الكثيرة؛ لأنَّها في الحقيقة لتلك القواعد ".

(- محمد الخضري،أصول الفقه،دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1998م، ص07.)

الحائط جزأ السقف كما كان السقف جزأ من نفس البيت، لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه . " *(206)*

و يُؤكد هذا التقسيم الآمدي في قوله: " و اللفظية : إما أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ أو إلى بعضه : فالأول دلالة المطابقة : كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني دلالة التضمن: كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان، أو الناطق، و المطابقة أعم من التضمن لجواز أن يكون المدلول بسيطا لا جزأ له، وأما غير اللفظية: فهي دلالة الالتزام، وهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من الخارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، *(207•)* و لو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك لازما مفهومها. " *(208)*

إنَّ تحول المُجتمع العربي من الجاهلية إلى الإسلام كان له الأثر البالغ في تطوير الدَّرس الدَلالي حيث تشبَّعت الكثير من الألفاظ بدلالات تتماشى و العقيدة الجديدة لقد كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم و آدابهم ... فلما جاء الإسلام حالت أحوال و نسخت ديانات، و أبطلت أمور، و نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن و المسلم، و الكافر و المنافق، و كذلك الإسلام و المسلم، *(209)* فالعرب في جاهليتها كانت توظِّف مثل هذه العلامات و قد دلَّت على دلالات ارتبطت بالبيئة العامَّة آنذاك، فلفظ المؤمن و المسلم و الكافر و المنافق مثلاً كانت من الألفاظ المتداولة، و لمَّا جاء الإسلام أبقى على توظيفها، و لكن بدلالات جديدة مصبوغة بالحدث الديني، فالمتأمل لها يستوقفه أثر البيئة الإسلامية و فظاءها الرَّحب في تطوير الدَّلالة، *(210•)* فاللفظ " إذا أُرسل علم منه المعنى، للعلم بوضع ذلك اللَّفظ لهذا المعنى. " *(211)*

---

206 - الغزالي أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، 1 / 30.

• - إنَّ الذي رآه الغزالي في هذا المجال قوله: " و إياك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الالتزام لكن اقتصر على ما يدل بطريق المطابقة و التضمن؛ لأن الدلالة بطريق الإلزام لا تنحصر في حدٍّ. "
(- الغزالي أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، 1 / 30 .)

208 - الأحكام، الآمدي، 1 / 19.

209 - أنظر: أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها، ص 6 - 7 .

• - " و كما أحدث الإسلام ألفاظا جديدة للتَّعبير عن معان جديدة اقتضاها الشَّرع الجديد و العلم الجديد ..فقد محا من اللغة ألفاظا قديمة، ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية و عاداتِهم ... و قد نرى بعض هذه الألفاظ مستعملا في اللغة الآن فهو، إما مستعمل في غير معناه الأصلي .. و إمَّا أنَّه قد ارجع إليه بعد إهماله .. "
(- جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حيٍّ، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1988م، ص 37.)

211 - محمود توفيق، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مطبعة الأمانة – مصر – الطبعة الأولى 1987م، ص13.

و في تقسيم الغزالي للألفاظ بيَّن أنها غير محصورة في نوع واحد، الأمر الذي يجعل منها " بالإضافة إلى خصوص المعنى و شموله تنقسم إلى لفظ يدل على عين واحدة و نسميه معينا، و هو المقيد في اصطلاح الأصوليين كقولك: زيد و هذه الشجرة و هذا الفرس و هذا السواد وإلا ما يدل على أشياء كثيرة تتفق في معنى واحد و نسميه مُطلقا. " *(212)*

و ممَّا يراه الآمدي في هذا الاتجاه أن الدلالة تحدث باللَّفظ مفردا أو مركبا " ... و من اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية، والعبارات اللغوية وهي إما أن لا تكون موضوعة لمعنى، أو هي موضوعة، والقسم الأول مهمل لا اعتبار به و الثاني يستدعي النظر " *(213)*

إنَّ الذي لم يهمله الأصوليون في دلالة الألفاظ إقحامهم لخاصية نية و قصد المتكلم، و هو ما يتجلَّى في قول الآمدي: " أمَّا حقيقته فهو: ما دلَّ بالوضع على معنى، ولا جزأ له يدل على شيء أصلا (...) لأن دلالة الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإراداته (...)" *(214)*

ممَّا أكَّده ابن فارس أنَّ جملة من الألفاظ بالإضافة إلى دلالتها الأولى اكتسبت بعد الإسلام دلالات جديدة، و هو ما يعكس فكرة طواعية اللُّغة للبيئة الجديدة و انسجامها، و في هذا المنحى وقفت على في تعقيب لنصَّ ابن فارس مِما جاء فيه: " و نصَّ ابن فارس هذا يُفصح على أنَّ التَّطور الدَّلالي يُصيب المُفردات، أوْ أنَّ معاني المفردات تتغير من عصر لآخر للتَّعبير عمَّا يجدُّ من أفكار و أحوال، " *(215)* فالألفاظ اللُّغوية من هذا المنظور مُتطورة في دلالتها تبعا للمجال الذي جاءت فيه، فمن المسلَّم به أنَّ علماء الأصول حينما تعاملوا مع النَّص القرآني و حتى يبلغوا معانيه ركزوا على ألفاظه مُستغلين الدلالة اللُّغوية للَّفظ كمرحلة أولى لاستنباط الدلالة الجديدة التي تضمنها اللفظ في ثنايا الآية القرآنية باعتبار أنَّ " الوضع في اللُّغوية غير الوضع في الشَّرعية و العرفية، فإنَّ اللُّغةَ تعليق اللَّفظ بإزاء معنى لم يعرف غير ذلك، و

---

212 - الغزالي أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، 1 / 30 .

213 - الآمدي، الأحكام، 1 / 17.

214 - المصدر نفسه، 1 / 18.

215 - نعمة رحيم العزاوي، النقد اللُّغوي بين التطور و الجمود، منشورات دائرة الشؤون الثقافية و النشر، بغداد 1984م، ص67.

أمَّا في الشَّرع و العرفية فبمعنى غلبة الاستعمال دون المعنى السَّابق، فإنَّه لم ينقل عن الشَارع أنَّه وضع لفظ الصَّلاة و الصَّوم بإزاء معانيها الشَّرعية، بل غلب استعمال الشَّارع لهذه الألفاظ بإزاء تلك المعاني حتَّى صارت الحقيقة اللُّغوية مهجورة، و كذلك العرف." *(216)*

و من هنا تتجلَّى لنا قيمة مفادها أنَّ حقيقة الدَّلالة اللَّفظية تخرج إلى أداء جديد، و فيه يخرج اللَّفظ عن معناه المركزي إلى ما ينبثق عنه من معان فرعية و من الأمثلة المُجسِّدة لذلك ما وقف عليه العلماء في كثير من الألفاظ منها لفظ العبادة " الأصل في العبادة الذلّ، يُقال طريق مُعبَّد: أيْ مُذلَّل، و عبادة الله تعالى: الذلّ له بالانقياد لما أمر و الانتهاء عمَّا نهى... و ذكر أهل التَّفسير أنَّ العبادة في القرآن على وجهين: أحدهما التَّوحيد.. و الثَّاني: الطَّاعة. " *(217)*

إنَّ الذي يُفهم من تخريجه هذا أنَّ اللَّفظ تتغير دلالته، فقد يؤول من الدَّلالة العامَّة إلى الدَّلالة الخاصة للبيئة الجديدة، لِذا كانت أهمية المعرفة اللُّغوية عند المُفسرين من الضروريات التي ينبغي أنْ يعتمدها المُفسِّر قصد بلوغ الإحاطة بالمعنى الجديد، و للزَّركشي في هذا المقام كلمته حيث أكَّد لنا ذلك و رأى أنَّ " أوَل ما يُحتاج إليه أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يُدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أول المُعاوِنِ في بناء ما يُريد أن يبنيَهُ، و ليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كُلِّ علم من علوم الشَّرع، فألفاظ القرآن هي لُبُ كلام العرب و زُبدَتُه، " *(218)* و لفهم دلالة ألفاظه و معرفة قصدها يتعين على مَن يُريد ذلك الرجوع إلى نبعها الأولي حيث نجد فيه " قسما من المفردات أو التعبيرات لمعنى معين أو خصَّها بمعنى من بين معاني المفردة أو التعبير ... و ذلك ممَّا يدلُّ على أنَّ

216- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، الطبعة الثانية، مكتبة الآء الصفاة، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت 1992م ،3 / 8- 9.

217 - ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النَّظائر، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد كاظم الرَّاضي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1987م، ص 431.

218 - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت 502 هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: سيد محمد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان، ص6.

التعبير القرآني إنَّما هو تعبير مقصود " [219] مِمَا أفاد اللُّغة العربية حيث اتَّسعت دلالة ألفاظها [220•] عمَّا كانت عليه .

و يبقى الحديث عن الألفاظ المعبِرة عن المعاني المجرَدة قائماً حيث كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توسعها، " فاللَّفظ وحده لا يملك القدرة على الإعجاز في التَّعبير بل منحه الخطاب القرآني دلالات إيحائية يكتسبها من الألفة مع ما يكتنفه من الألفاظ الأخرى، و ما تمُدُّه به طرائق الإسناد و الإضافة من معاني، فالمُتتبع لدلالات ألفاظ الخطاب القرآني يُدرك أنَّ الاستعمال القرآني لتلك الألفاظ راعى أحوال المُخاطب فنسج العبارة في ضوء المقام الذي كان فيه، و تمثل الأخيلة فسخر صنوف المجاز في الإسناد للاتساع في معانيها، و جعل النَّظم يبعث في اللَّفظة دلالات أُخرى قد تخرج عن الدَّلالة الأصلية (المُعجمية)، و يُستشف ذلك من خلال التَّأمل في المعاني التي فُسرت بها الألفاظ على غير ما تدلُّ عليه في المعاجم، " [221] و هي الحقيقة التي يُمكن التدليل عليها من خلال مقارنة بين ما تحويه المعاجم و كتب التفسير في شأن اللَّفظ الواحد " و يكون ذلك بتوسع معنى اللفظ و مفهومه و نقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعمّ و أشمل كلفظ الورد و الورود و أصله إتيان الماء ثم استعمل لإتيان كل شيء " [222] فنفس اللَّفظ إذا تتبعناه في المُعجم دلَّ على دلالة يُمكن وصفها و اعتبارها دلالة خاصَّة، و هو ما وقفت عليه في المعجم اللُّغوي :" ورد : ورد الماءَ ورُوداً و وِرْداً ، قال من الرَّجز :

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صمَّاء * كُدْرِيَةٍ أَعْجَبَها بَرَدُ المَاءِ**

---

219 - فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، الطبعة الأولى 2009م، دار الفكر عمَّان - الأردن، ص70.

• - "هو اتَّساع دلالة المفردات في النَّص القرآني الكريم، و تحميل اللَّفظة في النَّظم معاني كثيرة، و جعله مساحة دلالة التركيب أوسع ممَّا يسوغه النَّاس من التَّراكيب "
(- سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز،(دراسة في المجاز الأسلوبي و اللغوي، ص 402.)

221 - كريم حسين ناصح الخالدي، الخطاب النَّفسي في القرآن الكريم- دراسة دلالية أسلوبية - الطبعة الأولى 2007 م، دار صفاء للنَّشر و التَّوزيع عمّان الأردن، ص 122 .

222 - المبارك محمد، فقه اللُّغة (دراسة تحليلية مُقارنة للكلمة العربية)، طبعة دمشق 1960م، ص190.

و استورد الماءَ : ورَده ... " [223]

إنَّ أصل دلالة لفظ " ورد " في المعجم اللُغوي لا تخرج عن دلالته الخاصَّة و المتمثلة في " إتيان الماء " ، أمَّا حينما نتتبَّع استعماله في القرآن الكريم نجده قد خرج بالإضافة إلى هذه الدلالة ليُؤدي دلالات أُخرى كتلك التي نقف عليها في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾[224]

وممَّا وقفنا عليه في تفسير الطبري في شأن هذه الآية قوله: "يقول تعالى ذِكره: و إن منكم أيُّها الناس إلاَّ وارد جهنَّمَ، كان على ربِّك يا مُحمدُ، إيرادُهموها قضاء مقضياً، قد قضى ذلك و أوجبَه في أمِّ الكتاب .

و اختلف أهل العلم في معنى " الورود " الذي ذكره الله في هذا الموضعِ؛ فقال بعضهم: هو الدخولُ "[225] إنَّ إقرار المُفسر باختلاف أهل العلم في معنى " الورود " يعكس حقيقة مفادها أنَّ اللَّفظ في غير المُعجم اللُّغوي قد تتوسع دلالته، و يخرج إلى ما هو عامٌ .

و قد يرِدُ اللَّفظ في المُعجم بدلالة عامَّة نحو لفظ " الحجِّ " و هو ما وقفت عليه في معجم العين :

" و حجَّ علينا فُلانٌ أي : قَدِمَ، و الحجُّ : كثرة القَصْد إلى مَنْ يُعظِّم، قال :

كانت تحُجُّ بنُو سَعْدٍ عِمَامَتَهُ * إذا أهَلُّوا على أنصابِهم رَجَبا** "[226]

---

[223] - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة ورد، 2 / 327 .

[224] - سورة مريم، الآية 71.

[225] - الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير224هـ/310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان، 15 / 590 .

[226]- الفراهيدي(أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد 100_175هـ)، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي، 3 / 9 .

ـ كما هو الشَأن بالنِسبة لكثير من الألفاظ – إلاَ أنَها في الاستعمال تميل إلى التخصُص، " و ذلك بقصر اللفظ الذي معناه عام على بعض أفراد هذا العام و تضييق شموله و مثال ذلك لفظ الحج و أصله القصد مطلقا ثم خصَ بقصد البيت الحرام." *(227)*

و هو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ *(228)* فلفظ " الحج " الوارد في قوله تعالى ضُبطت دلالته في التفاسير بشيء من التخصيص، فحُصِرتْ في دلالة " قصد البيت الحرام "و هو ما بيَنه الشيخ ابن عاشور في قوله: " و الحج اسم في اللغة للقصد، و في العرف غلب على قصد البيت الحرام الذي بمكة لعبادة الله تعالى فيه بالطواف و الوقوف بعرفة و الإحرامِ و لذلك صار بالإطلاق حقيقة عرفية في هذا المعنى جنساً بالغلبة ،..." *(229)* فالمُفسِر و هو يعقبُ على معنى الآية التفت إلى الدلالة اللُغوية للفظ " الحج " حيث أصبحت دلالته في الآية تميل إلى ما هو خاص فحدَده .

إنَ دلالة الألفاظ من هذا المنظور شدَت اهتمام علماء أصول الفقه، فبحثوا في العام و الخاص و الحقيقة و المجاز و المشترك و المترادف مع أنها من مسائل علم اللغة لانَ استنباط الأحكام من النُصوص منوط في كثير من الأحيان بتحديد الرَأي في فهم هذه المسائل اللُغوية و تمحيصها و تحليلها، *(230)* و هو ما عناه فخر الدّين الرَّازي حينما أشار إلى أنَ العلاقة بين اللَّفظ و دلالته " إمَّا أنْ يُفيده ابتداءً، و إمَّا أنْ يُفيده بواسطة معناه، فإنْ أفاده ابتداءً، فهو الدَّلالة اللَّفظية، و هو المُسمَّى بدلالة المُطابقة، و إنْ أفاده بواسطة معناه فذلك هو أنْ يكون معناه مُستلزماً لأمر من الأمور استلزاماً قطعياً، أوْ ظاهراً، فعند سماع ذلك اللَّفظ يصير معناه مفهوماً، ثُمَّ ينتقل الذّهن من معناه إلى لازمه و

---

227 ـ المبارك محمد،فقه اللُّغة (دراسة تحليلية مُقارنة للكلمة العربية)، ص 191 .
228 ـ سورة البقرة، الآية 158 .
229 ـ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 2 / 61 .
230 ـ أنظر: المبارك محمد،فقه اللُّغة (دراسة تحليلية مُقارنة للكلمة العربية)، ص134.

إمَّا إنْ لم يكن اللَّفظ موضوعاً للشيء، و لا يكون المفهوم من اللَّفظ مُستلزَماً بشيء آخر لا استلزاماً قطعياً و لا ظاهراً كان اللَّفظ مع معناه مُنقطعاً عنْ ذلك الشيء أجنبياً عنْه، و مثل هذا يمتنع أنْ يصير مفهوماً لذلك اللَّفظ، و العلم به ضروري، " [231] فالرازي و هو يعرض لمفهومي: دلالة المطابقة و دلالة الاستلزام، حيث بيَّن أنَ العلاقة بينهما يُجسدُها العنصر الدَّلالي، و مهما كانت تلك العلاقة، فالعلم بها من الضروري .

إنَّ نظرة الأصوليين لدلالة الألفاظ من هذه الزاوية أفاد في عملية الاتِّساع اللُّغوي حيث مكَّن الألفاظ من " أن تتَّسع دلالتها لتوحي بمعان أخرى غير معناها الأصلي، لأنَّ الكلمة رمز للمسمَّى، والمُسمَّى يمكن أن يتَّسع وأن تظهر من خلاله علاقاته بغيره من المسميات، وكذلك الكلمة تتسع لتشمل مسميات عدَّة يحدد السياق بعضها، " [232] و بما أنَّ العملية قائمة بين الرَّمز و المُسمَّى و العلاقة بينهما في مجالات الاستعمال فما يُستنتج من معنى نتيجة تلك العلاقة هو الدَّلالة الجديدة للَّفظ .

إنَّ الدَّرس اللُّغوي أو اللِّساني الحديث يتشكل من جملة من المُستويات، و يُشكل علم الدَلالة قمَّتها شأنه في ذلك شأن الأصوات و التَّراكيب [233] و يبقى البحث في المجال الدَّلالي يُشكل قمَّة الدراسات، و هي في نظر بعض الباحثين المُحدثين شبيهة بما ناد به الأصوليون ..." مادَة محسوسة ترتبط صورتها المعنوية في إدراكنا بصورة مُثير آخر تنحصر مُهمته في الإيحاء، " [234] ففهمه للدلالة من هذه الزاوية مُرتبطٌ بالمجال النَّفسي و علاقته بالمثير الخارجي الأمر الذي ينتج عن التَّأقلم بين الشيء و العلامة المُعبَّر بها عنه ، و هو ما يُمثل مفهوم التطابق بين الدال و المدلول .

---

231 - فخر الدّين الرَّازي،المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّن، تحقيق:عارف تامر، ص 104، 105.

232 - سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز ،(دراسة في المجاز الأسلوبي و اللغوي)، ص409.

233 - أنظر: بالمر، علم الدَّلالة، ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد 1985م، ص 8.

234 - بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد،الطبعة الأولى 1984م، منشورات عويدات بيروت- لبنان، ص31.

المستويات الدلالية للألفاظ في المعاجم العربية

أ – المستوى الصَّوتي

إذا سلَّمنا بنتائج البحث في الحقل اللَّغوي و التي أكَّدت و تؤكد أنَّ اللُّغة ظاهرة صوتية، فالأولى أن نبدأ بدراسة أصواتها باعتباره أصغر وحدة التي بها ننشئ الكلمات التي حتما تحمل دلالات مختلفة نتيجة اختلاف تركيبها الصوتي، و بهذا فاللُّغات الإنسانية تتميز في ظواهرها الصوتية عن بعضها البعض.

و لقد نشأ الدرس الصوتي العربي في ظلِّ القرآن الكريم و تفسيره، و كان الخليل بن أحمد الفراهدي (ت 175هـ) رافدا لهذا المنحى عند العرب و هو ما أدلى به في مقدِّمة مُعجمه " و قلَّب الخليل ا ، ب ، ت ، ث ، فوضعنا على قدر مخرجها من الحلق، و هذا تأليفه: ع،ح،هـ،خ،–ق،ك–ج،ش،ض– ص،س،،ز– ط،د،ت– ظ،ث،ذ– ر،ل،ن– ف،ب،م – و،ا،ي– همزة . " *(235)*

و قد قسَّم المُحدثون دراسة الأصوات إلى قسمين:

1 – فونتيك (phonetic) و هو خاص " بدراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها و عن تجمعاتها في لغة معيَّنة و دون النَّظر في وظائفها اللغوية، أو حتَّى معرفة اللُّغة التي تنتمي إليها، " *(236)* فمن المسائل المُتعلِّقة بالفونتيك (phonetic) ما يقف عليه القارئ في فصل الألف مادة بدأ " و ربَّما تركوا همزة لكثرة الاستعمال على ما نذكره في باب المعتل، و يقال أيضاً: أفعله بَدْأة ذي بَدء، و بدْأةَ ذي بَدأة، أي أول أول، و قولهم: لك البدء و البِدُأة و البَدُأة – أيضاً – بالمدِّ : أي لك أن تبدأ قبل غيرك في الرَّمي أو غيره،" *(237)* فالجوهري في تعامله مع هذا المدخل تعرَّض لما له علاقة بالجانب الصوتي و أثره في إحداث دلالة جديدة .

235- الفراهيدي(أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد 100_175هـ)، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي، 1 / 48 .

236 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللُّغوي، عالم الكتب، د. تا ، ص68.

237 - الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار،دار العلم للملايين بيروت ،الطبعة الرَّابعة 1990م، ص35.

2 الفونولوجيا (phonology) و هو يهتمّ " بالدراسة التي تصف و تُصنَّف النظام الصَّوتي للغة مُعيَّنة، " [238] و المعاجم اللُّغوية تناولت الألفاظ من هذه الوجهة بشيء من التفاوت حسب طبيعة بناء المعجم و منهجه و اهتمام صاحبه بهذه المسائل، وبعد استقرائنا لبعضها مكَّننا ذلك من تدوين ما له علاقة بالمستوى الصَّوتي الفونولوجي (phonology) الذي يختصّ بدراسة التشكيل الصوتي حيث تتعرَّض للفونيم، و المقطع الصوتي و النبر و التنغيم و التغيرات التركيبية التي تصيب الأصوات، و هي ما تُعرف عند المُحدثين بالقوانين الصوتية، [239] و من المسائل الفونولوجية في المعجم العربي قانون المماثلة [240•](assimilation) و الأمثلة في المعاجم العربية كثيرة منها ما وقفت عليه في الصحاح حيث عرض صاحبه مثالا ملموساً لمفهوم المماثلة بين مادتي: (جدف) و (جدث) " جدف الطائر يجدِفُ جُدوفاً، إذا كان مقصوصاً فرأيتَه إذا طار كأنَّه يرُدّ جناحيْه إلى خلفه قال الأصمعيّ: و منه سُمِّي مجداف السفينة.و جناحا الطائر: مِجدافاهُ، قال ابن دُريد: مِجدافُ السَّفينة بالدَّال و الذَّال جميعاً، لُغتان فصيحتان . و الجدفُ: القبر، و هو إبدال الجدَثِ . قال الفرَّاء: العربُ تُعقِبُ بين الفاءِ و الثَّاءِ في اللَّغةِ فيقولون: جَدَفٌ و جَدَثٌ، و هي الأجدافُ و الأجداثُ ." [241]

و في ثنايا بحثنا وقراءتنا للمعجم استوقفتنا بعض الظواهر الصوتية التي تعرَّض لها الزمخشري في شرحه المجازي باعتبار أنَّ " ألفاظ اللغة العربية لا تعيش منعزلة بل تجتمع وتشترك في روابط مشتركة تربطها وتصل بينهما، ولكل كلمة جسم وروح:فجسمها هو المادة الصوتية،التي تتكون منها، والشكل الذي تجعل فيه تلك المادة أو البناء الذي تبنى عليه وروحها هو معناها " [242]، منها على سبيل التمثيل مادة (حنث):" ومن

---

238 - أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللّغوي، ص68.

239 - انظر: براجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ،تعليق رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي القاهرة، 1982م، ص26.

• - و هي تعني أثر أحد الصوتين في الآخر – طبعا و هما يختلفان في الصفة و المخرج و نتيجة عملية التأثير يحدث التقارب أو التماثل الذي ينتج عنه اتفاق في المخرج أو الصِّفة فيؤدِّي إلى نوع من التوافق

241 - الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، 4 / 1335.

242 - فرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نموّ اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1995 م، ص135 .

المجاز: بلغ الغلام الحنث﴿ وَكَانُوُا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ ﴾ *(243)* وهو الذنب، استعير من حنث الحانث الذي هو نقيض بِرِّه، وهو يتحنث من القبيح: يتحرَّج ويتأثَّم، "وكان رسول الله – ﷺ – يتحنَّث بِحِرَاءَ " أي: يتعبَّد ويتأثَّم، وقالوا تحنَّثْ بصِلتك وبرِّك، ويجوز أن تعاقب التاءَ الفاءُ من التَّحنُّفِ " *(244)*.

إن إشارته إلى إمكانية تداخل التاء مع الفاء له ما يفسره صَوْتِيا، فالتَّحَنُّث يؤول إلى التَّحنُّفِ وهو ما توصلت إلى تأكيده الدراسات الصوتية الحديثة، " فالفاء" و "الثاء" صوتان احتكاكيان فيهما " يضيق مجرى الهواء الخارجي من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث للهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً،و الصوامت العربية التي يصدق عليها هذا الوصف هي :

المهموس	المجهور
ف	–
ث	ذ
–	ظ
س	ز
ص	– " *(245)*

إنَّ إمكانية تأويل " التَّحنُّث" ، حسب رأي **الزمخشري** من الناحية الصوتية لا يمكن تفسيره إلاَّ بالتقارب القائم بين الحرفين من حيث المخارج، فيسهل التبادل بينهما

---

243 - سورة الواقعة، الآية 46 .

244 - الزمخشري، أساس البلاغـة،ص144 .

245 - محمود السعران، علم اللغة العام، دار النهضة العربية، بيروت، ص 172 .

فالفاء يحدث نتيجة " ضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما و خلال الثنايا ، يرفع الحنك اللين ، فلا يمرَّ الهواء خلال الأنف، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان [...] و يحدث "الثاء" بأن يوضع طرف اللِّسان بيْن أطراف الثنايا،بحيث يكون هناك منفذ ضيِّق للهواء ويكون معظم جسم اللسان مستويا، برفع الحنك اللين فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، ولا بتذبذب الوتران الصوتيان، "[246] فالفاء و الثاء يلتقيان في احتباس الهواء في موضع ما، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق بهما، مما يُيسِّر عملية التبادل بينهما، و لذلك حكم الزمخشري بقوله: " التَّحَنُّثِ يؤول إلى التَّحَنُّفِ ".

و مِمَّا وقفنا عليه من المسائل الفونولوجية في المعجم العربي اللُّغوي قانون المُخالفة (dissimilation)[247] و هو ما يتجلَّى لمتصفِّح أساس البلاغة في قوله:

" و أساء إليه: نقيض أحسن إليه، و السَّوآى نقيض الحُسنى، و في القرآن ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى ... ﴾[248] يعني النَّار.

و السيِّئَةُ أصلها سيْوِئَةٌ، فقلبت الواو ياءً و أُدغمتْ . "[249]

مثل هذه الالتفاتة من الزمخشري في شأن الجوانب الصَّوتية يوحي لنا أنَّ للقلب أثر في تبدُّل دلالة اللَّفظ و تنوُّعها .

ب – المستوى الصَّرفي

إذا سلَّمنا بالحقيقة التي مفادها أن " اللُّغة هي الألفاظ الدَّالة على المعاني، وطريقُها الكلامُ و الكتابة،"[250] فمعاني الألفاظ و دلالتها قد تتحكم فيها الصيغة، أو

---

246 - المرجع نفسه، علم اللغة العام، ص 173 .

• - و هي عكس التماثل، فالأصوات المتماثلة في كلمة يُغيِّرها إلى صوت آخر يغلب أنْ يكون من أصوات العلَّة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة (ل ، ر ، م ، ن) و التَّفسير الصَّوتي لهذه الظَّاهرة مفاده أنَّ الصَّوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النُّطق بهما في كلمة واحدة، و لتسهيل عملية النُّطق يُقلب أحد الصَّوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً كاللاَّم و الميم و النون .

(- انظر: علي حسين مزيان، علم الأصوات بين القديم و الحديث، الطبعة الأولى، دار شموع الثقافة، الوَاوية ليبيا 2003م، ص 126.)

248 - سورة الروم، الآية10.

249 - الجوهري، الصحاح، سيأ 1 / 56 .

250 - شوقي حمادة، مُعجم عجائب اللُّغة، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى 2000م، ص9.

البناء الصرفي للكلمة، لاعتبار و هو أنَّ الدَّلالة تتغير " بتغير بنية الكلمات، فكلمة " علم " يمكن أن تكون مصدرا، و فعلا ماضيا وفعلا مضارعا، و أمر، و أن تدلَّ على الرَّاية، أو تضاف إلى اسم بعدها لتدلَّ على اسم لمادة خاصة مثل: " علم الحساب "

... إلى آخره، و يشتق[251•] منها أوزان جديدة، كاسم الفاعل، واسم المفعول، و صيغة المبالغة، و اسم الزمان و المكان و اسم التفضيل حيث يبرز مع كل تغيير جديد في الكلمة معنى جديد، و تُعبِّر هذه الظاهرة عن ثراء اللغة و اتساعها للتعبير عن مختلف المطالب و الحاجات " [252] فظاهرة تنوع البناء الصَّرفي و اختلاف صيغها [253•] في علوم اللُّغة العربية [254•] أفادت في عملية الاتِساع الدَّلالي، و لقد ركَّز المعجميون في معاجمهم أثناء تتبُّع دلالة الألفاظ على أصول الكلمات و طريقة اشتقاقها، و هو يقف عليه القارئ في مجمل اللغة نحو:

"حمو: الحَمْوُ: أبو الزَّوج و أبو امرأةِ الرَّجل، يُقال: هو حَمُوهُ و حَمَاهُ على وزنِ أبوه وقَفاهُ. قال الأصمعيّ: حَمْؤُها مهموزٌ مثلُ كمءٍ قال:

هيَ مَا كَنَّتي و أَزْ * عُمُ أَنَّي لَها حَمْؤُ**

• - و الذي رآه عبده الرَّاجحي في هذا المجال أنَّ اللُّغة العربية تتميز " بأنَها لُغة اشتقاقية، و هذا يعني أنَّ هُناك مادَة لُغوية مُعيَّنة مثل (ك ت ب) يُمكن تشكيلها على هيئات مُختلفة، كُلّ هيئة منها لها وزن خاصّ، و لها وظيفة خاصّة "

(- عبده الرَّاجحي، التَّطبيق الصَّرفي، دار المعرفة الجامعية إسكندرية 1988م، ص75.)

[252] - علي أحمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة دار الفكر العربي 2000م، ص 38- 39 .

• - هي الظَّاهرة التي لاحظها كثير من اللغويين والنقّاد فيما يترتّب على اختلاف الصيغة الصرفية بين كلمة وأخرى، فالفرق في المعنى حاصل بين (ضارب وضرب وضروب ومضروب) وقولهم (ناصر ونصر ومنصور ونصّار) إلى آخر احتمالات اختلاف الصيغ الصرفية .

• - " و لا شكَّ أن علوم اللغة بحاجة إلى دراسات حديثة لتجلية العلاقات بينها نظريا، وتطبيقيا، طلبا لتجميع مقولات هذه العلوم في أكثر من قضية ،وحسبنا على سبيل المثال، أن نشير مثلا إلى مجموعة من الدراسات لكشف العلاقات الخفية بين الحقول الدلالية الصرفية والحقول الدلالية المعجمية ،وبين مجالات المعاني الدلالية، والتصريفات الاشتقاقية لأبنية الكلمات العربية . "

(- سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية (معجميا، صوتيا، صرفيا، نحويا ،كتابيا)، دار المريخ المملكة العربية السعودية 1998م,ص6.)

و الحِمْوَةُ مثلُ الحِميَةِ، و الحِمَى: خِلافُ المُباحِ " [255]

إنَّ استعانته بالأوزان الصرفية و اعتماده على التَّمثيل لها تجسيد لقناعته بأثر هذه العوامل في تحقيق الإبانة.

و قد يلتفت في الإطار ذاته إلى التركيز على بيان الجمع قصد إزالة اللَّبس نحو ما وقفنا عليه في مادَّة حبك " حبك: الحبيكةُ: الطريقة، و الجميعُ الحبائك، و الحُبُكُ: الطَّرائقُ. قال الله – جلَّ و عزَّ – و السَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ قالوا: طَرَائِقُ النَّجُومِ، " [256]

و فيما يتعلَّق بالأوزان الصَّرفية و أثر اختلافها في تنوَّع الدَّلالة رأيت أنْ أستعين بالجدول الآتي:

الصيغة	المعنى الصرفي	المثال	المعنى الدلالي
فاعل	اسم فاعل	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ الفرقان27	الدلالة على وصف من قام بالفعل .
مفعول	اسم مفعول	﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ الإسراء33	الدلالة على من وقع عليه الفعل
فعول	صيغ المبالغة	﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ	الدلالة على معنى اسم الفاعل .

[255] - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، مجمل اللُّغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة العراق،الطبعة الثانية 1986م،(حمو)، 1/ 249- 250.

[256] - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، مجمل اللُّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، 1 /261.

		لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم34	
أفعل	الصِّفة المشبهة	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون﴾ الأنعام21	الدلالة على معنى اسم الفاعل .
مَفْعِل	اسم مكان	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ طه59	الدلالة على مكان وقوع الفعل .
مَفْعِل	اسم زمان	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾الكهف58	الدلالة على زمان وقوع الفعل .
مِفْعَل	اسم آلة	﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ الحج21	جمع مِقمعة للدلالة على آلة القمع .

إنَّ المتأمل للمعاني الصرفية التي احتواها الجدول أعلاه يقف على حقيقة مفادها أنَّ تنوِّع الصَّيغ من بنية إلي أخرى يُؤدِّي حتماً إلى تنوُّع الدِّلالة، فالصَّيغ المُشتقة من الفعل " ظلم " و المُمثلة في: " ظالِم – مَظْلُوم– ظَلُومٌ– أَظْلَمُ " تختلف دلالتها من واحدة إلى أُخرى.

كما أنَّ الصَّيغ المُشتقة من الفعل " وعد "، و المُمثلة في– موعد – دلالتها غير واحدة، و قد أكد هذا الحكم ابن الأثير(637هـ) و الذي من خلاله أثبت أن كلَّ وزن له دلالة، و اللفظ " إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بُدَّ أن يتضمن من المعنى أكثر مِمَّا تضمنه أوَّلاً؛ لأنَّ الألفاظ أدلَّة على المعنى و أمثل للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني من ذلك قولهم: خشن و اخشوشن، فمعنى " خشن " دون معنى " اخشوشن "لما فيه من تكرير العين، و زيادة الواو

نحو فعل و افعوعل، و كذلك قولهم أعشب المكان، فإذا رأوا فيه كثرة العشب قالوا: اعشوشب. " [257]

و الباحث في المعاجم اللُّغوية يقف على كثير من إحالات أصحابها لما له علاقة بالمستوى الصَّرفي نحوما وقفت عليه في مادة (بسل): " و البُسْلَةُ بالضَّم: أُجرةُ الرَّاقي. و البَسَالَةُ: الشَّجاعةُ، و قد بَسُلَ بالضَّم فهو باسِلٌ، فهو بطلٌ، و قومٌ بُسْلٌ مثل بازِلٍ و بُزْلٍ، و المُباسَلَةُ: المُصاولةُ في الحرب، " [258]

إنَّ تمييزه بين جملة من البنيات في المادة الواحدة التي ضمَّنها جُملة من الصِّيغ الصَّرفية نحو: (فُعْلَةٌ) بُسْلَة – (فَعالةٌ) بَسالةٌ – (فَعُلَ) بَسُلَ – (فُعْلٌ) بُسْلٌ تأكيدٌ من صاحب الصَّحاح بأنَّ دلالة المدخل تأخذُ معان مختلفة كُلَّما تغيَّرت صيغتها الصَّرفية، و هي خاصِّية تمتاز بها اللغة العربية و المُؤكَّدة في كثير من البحوث اللُّغوية فهي " من أكثر اللُّغات التي تتميز بوفرة هائلة في الصيغ التي تقوم عليها المعاني الوظيفية الصرفية، كاسم الفاعل و اسم المفعول، و الصفة المُشبهة و اسم التفضيل واسم المكان واسم الزمان.. الخ ، و هي – أي اللغة – محظوظة جداً بوجود هذه الصيغ فيها؛ لأنَّ الصيغة في الصرف قرينة هامة يعتمد عليها الباحث، " [259] فالدَّلالة المُستوحاة من النَّصِّ أو الجملة تتحكم فيها جُملة من القرائن التي توحي بدلالة مُعيَّنة، وطالما كانت الفيصل في إثباتها، و ضبط قصدية صاحبها باعتبار أنَّ الوحدة الكلامية حينما تأخذ حيِّزاً ضمن جملة من الكلمات تتشكل لها دلالة أُخرى، " و للبنية مستوى دلالي يستقرأ من تراكيب النَّص و علاقات عناصره و تفاعلاتها، و سمتها التَّكرارية. " [260]

---

257 - ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998م، 2 / 41.

258 - الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، 4 / 1634.

259 - مصطفى النحاس، من قضايا اللُّغة، الطبعة الأولى 1995م الكويت، ص 186.

260 - حاتم الصكر، ترويض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر إجراءات .. و منهجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م، ص51.

إنَّ المستوى الدَّلالي للبنية في كثير من الحالات تتحكم فيه جملة من العناصر التي ينبغي مُراعاتها كتلك الني تتعلق بتراكيب النَّصِّ حيث يطغى على بعضها التراكيب الاسمية التي توحي بدلالة الثبات و الاستقرار، خلافا لما نقف عليه في تراكيب أُخرى حيث يطغى عليها التراكيب الفعلية التي توحي بالحركية و التَّغير، كما أنَّ لعنصر العلاقة بين الوحدات الأثر في تحديد الدَّلالة .

إنَ أثر التَّركيب في دلالة اللَّفظ و الخروج به من المعنى العادي إلى معنى جديد يجعلنا نتساءل حول أيُّهما أهمُّ في الدلالة اللفظية الصيغ أم المدخل المعجمي ؟

إنَّ الدلالة من هذا المنطلق غير ثابتة، فاللَّفظة الواحدة قد تُؤدِّي عددا من الدَّلالات، و هو ما يُعرف بالتَّوليد الذي " هو إصباغ معنى جديد على كلمة قديمة فصيحة تتضمن معنى آخر، فالهاتف تعني قاموسياً، مَن يُسمَع صَوتُه، و لا يُرى شخصُه، أمَّا الآن فهو التلفون، كذلك مُحرِّك السيارة، فالمُحرك صرفياً اسم فاعل من حرَّك،و السيارة مُبالغة من السَّير، أمَّا في يومنا هذا فالمُحرك شيء مُحدَّد، و السيارة هي الأوتوموبيل، و عندما نقل العرب الفكر الإغريقي عمدوا إلى التوليد، و أحيانا إلى الاشتقاق القياسي، و عندما لم يكن التوليد أو الاشتقاق أمراً مُمكناً، كانوا يعمدون إلى التَّعريب *(261•)* أي: لفظ الكلمة الأعجمية على شكل عربي الوزن ككلمة " دِرهم " التي أصلها دراخماً، " *(262)* و بهذا الأسلوب توسعت العربية في معجمها و دلالتها حيث عُرفت هذه الأخيرة بالتعدد الدلاليpolysémie و الذي يشير إلى" خصوصية تتقاسمها عديد الوحدات المفرداتية: انطلاقا من موافقتها لأكثر من معنى." *(263)*

• - " قدْ ينطق البعض أنَّ تأثر اللُّغة العربية بغيرها من اللُّغات الأخرى، أوْ ضمّ ألفاظ من هذه اللُّغات إليها كان في وقت مُتأخر، و لكن الحقيقة غير ذلك إذْ أنَّ العربية أخذتْ تُحقِّق ذاتها بالأخذ و العطاء منذ فجرِها الأوَّل،وإنَّها لوْ لمْ تفْعلْ ذلك لكانت مُخالفة لسُنَّة الحياة في التَّطور و البقاء ."
(- محمد رواس قلعجي، لغة القرآن، دار النَّفائس بيروت 1988م، ص 11 .)

262 - أنيس فريحة، نظريات في اللُّغة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، الطبعة الثانية 1981م، ص 70 – 71.

263 - ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاهيم في اللسانيات، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني، ص81.

إنَّ تتبُّع علماء الصرف للدَّلالة اللَفظية لم يتوقف عند تتبَّع البنية كوحدة مُستقلّة، و إنَما درسوها ضمن المجموعة " و لمَّا كانت قيمة اللَّفظ في الأداء هي السّمة الغالبة عند العلماء تعرضوا له، و بيَّنوا أوْصافه في المفرد و الجملة، " [264] باعتبار أنَّ دلالة الألفاظ قد يتغيَّر معناها بفعل تجانسها مع جملة من الألفاظ في الجملة الواحدة، و هو ما ركَّز عليه علماء البلاغة .

ج – المستوى النحوي

مِمَّا هو مُسلَّم به أنَّ اللَّفظ ضمن تركيب أو في جملة يأخذ معنى قد يختلف عن المعنى الذي يُعرف به و هو كمدخل مُعجمي لِذا فرَّق النحاة قديما بين "اللفظ و القول"، و قد تجلَّت هذه العملية في مؤلفاتهم كتلك التي يقف عليها القارئ في المراد بالقول الذي ضُبط تعريفه في " اللفظ الدال على معنى: كرجل، و فرس، و المراد باللفظ: الصوت المشتمل على بعض الحروف، سواء دلَّ على معنى: كديز – مقلوب زيد و قد تبيَّن أن كلَّ قول لفظ، و لا ينعكس." [265]

إنَّ للوحدات المُكوِنة للجملة الأثر في تحديد دلالتها، و هو ما عناه الفارابي حينما التفت إلى هذه الظَّاهرة التي وقفت عليها في قوله إنَّ " القول و هو لفظ مُركَّب دالٌّ على جُملة معنى، و جزؤُه دالٌّ بذاته لا بالعرض على جُزء ذلك المعنى،" [266] فالوحدات المُشار إليها بالأجزاء في قول الفارابي قد تكون حروفاً، أوْ أسماءً، أوْ أفعالاً، و إذا كانت دلالة هذه الأدوات تختلف في الجِنس الواحد مثلاً، فحروف الجرِّ تختلف في دلالتها عن حروف العطف و غيرها، بل ما نقف عليه من اختلاف في الدَّلالة هو اختلاف حروف الجنس الواحد عن بعضها البعض، فدلالة حروف الجرِّ تختلف عن بعضها البعض كما أنَّ الحرف الواحد تختلف دلالته من جملة إلى أُخرى، و هكذا بالنِّسبة للأفعال و الأسماء التي تتشكل دلالتها بتأثير من الوحدات الجزئية الأخرى .

---

[264] - عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص 43.

[265]- ابن هشام الأنصاري، قطر النَّدى وبلّ الصَّدى ،شرح محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب، الجزائر (د . ط - د. تا)، ص 17 .

[266] - الفارابي، العبارة، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب القاهرة 1972م، ص 16.

تكاد المفاهيم التي استهدف بِها علماء اللُّغة مجال الكلمة تُجمِع على مضمون واحد، وهو أنَّ " الكلمة هي اللَّفظة الدَّالة على معنى مفرد، و هي ثلاثة أنواع: الاسم – الفعل – الحرف،" [267] فالواحد من الاسم و الفعل و الحرف يُسمَّى كلمة، و في حالة الائتلاف المفيد بين اثنين أو أكثر يُسمَّى كلاماً، وهو ما قصده ابن مالك[268•] في ألفيته :

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كاسْتَقِمْ * اِسْمٌ و فِعْل ثُمَّ حَرْف الكَلِم** [269]

إنَّ الكلام المفيد هو ما دلَّ على معنى، و لن يحصُل هذا الأخير إلاَّ إذا تمَّت عملية التَأليف بين كلمتين أو أكثر، فمجموع الكلمات إذا تآلفت فيما بينها أفضت إلى بناء جملة مفيدة، و هو ما أراده العكبري في قوله: "إن الجملة تتألف بعض أجزائها إلى بعض كما تتألف حروف الكلمات المفردة بعضها إلى بعض،" [270] فحسن انتقاء الكلمة [271•] و التَّحكم في بناءها من حيث التَركيب يؤول إلى تحقيق جملة مُفيدة تؤدِّي معنى .

لم يتوقف فهم علماء اللغة للدلالة في مستوى البنية فحسب، بل توسَّع مجالها ليشمل الجانب الترتيبي للوحدات اللُغوية [272•] و أثره في ضبط العنصر الدلالي،" فعلم الدلالة (la sémantique) حين يدرس اللُّغة فهو لا يخرج عن إطارها الداخلي، حيث يهتمُّ بالبنية الداخلية للَّفظ، أي أنَّ علم الدلالة كذلك يهتمَّ بالمعاني داخل الجملة

---

267 - علي رضا، المختار في القواعد و الإعراب، مكتبة دار الشرق بيروت، د . تا، ص 07.

• - هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطَّائي، وُلد بالأندلس عام 600هـ، و نشأ فيها ثمَّ انتقل إلى دمشق، وتصدّر لتدريس العربية بحلب، بعدها انتقل إلى القاهرة، ثمَّ عاد إلى دمشق، و بها مات عام 672هـ .

269 - ابن مالك، الألفية في النَّحو و الصرف، دار الإيمان دمشق وبيروت 1932 م، ص 2 .

270 - أبو البقاء العكبري، مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، حلب 1972 م، ص41 .

• - "...فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو - جلس- و - ذهب- . و اختلاف اللفظين و المعنى واحد ، نحو : - ذهب - و - انطلق- و اتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك – وجدت عليه - من الموجدة ، و – وجدت- إذا أردت وجداه الضالة، و أشباه هذا كثير "

(- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى1999م، 1 / 49.)

• - و يُعرف بالنحو، و هو قي نظر القدماء " العلم الذي يبحث في أحوال أواخر الكلمات، إعرابا وبناء أو كما يُراد به في اصطلاح النُّحاة العلم الذي يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلمات إعراباً و بناءً، فمعرفة حكم الكلمة من حيث كونها مرفوعة أو منصوبة أوْ مجرورة أوْ مجزومة، و بالموضع الذي تأخذ فيها هذا الحكم و العلامات المختلفة الذي تدلُّ على هذا الحكم و معرفة الكلمات التي تظهر عليها حركات الإعراب و الكلمات التي يلزم آخرها حالة واحدة كُلُّ ذلك يدخل في دراسة النَّحو ."

(- عبد الرحمن السيّد، الكفاية في النَّحو، مطبعة قاصد خير، الطبعة الأولى 1970 م، 1/ 4.)

النحوية، هذه المعاني الناتجة عن مجموعة من العناصر اللغوية المؤلفة فيما بينها،" [273] فهو بذلك لا يقتصر على المُفردات مُستقلّة بلْ يتعدّاها ليقف على موقعها في الجملة لما للموقع من أثر في بيان الدلالة و تحديدها .

إنّ تلاحم جُملة من الألفاظ فيما بينها تفرز لها دلالات جديدة، و هو ما أكّده البحث اللّغوي حينما نفى عملية تحقّق التواصل و التّفاهم في ظلّ الألفاظ البعيدة عن التّركيب " و الحقيقة أنّ الألفاظ المجردة عن التركيب لا تؤدي مهمة التواصل و التفاهم، فكان لا بد لها من تركيب يجمعها، " [274] فبناء الجملة اللّغوية وفق نسق ترتيبي بين الألفاظ و طريقة ترتيبها مهمّ في عملية الرّبط بين اللّفظ كمدخل مُعجمي [275•] و التّركيب لبلوغ دلالات جديدة.

د – المستوى الدلالي

لقد تشعبت قضايا البحث في المجال الدّلالي عند اللّغويين، و لم تبق محصورة في مجالي النّحو و الصّرف مثلما بيّنا ذلك في المبحثين السّابقين، بل تعدتهما حيث أصبح من البحث الدّلالي الاهتمام بكثير من القضايا البلاغية [276•] و منها التي ترتبط ببحثنا قضية الحقيقة و المجاز و علاقتها بدلالة اللّفظ، على أساس أنّها تُعدّ بحقّ " مفتاح فهمهم لقضية الدلالة و تغيرها، فالمعنى الحقيقي ما وُضع على أصله في اللغة،

---

273 - علي آيت أوحشان، السياق و النّص الشعري من البنية إلى القراءة، ص43.

274 - سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز، (دراسة في المجاز الأسلوبي و اللغوي، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق، الطبعة الأولى 1996م، ص69.

• - و قبل الذهاب إلى ذلك و البحث عن دلالة اللفظ ضمن التركيب رأى ابن هشام ضرورة معرفة دلالتها معجمياً، و هو ما نستشفه في قوله:" و كثيرة هي الألفاظ التي يتوقف إعرابها على معرفة معناها المُعجمي كما هو الحال عند ابن هشام حين سُئل عن إعراب كلمة " بحقلد " في البيت :

تَقِيٌّ نَقِيٌّ لمْ يكثرْ غَنيمة * بنكهةٍ في قُرْبى و لا بحقلدِ**

قال : أعرف ما الحقلد ؟ "

(- ابن هشام جمال الدين ابن هشام الأنصاري، المُغني اللّبيب عن كتب الأغا ريب، الطبعة الثانية، 1969م،2/ 583.)

• - لقد اهتمّ الدرس البلاغي عند العرب بالثنائية المعروفة " اللفظ و المعنى " و منها ما يهتم بصلة اللفظ بمعناه وما يترتب عن ذلك من خروج هذا المعنى عن حدوده التي وضعت له أو بمعنى آخر انحراف المعنى عن اللفظ ثم يمتد هذا الاهتمام ليتناول معنى الجملة و صلتها بما قبلها وبما بعدها ...."

(- محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية،الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، الطبعة الأولى 1994م، ص258.)

هو المعنى القديم الصحيح، هو المعنى المباشر، على و عكس هذا فإنَّ المعنى المجازي هو المعنى الجديد المخالف لمعناه الحقيقي، و هو المعنى الفني للفظ له استخدامه العادي الآخر، هو المعنى غير المباشر للفظ له استخدامه المباشر. " [277]

إنَّ دلالة اللَّفظ في الحقيقة غير دلالته التي يُؤدِّيها في المجاز، و هو ما رآه عبد القاهر الجرجاني حينما خصَّ الكلام و رأى أنَّه على " ضربين ضرْب أنت تصلُ منه إلى الغرض بدلالة اللَّفظ وحده، وذلك إذا قصدْت أنْ تُخبر عن " زيد "مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، و بالانطلاق عن " عمرو " فقلت: عمرو مُنطلق، و على هذا القياس، و ضرْبٌ آخر أنْت لاتصلُ منه إلى الغرض بدلالة اللَّفظ وحده و لكن بذلك اللَّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللُّغة ثُمَّ نجدُ لذلك المعنى دلالة ثانية تصلُ بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة و التَّمثيل،" [278] فظاهرة خروج الألفاظ إلى المجاز و عدم تقيُدها بالمعنى العادي لها أكسبها دلالة جديدة مِمَّا وسَّع من نطاق الدَّلالة اللَّفظية، و في دراسة لرشيد برقان التي يرى فيها أنَّ " عبد القاهر الجرجاني لا يهتمُّ باللَّفظ المفرد، [279•] و لا يحفل به، حيث يعتبره وعاء فارغا لا يمكن الاطمئنان لدلالته المفردة و لا يستحق القيمة في نفسه حتى يدخل في تركيب معين، " [280] فحقيقة الدَّلالة اللَّفظية في نظر عبد القاهر الجرجاني تكمن في وظيفته ضمن التركيب العام، و بالتالي فدلالة اللَّفظ مُنفرداً لا تتسع للإبانة مثلما يكون ضمن تأليف في جملة الأمر الذي مكَّن بعض الاتِّجاهات الفكرية من بلورة مواقفها بناء على تخريجات دلالية غير معهودة مثلما هو الأمر بالنِّسبة للمعتزلة [281•] التي

---

277 - محمود فهي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، د . تا ، ص 136.

278 - عيد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)،دلائل الإعجاز،(في علم المعاني)، تصحيح و تعليق:السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطِّباعة و النَّشر- بيروت – لبنان 1402 هـ / 1981 م، ص 202 .

• - و قد ردَّ على هذه النَّظرة بدوى طبانه في قوله : " و الألفاظ المفردة، بغض النظر عن معناها الكامل في السياق، ظلال مفردة تستمدها مما "وراء الشعور" من الذكريات و الصور التي صاحبتها في تاريخها الشخصي و الإنساني على الزمن الطويل، ثم لها كذلك ظلالها و هي في نسق كامل، و الظلال الأولى ينكرها رجل ناقد مثل "عبد القاهر"؛ لأنه لا يرى دلالة للفظ إلا في نظم معين، و هذه مغالاة منه، فللَّفظ المفرد ظله الخاص،و جرسه الموحي في كثير من الأحيان ."

(- بدوى طبانه،التيارات المعاصرة في النَّقد الأدبي،الطبعة الثالثة 1986م، دار المريخ الرياض، ص 229.)

280 - رشيد برقان، العلاقة بين الجرجاني و الزمخشري، مجلة جذور، النادي الثقافي جدَّة، العدد 19، مارس 2005م، ص 156.

• - و من الأسماء التي أوردها الرَّازي لها " كثيرة منها ما هو عام مثل المعتزلة وأهل العدل والتوحيد، وأهل الحق، ومنها ما هو خاص بحسب ما يعزى إلى فرق الاعتزال من آراء مثل القدرية والجهمية و الوعيدية والمعطلة، أو كمجموعة الأسماء التي ذكرها المقريزي وهي الحرقية لقولهم الكفار لا يحرقون إلاَّ مرة و"المنفية " لقولهم بفناء الجنة والنار، والواقفية لقولهم

أولتْ اهتماماً بالغاً للَّفظ و المعنى و إنَّ تعدُّد أسمائها يوحي بالشهرة التي اكتسبتها بين الفرق الكلامية، و لعلَّ البحث في أصلها (282•) يكشف عن شخصيات برزت في كثير من العلوم، و انفردت بسيمات في الفكر(283•) و إنَّ اهتمامهم باللَّفظ و المعنى دفعهم إلى

بالوقف في خلق القرآن و اللفظية لقولهم بأن ألفاظ القرآن مخلوقة لقولهم الله تعالى في كل مكان ، والقبرية لإنكارهم عذاب القبر."

(- فخر الدّين الرَّازي،المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّن، تحقيق: عارف تامر، ص 51 .)

• - لقد تتبع الرَّازي ذلك و توصل إلى أنَّه " يرقي إلى عهد قديم، فقد ولد في المدينة قبل وفات الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رجل شهير جمع في نفسه علوم زمانه وعلمها بما أوتي من طلاقة وبيان هو "الحسن البصري " الذي كانت له في البصرة مدرسة يرتادها كبار المثقفين وكانت تثار في مجالسه كبرى المسائل اللاهوتية.وقد نما الاعتزال داخل المدرسة على يد "واصل بن عطاء"و "عمرو بن عبيد"فنجح واصل في جمع عدد غفير من الأتباع حوله.و أرسل دعاته إلى الأمصار، وكلفهم ببث الدعوة في سائر الطبقات حتى انتشرت آراء المعتزلة لدى خلفاء كبار كالمأمون والمعتصم والواثق، كما انتشر لدى سواد الشعب والعجائز في البيوت .

ولكن الاعتزال شأنه شأن سائر مجاري الكلام لا يؤلف مدرسة واحدة تامة جامدة متسقة، بل إنه قد ومر بأدوار مختلفة ،وانبثقت عنه فرق عديدة حسب قول "البغدادي"تبلغ عشرون فرقة كل واحدة تكفر سائرها، ولكن من الأصح أن ننظر إلى هذه الفرق نظرتها إلى أغصان دوحة واحدة نمت على تفاوت بحسب الظروف والظروف والأوضاع،ولكنها لا تتنافى بالتناقض وهي كالبؤر التي تبعث الإشعاع المعتزلي في كل اتجاه وهذه البؤر تتعاقب على الأغلب، ويحمل كل منها اسم الرئيس الذي يدير المركز ويشرف عليه،ومن الجائز أن تلم إلمامة خاطفة بتاريخهم وبتطورهم فنذكر أن تاريخهم مر بأدوار ثلاثة هي دور التكوين، والازدهار،فالانحطاط.

من أقطاب هذه الحركة: الحسن البصري، واصل بن عطاء، العلاف النظام الجاحظ، الخياط، البلخ، أبو الحسن الأشعري، البصري، النيسابوري، الزمخشري."

(- فخر الدّين الرَّازي،المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّن، تحقيق:عارف تامر، ص 51 .)

• - أما تطور المعتزلة الفكري فبالإمكان القول بأنها على مرحلتين أساسيتين...أولهما مرحلة المعتزلة الكلامية،وهي مرحلة الدفاع عن الإسلام والرد على خصومه، ثم مرحلة المعتزلة المتفلسفة، وهي مرحلة مناهضة الخصوم المثقفين باعتماد المنطق والفلسفة، ولكنهم أخيرا أحبوا الفلسفة لذتها،وصاروا يعظمون فلاسفة اليونان، كما فعل إخوان الصفا وحرصوا على إظهار الاتفاق بين الفلسفة والدين، وللمعتزلة أصول هي :

التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما مبادئها فتتلخص:

1- هي حركة إصلاح ديني تسعى إلى إتمام ما جاء في القرآن من تعاليم.

2- هي حركة دفاع ضد الفرق التي قاومتها وخاصة الملاحدة.

3- هي حركة منطقية ضمت عددا من أصحاب الفكر في الإسلام .

4 - هي حركة عقلية تعتمد على التأويل العقلي،وتحولت أخيرا إلى الفلسفة . "

(- فخر الدّين الرَّازي، المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّن، تحقيق: عارف تامر، ص 51- 52).

البحث و التَّمييز بين الحقيقة و المجاز، و هو ما أكَده عبد الفتاح لاشين رأى أنَ عملية الفصل بين الألفاظ و المعاني بدأت " في بيئة المُعتزلة الذين ارتكزوا على فكرة المجاز، و حاولوا من خلالها فهم النَّص القرآني فهْماً يُنَزِّه العقيدة عن كُلّ ما يتعارض مع أصل « التَّوحيد » الاعتزالي .

و المُعتزلة قدْ فسروا القرآن الكريم مُستخدمين المجاز وسيلة من وسائل التَّعبير، و أكدوا على تجريد المعنى القرآني و الابتعاد به عن أشكاله الظَّاهرية و ما لها من دلالات محسوسة تتنافى مع أصلهم في « التَّوحيد »،" [284] فاللَّفظ في نظر المعتزلة قد تُجرَّد دلالته لبلوغ دلالات غير محسوسة خدمة لقاعدتهم في « التَّوحيد »، و من اهتمامات البلاغيين بالألفاظ ما يتضح لنا جلياً فيما أورده الجاحظ (ت255 هـ) في باب: من القول في المعاني الظاهرة باللَّفظ الموجز قوله: " وقيل لابن المُقفع ألا تقول الشِّعر؟ قال: الذي يجيئني لا أرضاه، و الذي أرضاه لا يجيئُني، " [285] فالذي يُفهم من جواب ابن المقفع أنَه مهما عبَّر عمّا يجول في نفسه، فهو غير راض عنه باعتبار أنَّ الذي يجيئه لحظة التعبير عن أفكاره من ألفاظ [286•] لا تف موقفه التَّعبيري [287•].

و هو ما عبَر عنه المسدي في قوله إنَ " العلاقة بين الطّرفين اللَّفظة و التَّركيب علاقة بنائية تجعلنا نفهم الدَّور الحقيقي للَّفظة من جهة و دور التَّركيب في توظيفها من جهة أُخرى، أيْ أنَّ اللَّفظة إذا كانت تخدم التَّراكيب دلالياً، وتجعله أدبياً، فإنَّ الطَّرف

---

284 - عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة 1999م، ص 34 .

285 - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان و التَّبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و التَّوزيع، د . تا 1 / 210 .

• - " والحقيقة أن الألفاظ خدم للمعاني، وضعت للدلالة على الأفكار، فلولا الفكرة ما كان اللفظ، و حسن اللفظ يستلزم حسن المعاني "
(- محمد علي زكي صبَّاغ،البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى 1998م، ص 87.)

•- و مِمَّا عقب عليه علي زكي صبَّاغ في شأن اللفظ و المعنى " فلا ينبغي أن يفهم أن الجاحظ ينكر المعنى و يهمله بل يرى إطاره الأسلوب المحكم القوي، الذي يشير إلى ألوان المعاني العجيبة، البديعة المخترعة "
(- محمد علي زكي صبَّاغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، ص 154.)

الثَّاني(التَّركيب) تتجلَّى وظيفته في نقل هذه اللَّفظة من مجال القُوة اللُّغوية المجال المُعجمي المُشترك) إلى مجال الفعل اللُّغوي(المجال الأدبي الخاص)، وهذا ما يُسمَّى بعملية الانزياح أوْ عملية إنشاء العلاقات الاستبدالية، " *(288)*

إنَ الذي ينبغي أنْ نُميزه من كلام المسدي هو أنَ للتَركيب وظيفة في تحقيق الدَّلالة، و كُلَما كان مبنيا وِفق مواصفات فيها من التنسيق بين الوحدات التي ينقلها من المجال المعجمي (القُوة اللُّغوية) إلى المجال الأدبي (الفعل اللُّغوي) يُكسبه ذلك دلالة جديدة .

من خلال تتبعنا لدلالة الألفاظ و هي في المُعجم، يُمكن لنا أنْ نستخلص شمولية دلالتها، فهي إذن تمتاز بالطَّابع العام في الأداء الدَّلالي، و هو ما يُمكن تفسيره بعمل المُعجميين الذي يتمثل في رصد الألفاظ و تتبَّع دلالاتها، و عند استقصائنا لحقيقة الدَّلالة اللَّفظية عند الأصوليين تبيَّن لنا أهمية نشاط المُعجميين في عملهم، و ذلك حينما بلغ الأمر بالأصوليين إلى أنَّ الألفاظ تمتاز بتعدَّد وجوه معانيها التي لا يُوفرها إلاَّ المُعجم كبداية، ثُمَّ التَّمعن في علاقتها بغيرها من الألفاظ في النَّصَّ الواحد.

[288] - عبد الحميد بوزوينة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية 1988 م، ص 33 – 34 . نقلا عن كتاب الأسلوبية و الأسلوب لعبد السَّلام المسدي، ص 158 .

الفصل الثاني:

المعجم لغة

المعجم اصطلاحا

الإرهاصات الأولى للمعجم العربي

المعاجم العربية و طرق تأليفها

المعنى المعجمي

أثر البنية العميقة في تحديد دلالة اللّفظ

مواقف كثيرة قد تَعترضُ سبيل القارئ أثناء القراءة لِنصٍّ أوْ مُدَوَّنةٍ، فنقف حيارى اتجاه لَفظٍ من حيث الفصل في دلالته و ربطها بما يتماشى و صياغة الجملة، مِمَّا يدْفعنا إلى البحث و التَّقصِّ بُغية الفصل في معناه، و لعلَّ المجال الكفيل في البحث عنْ مثل هذه القضايا يندرج ضمن إطار واحدٍ ألا و هو " المعاجم" *(289•)* .

لقد أقرَّ التَّاريخ حقيقة مفادها أنَّ اللُّغويين العرب بذلوا جهودا مُعتبرةً في الحفاظ على الثَّروة اللُّغوية و يتجلَّى ذلك من خلال حِرصهم على فضِّ كُلِّ نزاعٍ في شأن ما أُقْفِلَ على الأمَةِ و استعصى عليهم في شأن معرفة دِلالته و معناه، حيث سعوا جادِّين في جمع الموروث اللُّغوي و تتبُّع أشْهر ما قيل فيه بُغية تطويعه و تذْليله .

إنَّ عملية الجمع هي بمثابة أرضية للمعجميين حيث اعتمدوها في بناء معاجمهم ولعلَّ السِّر في تنوُّع تأليفها يرجع إلى غِنى اللغة العربية و تفنُّن العلماء في التعامل معها، " وتعدّدها جاء وفق أنظمة متمايزة، فمنهم من سلك "مسلك نصر بن عاصم، فوضعوا معاجمهم وفق نظام أبي عمرو الشيباني (92هـ – 206هـ) في كتابه المسمى بمعجم الجيم، و أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467هـ – 538هـ) في معجم أساس البلاغة، وأحمد بن محمد الفيومي (689هـ – 770هـ) معجم المصباح المنير. " *(290)*

ويرى بعض الدارسين للمعاجم العربية تأثر يعضها ببعض خاصَّة فيما يتعلق بالمنهج المُتَّبع، " فأبو عمرو *(291•)* اعتمد الأحرف الأولى، وتلك اعتمدت الحرف الأخير لمادتها، و لعَلَّ أكثرها تأثرا به الزمخشري، صاحب أساس البلاغة الذي اقتفى أثر الشيباني مُطوِّرا المنهج ،ومُكمِّلا ما فات الشيباني من أمور تنظيمية في صناعة المُعْجَم،

• - و الحقيقة أنَّ هذا العمل انتبه إليه ابن عبَّاس – رضي الله عنه – " و تشير المراجع إلى أنَّ ابن عباس قد سبق اللُّغويين إلى شرح غريب القرآن قبل قرن و كان – " و هو ترجمان القرآن "- يُقرُّ باستغلاق بعض ألفاظ القرآن عن إدراكه و ذلك لقصوره عن الإحاطة بالمُعجم العربي "
(- الهادي الجطلاوي، قضايا اللُّغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، ص54 .)

290- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى 1999م، ص15 .

• - هو إسحاق أبو عمر الشيباني عالم كوفي، ميدانه اللغة، و الغريب و النوادر، عاش بين عام (92هـ - 206 هـ) في الكوفة إلى جوار بني شيبان قبل أن ينتقل إلى بغداد .

" (292) و هو ما يُجسد الفهم القويم لمنهج البحث عند القدامى، فالأفكار تتولد بناءً على الإثراء، وتتكامل نتيجة النقد البناء، "ولم يكن غرض هذا المعجم جمع اللغة ،واستيعاب ألفاضها، وإنما بيان بلاغة اللغة العربية وإظهار جمالها باحتوائه حشوداً من العبارات الفصيحة " (293) .

و إذا كان قصد الزمخشري في أساسه قد سعى إلى إثبات الجانب البلاغي من خلال إظهار جمالها الكامن في العبارات المختارة، فمن المعجميين مَنْ كان قصده تتبع الغريب من الألفاظ العربية و خصّها بالشرح قصد إزالة الغموض عنها كما هو الشّأن بالنسبة للمصنف الغريب " و هو بالتالي موسوعة لُغوية تدور حول مفاهيم ركيزتها الإنسان، و لا يخضع إلى ترتيب ألفبائي أو صوتي، شأنه تنظيم مادة اللُغة تنظيماً آلياً؛ لأنّه لا يدّعي استيعاب اللُغة كُلّها بل الإلمام بمواضيع تستوجبها ثقافة العصر الداعية إلى المحافظة على الثقافة العربية البدوية، أمام هجمة الثقافة التي جاءت بها الشعوب التي دخلت الإسلام حاملة معها مفاهيمها و معانيها،" (294) و هو ما تتبعه ابن منظور في لسان العرب الذي كان قصده إعادة بعث اللّغة و معانيها نتيجة لظروف العصر وتفشي اللّحن .

كَمَا نَجِدُ عُلَمَاء آخرين اهتمّوا بعِلم اللِّسان، و أعطَوْهُ حَقَّه مِنَ البحثِ و التَّقصّي، مِنْ هؤلاء نَجِدْ "أبي نصر الفارابي" (ت 950م/ 339هـ) الذي قسّم " عِلم اللِسان إلى جُزأين رئيسيين أحدهما حِفْظ الألفاظ الدّالة عند أُمَّة ما، و عِلم ما يدُلُّ عليه شيء مِنها " (295).
و مهما يكن من اختلاف بين المعاجم العربية، فإنّ تعامل أصحابها مع الألفاظ هو من باب تحديد دلالتها، (296•) فكل مدرسة ارتأت منهجا وسبيلا وفقه تُجلى المعاني، و

---

292 - عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، ص 250.

293- عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق1986م، ص153.

294 - أبو عبيد القاسم بن سلاّم المتوفى 224هـ 838م، الغريب المصنّف، تحقيق: محمد المختار العبيدي، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية 1416هـ 1996م، 1/ 10.

2- نور الدين النيف، فلسفة اللغة و اللسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى1993م تونس، ص 18 .

توضّح الدلالات، و هي بذلك تكون قد تأثر بعضها ببعض خاصّة فيما يتعلق بالمنهج المُتَّبع، و هو ما أكدَه الكثير من الدارسين للمعاجم العربية .

إنَ مثل هذا الانجاز في شأن الفكر اللُغوي ساهم في الحفاظ على ذاكرة الأمَة و شخصيتها من الذَوبان و ذلك من خلال استهدافها لِما يعكس واقع الأمَة العربية آنذاك في شتَى المجالات، و لمَا كانت – و لا تزال – حلقة التَأليف في المعاجم مُستمرَةً واكبت بذلك كُلَ الحِقب التَاريخية، فدوَنت من قريب أو بعيد ما له علاقة بالفكر اللُغوي فحُقَ من هذا المُنطلق أنْ نُقرَ حقيقة طالما جانبْناها، وهي أنَ التَأليف المعجمي شدَ انتباه الكثير من المؤلفين، فاستنبطوا من فحواه الكثير من القضايا التي جاءت في ثنايا الحقل الدِلالي .

و حتىَ لا أزيغ عن مجال البحث المُسطَر في العنوان الرَئيس سأكتفي بتتبُع طبيعة الدَلالة الواردة في المعاجم العربية، و فيما أفاد التنوُع في شروح المُدخل المُعجمي الواحد ؟ ثُمَ هل التَنوُع في التَأليف المُعجمي جاء لغرض منهجيً ؟ و غيرها من الأسئلة التي دفعتنا إلى البحث في هذا المجال و التَوسُع فيه.

إنَ المُتأمِل فيما تزخر به الخِزانة العربية في المجال المُعجمي، و ما تتوفر عليه هذه الكنوز التي حافظت على الثروة اللفظية العربية، و أدَتْ دور الحراسة عليها، – ولولاها لضاعت هذه الثروة – يقف على درجة من الاعتبار لها بفعل ما أدَته و تؤدِيه من مُساهمة في الحفاظ على اللُغة.

فالمعاجم تُعدُ وسيلة لغوية هدفها الأسمى هو جمع الموروث اللُغوي و تتبُع استعماله قصد الوقوف على التَنوُع الدِلالي للَفظِ الواحد، و بيان مدى تطوُرها

• - إنَ الحديث عن المعنى الأصلي للكلمة يجعل الباحث يُميِز بين الدَلالة الأصلية لها و التي اصطُلح عليها في بداية الأمر، وبين التي تطرأ عليها عند كلَ استعمال و في هذا المقام يرى المبارك محمد " إنَ معاجم اللُغة العربية تُدوِّن المعاني الأصلية للكلمة و المعاني الأخرى التي طرأت على الكلمة حتى نهاية القرن الأوّل للهجرة تقريباً و تقف عند هذا الحدّ، و أمَا المعاني التي طرأتْ بعد هذا التَاريخ فليس من مُعجم يجمعها إلاَ بعض أنواع منها جُمعت في كُتب خاصة ... "

(- المبارك محمد، فقه اللُغة (دراسة تحليلية مُقارنة للكلمة العربية)، طبعة دمشق 1960م، ص 183 .)

وبهذا فالأصل الدَلالي للكلمة محصور في المعاجم اللُغوية، أمَا ما يطرأ من جديد المعاني فيمكن حصره في المعاني الفرعية للفظ التي تنشأ نتيجة الاستعمال و تنوعه .

و اتِّساعها، أوْ ثباتها و تغيُّرها كما أنَّ لفحوى الشرح و مضمون التَفسير للَّفظِ الواحد الذي يُضمَّنهُ المُعجميُ شيئاً من الاستدلال و الاستشهاد كفيل من أنْ يغرس في القارئ قيمة تُثبِّتُ و تُعزِّزُ انتماءه لمضمونها، أوْ تنبهُه لضرورة تفاديها، و بذلك يُمكنُ أنْ نحكم لدور المُعجم في مُساهمته و صيانته للتُّراث العربي .

و الحقيقة أنَ الباحث في هذا المجال تستوقفه الكثير من القضايا التي جاءت في ثنايا شَرح الألفاظ، إلاَ أنَّني سأكتفي بتتبُّع دلالتها من الوجهة اللُّغوية البحتة، و كيف توصل المُعجميون إلى تثبيت ذلك؟ و قبل مناقشة ذلك يجدر بي أنْ أتناول تعريف المُعجم لُغةً و اصطلاحاً، و كيف تعامل المعجميون مع الألفاظ و دلالاتها؟

المعجم لغة

تكاد المعاجم العربية تُجمع على تحديد دلالة لفظ مُعجم ، و مِمَا وقفنا عليه في معجم لسان العرب قول صاحبه: " العُجْمُ و العَجَمُ : خِلافُ العُرْبِ و العَرَبِ، يعْتقبُ هذان المِثالان كثيرًا، يُقالُ : عَجَمِيٌّ وجمعه عَجَمُ، و خِلافُه عَرَبيٌّ و جَمْعُهُ عَرَبُ، و رَجُلٌ أعْجَمُ، قال:

سَلومُ، لوْ أصْبَحْتِ وَسْطَ الأعْجَمِ

في الرُّومِ أوْ فارسَ، أوْ في الديْلَمِ

إذًا لزُرْناكِ و لوْ بِسُلَّـــمِ

وقول أبي النجم :

وَطالمَا وَ طالمَا وَ طالمَا * غلبْتُ عَاداً، وغلبْتُ الأَعْجَمَا !**

قال ذو الرمة :

ولا تَرَى مِثْلها عُجْمٌ وَ لا عَرَبٌ

فأراد بالعُجْمِ جَمْعَ العَجَمِ؛ لأنه عطف عليه العَرَبَ.

قال أبو إسحاق: الأعْجَمُ الذي لا يُفْصِحُ، و لا يُبيِّنُ كَلامَهُ وإنْ كانَ عَرَبيَّ النسَبِ كزياد الأعْجَمِ .[297]

إنَ الدَلالة اللًغوية للفظ (عجم) في مطلق معانيها – حسب ابن منظور و غيره – [298•] تنحصر في صعوبة الإبانة و الإفصاح مع الغير كما هو ملاحظ مع العنصر غير العربيِ، و هو الأعجميُ الذي لا يكاد يتَفق لِسانُه و الطًرف العربيِ مِمًا ينتُجُ عنْهُ اللاًتواصل على المستوى اللًساني .

المعجم اصطلاحا

قدْ يلتقي التَعريف اللًغوي، و يشتركُ مع التَعريف الاصطلاحي في بعض الجوانب نتيجة التًطوًر،[299•] و هو ما يعكس التَقارب الكائن بين اللًغة و مجالات الفكر الأخرى، و لعلً من التًعاريف الاصطلاحية التي خصًتْ لفظ " معجم " ما وقفت عليه في مُقدِّمة الصِحاح " كتاب يضمًُ أكبر عددٍ من مفردات اللًغة مقرونة بشرحها و تفسير معانيها، على أنْ تكون المواد مُرتَبة ترتيباً خاصاً، إمًا على حروف الهجاء أوْ الموضوع، و المُعجم الكامل هو الذي يضمُ كُلً كلمة في اللًغة مصحوبة بشرح معناها و اشتقاقها و طريقة نُطقها و شواهد تُبينً مواضع استعمالها .

---

[297] - ابن منظور، لسان العرب ،مادة (عجم) ، تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، باب العين ،4/ 2825.

• - و من باب التًوسُع رأيتُ أنْ أتتبع دلالة نفس اللًفظ فاحتميتُ بِمعجم أساس البلاغة حيث وقفت على الآتي : " مادة عجم : سألتهُ فاستعجم عن الجواب ؛ قال امرؤ القيس : [من السريع]

صَمَّ صَدَاهاَ و عَفاَ رَسْمُهاَ * * * و اسْتَعْجَمَتْ عنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ

و في الحديث " مَنْ اسْتَعْجمَتْ عليه قراءتُهُ فلينمْ " و كتاب فُلان أعجم إذا لم يُفهم ما كتب. و باب الأمير مُعجم أي : مُبْهمٌ مُقْفَلٌ ... "

(- أبو القاسم جار الله بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1 / 636.)

• - و هو ما رآه عدنان الخطيب في قوله: " و إذا كان العرب القدامى يقصدون من قولهم " باب مُعجم " الباب المُقفل، فإنَ العرب بعدئذ أصبحوا يفهمون من لفظة (مُعجم) : " الكتاب الذي يفتح للنَاس ما استَبْهَم من الكلام . "

(- عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، الطبعة الثانية 1994م، مكتبة لبنان ناشرون، ص31.)

و لا يُطلقُ المُعجم على غير هذا، فإذا جمعنا كُلَ ألفاظ اللُغة في كتاب و لم نُصْحِبْها فإنَهُ لا يُسمَى مُعجما، و كذلك لا يُسمَى مُعجماً إذا وضعنا فيه كلمات معدودة مشروحة ، بلْ لا بُدَ أنْ يكون المُعجم كما عرَفْناه ووصفناه،" [300] فالمُعجم من هذا التعريف مُدوَنة جُمِعتْ فيها ألفاظ اللُغة مشروحة وِفق نِظامٍ ترْتيبي، و قصد إضْفاء طابع الإقناع على مُستوى المُعجم يحرصُ أصحابه على تضمين شرحه بشيء من الشَواهد، كما تتخلَل عملية شرح الألفاظ جوانب لُغوية قدْ تُساعد على الإلمام بدلاته من خلال خروج المُعجميَ إلى مُستويات أُخرى: صوتية – نحوية – صرفية تتصل بالpلَفظ المُستهدف بالشَرح .

و الحقيقة أنَ التعريف الاصطلاحي للمُعجم و إنْ تعدَدت تعاريفه، فإنَها تشترِكُ فيما يُميِزُه عن غيره من الكتب و المُؤلفات تلك هي الحقيقة التي لمستُها في كتاب مُعجم علم اللُغة الذي خصَهُ بقوله: " المعجم هو مرجع يشتمل على كلمات لغة ما، أو مصطلحات علم ما، مُرتَبة ترتيبا خاصاً، مع تعريف كل كلمة أو ذكر مُرادفها أوْ نظيرها في لغة أخرى، أو بيان اشتقاقها أوْ استعمالها أوْ معانيها المُتعدِدة أو تاريخها أو لفظها... وقد يكون المعجم عاماً أو مُتخصِصا، وقد يكون وصفيا أو تاريخيا، وقد يكون المعجم مفردات أو مصطلحات، كما قد يكون مترادفا أو ترجمات أو تعاريف " [301] و مهما يكُنْ من إضافات في تعريف المُعجم من النَاحية الاصطلاحية، فمردُ ذلك إلى تطوُر الدِراسات اللُغوية و إلمامها بمجالات المُعجم مِمَا مكَن المُهتمين بهذا الحقل من الإلمام بفحواه ، فتعدُد الدِراسات التي خصَت المُعجم أفادت في الكشف عن مضمونه، و لم تعُدْ تلك الدِراسات حبيسة الاجترار و التكرار الأمر الذي أفاد في الكشف عن فحوى المعجم.

300 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَار، ص38.
301 - رياض زكي قاسم، معجم علم اللغة النظري، دار المعرفة، طبعة بيروت، ص74 .

الإرهاصات الأولى للمعجم العربي

إنَ المُتصفِّح للمعاجم العربية الأولى تتبادر إلى ذهنه جُملة من الاستفسارات في شأن اللَبنة الأولى للتَأليف المُعجميِ التي قدْ تُجيب عن الأسباب التي دفعت بالمعجميين إلى الخوض في هذا المجال، و هل فِعْلاً التأليف المُعجمي انطلقت بوادره الأولى من الحقل اللُغوي؟ أم اللُغويون تأثروا بغيرهم، و نقلوا فكرة التَأليف المُعجمي من حقل خارجي، و لمَا احتضنت اللُغة هذا النَوع من التأليف تميَزَ البحث في هذا المجال عن سابقه لخصوصية و طبيعة المنحى، فدعمَت بذلك أُسسه، و تفرَعت مناهجه من خلال ازدهار حركة التأليف .

إنَ البحث في شأن الإرهاصات الأولى للمُعجم العربي خاض فيه الكثير من الباحثين، و قد استقرَت نتائج بعضهم في مُستوى من التَحليل الموضوعي كالَذي يقف عليه القارئ في كتاب المعجم العربي بين الماضي و الحاضر حيث ذهب صاحبه إلى أنَ بداية المعجم العربي كمنهج و مُحتوى*(302)* وظَفها علماء الحديث حيث أكَد أنَهم " الأوائل الذين ألَفوا الكتب بترتيب حروف الهِجاء ، و كان الإمام البُخاري صاحب الصَحيح، و هو من رجال القرن الثالث للهِجرة من رُوَاد التَأليف المُعجمي... فإذا فرغ من المُحمدَين ابتُدِئ في الألف ثُمَ الباء ثمَ الثَاء ثُمَ يُنتهى بها إلى آخر حروف أ ، ب

• - أمَا كسلوك مُمارس في حياتهم، فيمكن للقارئ أنْ يميل إلى رأي الباحث الذي يرى أنَ " المعجم العربي يبدأ تاريخه منذ واجه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلَم- مشكلة فهم النصَ القرآني و بخاصة حين كانوا يجدون في هذا النصَ ألفاظاً لا يعرفون معانيها ، فيسألون عنها ، ثُمَ يُقيدون تفسيراتها إلى جانبها "
(- يسرى عبد الغني عبد الله، مُعجم المعاجم العربية، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1991م، ص29.)
و خير ما نستدلُ به في هذا المجال كذلك " ما رُوي عن ابن عباس – رضي الله عنه - أنَه كان جالساً بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويْمر : قُمْ بِنا إلى هذا الذي يَجْترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا :إنَا نُريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، و تأتينا بمَصَادِقه من كلام العرب ، فإنَ الله تعالى إنَما أنزل القرآن بلسان عربي مُبين ، فقال ابن عباس : سلاني عمَا بدا لَكُما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى :
(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) سورة المعارج، الآية37 .
قال ابن عباس : العزون حلق الرفاق .
قال نافع: و هل تعرف العرب ذلك ؟
قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول :
فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَى * يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا**
قال : أخبرني عن قوله : (شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً) - سورة المائدة ، الآية48.
قال : الشِرعة ، الدِينُ ، و المِنْهاج الطَريق . قال: و هلْ تعرِف العرب ذلك ؟
قال : نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقول :
لَقَدْ نَطقَ المأمُونُ بالصِدْقِ وَ الهُدَى * و بيَنَ للإسْلامِ دِيناً و مِنْهجاً "**
(- يسرى عبد الغني عبد الله، مُعجم المعاجم العربية، ص29- 30.)

، ت ، ث ، و هي : ي " [303] و لعلَ ما يُمكن أنْ نُفسِّر به أسبقيتهم في هذا العمل اهتمامهم بالسيرة النَّبوية باعتبارها ترجمة للقرآن الكريم ، و تجسيد فعلي لسلوك النبيِّ – ﷺ – و حتَّى يسهل تبليغها وفق طُرق واضحة ، و مُمنْهجة كان لِزاماً عليهم من تتبُّع ذلك ، ولم تقتصر عملية مَنْهجَة المؤلفات وِفق هذا التنظيم و التَّرتيب على الذي أشرنا إليه سابقاً بل من المؤلفات الأولى في هذا المجال " التي وصل خبرها إلينا، و هي تحمل اسم " مُعجم "كتاب أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، و اسمه " مُعجم الحديث " و قيل إنَ البغوي نفسه ألَّف كتاباً آخر باسم " مُعجم الصحابة " " [304] فدائرة التَّأليف وفق هذا التَنظيم أصبحت تتَّسع لتشمل مجالاً آخر، و هو مجال الشَخصيات التي حملتْ عبئ الرِّسالة ، فحُقَ لعلماء الحديث أنْ يُعرِّفوها، و أنْ يُزيلوا كُلَّ غموض عن حياتهم لاعتبار واحد، و هو أنَّهم قد ألَّفوا في أمر يهمُّ حياة المُسلمين، فالأولى أنْ تكون سِيَرهم مكشوفة للغير حتَّى يتعرَفوا على مسارها.

إنَّ مثل هذا التَّرتيب و التبويب المُعتمد سابقاً من قبل علماء الحديث تأثَّر به مَنْ ألَّف بعدهم حيث شاع هذا الاسم و انتشر، و أصبح كُلَّ كتاب رُتِّبتْ المعلومات فيه بترتيب حروف الهجاء يُسمَّى عند النَّاس " مُعجما "، و بذلك توسَّع نطاق استعمال لفظ المعجم حيث اعتمده علماء اللُّغة كأساس لبناء معاجمهم [305•] باعتبار أنَّ من وظائف المُعجم إزالة الغموض الذي لن تتأكد وظيفته إلاَّ إذا سار العمل فيه وفق منهج ترتيبي لشرح المدخل المعجمي، فتنوَّع العمل المعجمي بناء على اختلاف الرُؤى في التَّنظيم و مُعالجة المادَّة اللُّغوية .

مِمَّا ينبغي أنْ نتفق عليه هو أنَّ بداية المُعجم اللُغوي العربي نشأتْ على تأثُّر بعلماء الحديث خاصَّةً فيما يتعلَّقُ بالتَبويب و التَّرتيب و التَّنظيم للمادَّة اللُّغوية، و فيما يتعلَّق بالأسباب التي دفعت علماء اللُغة إلى تأليف المعاجم

---

303 - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، ص32.

304 - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، ص32.

• - والحقيقة أنَّ المعاجم اللُّغوية العربية الأولى مرَّتْ بمراحل ثلاث " و لم يبدأ وضع المعجمات العامَّة الشاملة المنظمة إلاَّ في المرحلة الثالثة ، حيث اعتمد مؤلفوها على كتب المرحلتين الأولى والثانية، فجمعوها، وأضافوا إليها بجهودهم المتلاحقة قدرا أكبر من السعة، والشمول، والتقصي، والتنظيم واخرجوا بذلك المعجمات اللغوية العامة ،وتعد هذه المرحلة أطول هذه المراحل الثلاث جميعا، وأكثرها عطاء، ففيها خطت حركة تأليف المعجمات خطواتها الأخيرة في طريق نُموِّها الطبيعي . "
(- عبد اللطيف الصوفي، اللغة و معاجمها في المكتبة العربية، ص 39- 40.)

العربية بالإضافة إلى تطويع الموروث اللُّغوي، فقد حصرها الباتلي في جملة من العناصر أهمُّها :

- " تدوين اللغة العربية خشية ضياع شيء من مفرداتها لا سيَّما في حياة فصحائها، و المحافظة عليها من دخول ما ليس من مفرداتها.
- ضبط الكلمات المعضلة بالشكل،ومعرفة نطقها الصحيح .
- بيان اشتقاقات الكلمة وتصريفاتها وجموعها ومصادرها ونحو ذلك .
- تحديد أماكن بعض المواقع الجغرافية ، والمدن التاريخية .
- حفظت لنا المعاجم كمًّا هائلا من الشواهد الشعرية لولاها لمات مع أصحابها الذين لم تجمع أشعارها.
- اكتساب ثروة لغوية كبرى، لاسيما عند تعدُّد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب سياقها وذلك دليل على سعة وشمول اللغة " .[306]

إنَّ فحوى المعاجم اللُّغوية العربية بِهذا المضمون الثَّريِّ كفيل من أن يُساهم في المُحافظة على النِّظام اللُّغوي في جانبه العامِّ، فرصْد الألفاظ العربية و تتبُّع دِلالاتها، و الكشف عن المستويات اللُّغوية: الصرفية و النَحوية و الصَّوتية – كُلَما اقتضى الأمر – و تخليل ذلك بما قيل في الكلمة وفق منهج ترتيبي للمداخل،ميَز نشاط المُعجميين عن غيرهم ...

إذا سبق و أنْ تعرَّضنا للمعجم من حيث النَّشأة و دواعي التأليف من النَّاحية التَّاريخية، و توصلنا إلى حقيقة مفادها أنَ العملية عرفت نشاطاً واسِعاً أثمر في إنتاج كمٍّ مُعتبَر من المعاجم على مدار العصور المُتلاحقة، فالأولى أنْ نتتبَّع أشهر ما صُنِّف فيها، و الفرق بين مدارسها، و هو ما سنتوسَّع فيه قصد الإحاطة بالموضوع .

المعاجم العربية و طرق تأليفها

إنَّ الدَّارس للتصانيف المُعجمية يستقرُ رأيُه على أمر لا يختلف فيه اثنان، و هو أنَّ المعاجم العربية عرفت حركة نشطة و مُتنوعة في عملية التأليف، و لا أَدلَّ على هذا

306 - أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم اللغوية و طرق ترتيبها، دار الراية للنشر و التوزيع الراية، الطبعة الأولى 1412 هـ – 1992 م ، ص13- 14.

الأمر من الدِّراسات التي تخصَصت في تصنيف المعجم و ترتيبها وفق مدارس بناء على المنحى الذي اتَّبعه صاحبه .

لقد تعامل المعجميون مع الألفاظ تعاملا يختلف في المنهج و التَرتيب، فتنوعت بذلك المعاجم تبعاً لطريقة التَّرتيب و تنظيم المحتوى، حيث جاءت المعاجم العربية مُرتَبة إمَّا حسب الألفاظ أو حسب الموضوعات، " فمنهم مَنْ اختار جمع المواد حسب الألفاظ مُرتباً إيَّاها ترتيبه الخاص، و منهم مَنْ رأى جمع المواد حسب الموضوعات *(307•)* مُبوباً لها حسب المعاني،" *(308)* فالإطار الأوَّل الذي يُمكن اعتماده في التَمييز بين المعاجم العربية هو الصَيغة المُعتمدة من صاحب المُعجم، فمنهم مَنْ ركَز على الألفاظ و بنى مُعجمه وِفق مَنْهجٍ ترتيبي حسب الحرف الأوَّل، أوْ الأخير و تتبَّع بذلك دِلالات اللَّفظ، و منهم مَنْ وكَّز على جمع الألفاظ التي تندرج في الموضوع الواحد مُعتمداً على نِظام التبويب الذي راع فيه الموضوع الواحد .

و من الدِّراسات التي سارت في هذا التفريع العام للمعاجم العربية تلك التي قدَّمها صاحبها حيث لم يخرج عن التَفريع العام، و أيَّد فكرة انقسام " المعاجم إلى قسمين: معاجم الألفاظ، و يُقال لها أيضاً المعاجم المُجنَّسة، و هي ما تناول ألفاظ اللُّغة كلَّها بلا تميُز، و معاجم المعاني و يُقال لها أيضاً المعاجم المُبوَّبة، و هي ما جمُِع من الألفاظ المُتَّصلة بموضوع واحد فقط ، كموضوع المطر أوْ الجياد، أو شواذ اللُّغة أو ما إلى ذلك ." *(309)*

• - الأمر الذي أكَده محمد حسين حيث رأى أنَّ من المعاجم التي عمدت إلى " ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف أو على الحروف الهجائية، ناظرة إلى الحرف الأوَّل للَّفظة ، أوْ الحرف الأخير لها أوْ كليهما "
(- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللُّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الطبعة الأولى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1980م، ص226.)
كما ركَّزت ثُلَّة من المعجميين في تتبُّع منهجية مبنية على " إيراد الألفاظ الخاصَّة بالموضوع المعقود له الباب و الاستشهاد لكلٍّ منها أو لبعضها أوْ إلى إيراد النُّصوص الشَّعرية الخاصَّة، و استخراج الألفاظ منها و شرحها "
(- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللُّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص226.)

308 - المرجع نفسه، ص 226.

309 - ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية و تطورها، دار الصداقة العربية بيروت، الطبعة الأولى 1995م، ص 10- 11.

إلاَ أنَهـ أضاف إلى ما تُعرَفُ به معاجم الألفاظ، و ما تُعرفُ به معاجم الموضوعات، فالمعاجم المُجنَسة ما تناولت الألفاظ من جنس اللُغة حيثُ يحرِص المُعجميً على الإحاطة بها بُغية الارتقاء بمعجمه .

أمَا معاجم الموضوعات أو المعاني ،فتُعرفُ بالمعاجم المُبوَبة حيث لا يحيد فيها المُعجميً عن الموضوع أو المعنى المُستهدف بالشَرح إلاَ بعد الإحاطة بما قيل فيه

فالمعاجم العربية من الناحية النَظرية في إطارها العام نوعان: معاجم الألفاظ (المُجنَسة)، و معاجم المعاني(المُبوَبة) .

و قصد إضفاء الطَابع الإجرائي على هذا العنصر رأيتُ أنْ أتتبَع الدراسات المعجمية التي ميَزت بين المعاجم العربية و قدْ مكنني ذلك من الوقوف على المعاجم العربية و طرق تأليفها، فمعاجم الألفاظ رُتَبت وفق ثلاث طرق هي:

1 -" طريقة التأليف بحسب الحروف الحلقية، و مقلوبات الكلمة .
2 -بحسب الحرف الأوَل للكلمة .
3 -بحسب الحرف الأخير للكلمة ." *(310)*

لقد كان لهذا التَنوُع في التَعامل مع الألفاظ العربية من الناحية المنهجية الأثر البالغ في الارتقاء بالمعاجم العربية، حيث تولَد على إثره إنتاج معجميٌ ثريٌ لفت انتباه اللغويين و الباحثين، فخصَوا العمل المعجمي بالبحث و التَنقيب، و قد صنَف أحمد بن عبد الله الباتلي المعاجم العربية التي اتَبع أصحابها المنهج الصَوتي أو ما عبَر عنها بالحروف الحلقية و ثبَتها على النَحو التَالي:

" أوَل مَنْ ألَف على هذه الطريقة هو الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت 170هـ)، في كتابه " العين " .

رتَبَ الخليل الحروف الحلقية بدءاً بالأبعد في الحلق و مُنتهياً بما يخرجُ من الشَفتين ، فكان ترتيبها هكذا : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ي أ .

و عن سرِ إتباعه لهذا المنهج و عزوفه عن المعهود وقفنا على ما يُبرَرُ ذلك في مُقدِمة مُعجمه التي جاء فيها " فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أوَل أ ب ت ث وهو

---

310 - أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص17.

الألف لأن الألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبّر ونظر إلى الحروف كلًِها وذاقها [فوجد مخرج الكلام كله من الحلق] فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق، وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أب أت أح أع أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم." *(311)*

إنَّ ترتيب الخليل لمعجمه هذا وفق هذه الطريقة أثبت للدَارسين اللًُغويين العرب و غيرهم قابلية اللغة العربية للمنهج العلمي، فبدأ بحرف العين الذي يخرج من وسط الحلق ثُمَّ تلاه بحرف الحاء، وهكذا حتى انتهى إلى حروف الشفتين " ف ب م "، ثمّ حروف المدّ " و ي ا " ليخلص إلى الهمزة، كما يعكس هذا المُعجم تطور الدراسة اللًُغوية العربية في تلك الحقبة على يد الخليل .

و ممَّا يعكس عبقرية الخليل تميًُزه في ترتيب ألفاظ اللغة وفق النًِظام الصًَوتي وذلك بخروجه عن الترتيب المألوف المعروف بالألف بائي، و اعتبره الأساس الأول في بناء معجمه، و قد قسّمه إلى كتبٍ وجعل كلّ حرفٍ كتاباً، ثمّ قسًَم كلً كتابٍ إلى أقسامٍ مُتَبعاً طريقة تقليب الكلمات*(312•)* على الكيفية التي استعملتها العرب ...و سمًَ كلً حرف من هذه الحروف كتاباً، فبدأ بكتاب " العين " و به سمًَى الكتاب على عادة العرب في تسمية الشيء باسم أوًَل المستهل به – كتسمية بعض السور القرآنية حسب أوَلها،" *(313)* و لتصوًُر ذلك أكثر رأيتُ أنْ أقف على المثال الآتي المُستوحى من مُعجمه : " باب العين و الدال و التاء معهما ع ت د فقط.

---

311 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي 100 - 175هـ ، معجم العين، تحقيق:مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي، 47/1.

• - باعتبار أنَّ في الألفاظ ما هو مُهمل و ما هو مُستعمل، و قد مكّنت عملية التَقليب التي اعتمدها الخليل من تحقيق هذه الفكرة، " و في واقع الأمر كان علماء اللغة العرب القدامى يُدركون الفرق بين المفهومين، و كانت همًّتهم العالية تحدوهم إلى مُحاولة تصنيف معجم لا يلُمُ بجميع المفردات الموجودة في اللغة العربية فحسب ، و إنًَما بجميع المفردات المُمكنة الوجود كذلك، و قد تجلت هذه المحاولة في البرنامج الطموح الذي صمّمه أبو المعجمية العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه الموسوم بكتاب العين، و ذلك بإتباع طريقة تقليبات الجذور لتحديد المواد المستعملة و المهملة، و غير الممكنة الوجود ..."

(- علي القاسمي، المعجم و القاموس: دراسة تطبيقية في علم المصطلح، مجلة اللغة العربية دورية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، العدد السادس، 2002م، ص68.)

313 - أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص19.

عتد: عتُدَ الشيء يعتُد عتاداً، فهو عتيد :حاضر، و منه سميتِ العتيدةُ التي يكون فيها الطِّيبُ و الأدهان قال النابغة :

عتادُ امرئٍ لا يَنْقُضُ البعدُ همَّهُ * طَلُوبِ الأعادِي واضحٍ غيرِ خاملِ**

والعتيدُ الشيءُ المُعَدُّ اعتدناه أي: أعددْناه لأمرٍ إن حزب، و جمعه عُتُد و اعْتِدَة، و العَتُودُ: الجديُ الذي قد استكْرش.

و ثلاثة اعتدة والجميع: عدَّاتٌ : فعلانٌ، أصله: عِتْدان فأدغمت التاء في الدال ويقال العَتُودُ الذي بلغ السِّفاد قال:

واذكرْ غُدانةَ عِدَّاناً مُزنَّمةً * من الحبَلَّقِ تُبْنَى حولَه الصِّيَرُ**

و تقول هذا الفرس عَتِدٌ،أي مُعدٌ متى ما شئتَ ركِبْت،الذكر و الأنثى فيه سواء. قال سلامة :

و كُلِّ طُوَالةِ عَتِدٍ نِـزاقٍ

أيْ شديد الجَرْي. " *(314)*

إنَّ هذا المدخل المعجمي " عَتَدَ " جاء بعد باب العين و الطاء و الميم الذي تتبَّع فيه دلالة جملة من الألفاظ المستعملة: طعم – طمع – مطع – معط – فما هو مُستعمل عاين معانيه، و ما هو مُهمَلٌ أهمله.

لقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أهمية الاختلاف الصوتي، و أثره في تحديد دلالة اللفظ " إنَ الشيء المهم في الكلمة ليس الصوت وحده ولكن الاختلافات الصوتية التي تجعل بالإمكان تمييز هذه الكلمة عن كل ما عداها من الكلمات، لأن الاختلافات تحمل معنى. " *(315)*

لم يستقلَّ الخليل بالمنهج الصَّوتي في ترتيب المداخل بل اقتفى أثره و تأثر به مَن جاء بعده، و من المؤلفات المعجمية التي أُلِّفتْ وِفق هذا المنهج و سلكتْ بذلك مسلك الخليل :

–البارع في اللُّغة لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ)

– تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ)

---

314 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ _ 175هـ)، معجم العين، تحقيق:مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي، 2 / 29- 30.

315 - فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد ناعيم الكراعين، ص34.

–المحيط في اللُّغة للإمام الصَّاحب إسماعيل بن عبَّاد الطالقاني (ت 375هـ)
–المحكم و المحيط الأعظم في اللُّغة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدة الأندلسي(478هـ) " [316] لا يتَسع المقام في تتبع المعاجم الصوتية مُعجما مُعجما، بل اكتفيت بسردها لاعتبار واحد و هو أنها صِنو للعين .

إنَ التأليف المعجمي العربي شهد تطوراً ملحوظاً، و لعلَ القصد من وراء حركية التَّأليف المُعجمي و التَّوالي فيه كانت تهدف إلى البحث عن المنهج الكفيل قصد تسهيل الاستعمال و التعامل مع المعجم، و لعلَّ هذا بدوره يهدف إلى تمكين المتعاملين مع المعجم من توظيف الألفاظ ، و هو ما حرص على ضبطه ثُلَّة من المعجميين القدامى و الذي تجلَّى في أعمال كثير من المعجميين الذين بادروا في إتِّباع ترتيب مخالف للمدرسة الأولى و هو ما يتعلق بالمعاجم المرتبة حسب الحرف الأوَل للكلمة و أحسن مَنْ مثَّلها :

– كتاب الجيم لأبي عمرو إسحاق بن مرارا لشيباني (ت 206هـ)
–جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي البصري (ت 321هـ)
– مقاييس اللُّغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ)
– مجمل اللغة لابن فارس (ت 395هـ)
– أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الملقب جار الله الزَمخشري (ت 537هـ)
– غراس الأساس للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) و من المحدثين:
– محيط المحيط لبطرس بن بولس البستاني، اللبناني (ت 1883م) . [317]

و من الأمثلة التوضيحية في منهج تعامل المعجميين مع ترتيب المداخل حسب الحرف الأول لها ما وقفت عليه – من باب التمثيل لا الحصر – في معجم المجمل لابن فارس

316 ـ أنظر: أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص19، 23.
317 ـ أنظر: أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص 26 ، 49.

" باب الألف و الجيم ما نصّهُ : " أجح : الإجاحُ : السِتْرُ ، يقال : ليس بيني و بينه إجاح، و قد يُفتح و يُضمّ.

أجد: الأَجُدُ: الناقةُ القويةُ، و الإجاد: الطاقُ المعقود، شُبِّهت الناقة به كما شُبِّهتْ بالقنطرة، و يقال: إجْدْ زجرٌ للإبل.

أجر: الأُجرة و الأجر معروفان، و الأجْر: جَبْرُ العظم، يقال أُجِرَتْ يدُهُ، جُبِرَتْ، و الإجار: السطح، و الآجُرّ الذي يُبْنى به، فارسيٌ معرب و قد جاء في الشعر: شاده بالآجُرِ . " *(318)*

لقد أورد هذا المدخل" أجح " في كتاب الألف باب الألف و ما بعدها، حيث يوالي الحروف تلي الألف و ما بعدها، و بهذا المنهج في التعامل مع المداخل المعجمية تكون المدرسة الألفبائية في الترتيب قد جاءت لتيسير طرق البحث في المعجم العربي إلى الأسهل باعتبار أنّ الكلمة ذات الحروف الأصلية يتعامل معها المعجمي بدء من الحرف الأول ثمّ الثاني وهكذا بعد تجريدها من الزوائد، و بالتالي فهذه المدرسة قد رتّبت الكلمات بناء على ما تبدأ به .

أمّا فيما يتعلّق بالطريقة الثالثة فقد رُتِّبتْ المعاجم فيها بحسب الحرف الأخير للكلمة وعُرفت هذه المدرسة بمدرسة التَقْفِيَة، لكون ترتيب الألفاظ فيها اعتمد على قافية الكلمة وهي آخرها، و من هذه المعاجم :

– تاج اللُغة و صحاح العربية الشهير بالصحاح للإمام إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت 393هـ) أو بعدها .

– العُباب الزاخر و اللباب الفاخر للإمام رضى الدين الحسن بن محمد الصغاني، (ت 650هـ)

– لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، (ت 711 هـ)

– القاموس المحيط لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي ، (ت 817 هـ)

---

318 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت 395هـ)، مجمل اللُغة،88/1 .

– تاج العروس من جواهر القاموس: للعلامة محمد مرتضى الزبيدي، (ت 1205 هـ). [319]

كُلُ هذه المعاجم المُدرجة ضمن مدرسة التَقفية تجسيد لهذا المنحى إلاَ أنَني سأكتفي بتقديم مثال من لسان العرب لابن منظور كتجسيد لهذا المنهج ففي مادَة " أزَقَ "

- " أزَقَ، الأزْقُ : الأَزْلُ، و هو الضِيقُ في الحرب.

أَزَقَ يَأزِقُ أزْقاً ، و المأزقُ الموضِعُ الضَيِقُ الذي يقتتلون فيه ...

– أزلَ . الأزْلُ: الضِيْقُ و الشِدَةُ، و الأزْلُ : الحبْسُ، و أزَلَهُ يأزِلُهُ أزْلاً : حَبَسَهُ، و الأزْلُ: شِدَةُ الزَمان ... " [320] لقد أورد " أزق" بعد " أزف " ، و أعْقبه بلفظ " أزل " و هو ترتيب ألفبائي راعى فيه أواخر الكلمة من أوَل حرف إلى آخره .

أمَا النوع الثاني و هو ما يُعرف بمعاجم المعاني " و يراد بها الكتب المؤلفة في جمع الألفاظ حسب موضوعها أو معناها، فمن ابتغى معرفة لفظة فعليه أن يعرف موضوعها، و هل هي مندرجة فيما يتعلق بخلق الإنسان أو الحيوان أو السلاح أو الطعام أو الشراب أو اللباس، أو نحو ذلك مما له علاقة بحياة العرب ." [321]

و من أشهر المؤلفات في هذا المجال:

خلق الإنسان للإمام عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت 216هـ)

خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن ثابت الكوفي (ت 250هـ)

خلق الإنسان لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت 311 هـ)

خلق الإنسان في اللغة لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي

كتاب الإبل للإمام الأصمعي (ت 216 هـ)

خلق الفرس لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت 231 هـ)

كتاب الخيل لأبي بيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ)

كتاب الخيل للأصمعي (ت 216 هـ)

كتاب الشتاء للأصمعي (ت 216 هـ)

كتاب الوحوش للأصمعي (ت 216 هـ)

---

319 - أنظر: أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص54 ، 63 .

320 - ابن منظور، لسان العرب ، 1/ 73.

321 - أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص69.

كتاب النبات و الشجر للأصمعي (ت 216 هـ)

كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت 282 هـ)

كتاب النخل لأبي لأبي حاتم السجستاني (ت 255 هـ)

كتاب الأيام و الليالي و الشهور للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207 هـ)

كتاب المطر لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري(ت 215 هـ)

كتاب السلاح للأصمعي (ت 216 هـ)

كتاب البئر لإمام أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي(ت 231 هـ)

كتاب السرج و اللجام للإمام بن دريد(ت 321 هـ)

كتاب الريح لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني، المعروف بابن خالوية(ت 370 هـ) [322]

و مهما يكن من أمر ،فإنَّ من وظائف المعاجم اللُغوية الاهتمام بالألفاظ و إزالة الإعجام عنها سواء أكان المنهج وفق نظام الألفاظ أوْ المعاني حيث حرص المعجميون في الأساس على إجلاء دلالته .

إذا كان المُعجم من أسمى معانيه يسعى إلى إزالة الإعجام عن الألفاظ، فالذي ينبغي أنْ يُطرح كاستفهام هو هل المعنى المُعجمي هو ما يقدَّمُ كتفسير للمدخل ؟ هذا ما سنُناقشه في المبحث الآتي .

إنَّ العمل المُعجمي في بداية أمره تمحور حول جمع الألفاظ الدَّالة على موضوع واحد، و هي ما تُعرف بنظرية الحقول الدَلالية" ويبدو أنَّ مجموع مُعجمات الدَّلالة ظهرت مُتفرقة كُلّ منها في موضوع ، ويبدو أنَّ العمل المعجمي في جمع الألفاظ الدَّالة على موضوع واحد بدأ مُبكرا أيْ في مُنتصف القرن الثَّاني الهجري ، فأبو زيد الأنصاري (ت215 هـ) كتب في هذا المجال كتاب المطر، وكتاب خلق الإنسان ...و كتاب المنطق،" [323] و لعلَّ لهذا الجمع و وِفق هذا المنهج له ما يُبرِره من الناحية التَّاريخية حيث سعت إلى

322 - أنظر: أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم العربية و طرق تأليفها، ص 70، 76.

323 - نشأة محمد رضا ظبيان، علم المفردات في إرثنا اللُغوي، ص 102 .

جمع الألفاظ العربية ذات الموضوع الواحد في كتاب واحد الأمر الذي سهَّل في حصر الألفاظ و تحديد دلالتها .

و من الانتقادات التي وُجِّهت للمعاجم العربية القديمة خُلوُها من المنطق، و الدِّقَّة،هذا فضلاً عنْ الغموض في الشَرح، و هو ما وقفنا عليه في كتاب المعجمية العربية حيث يسرد صاحبه جملة من السلبيات في قوله: " ممَّا يعزى إلى المعاجم العربية أنَّها تخلو من المنطق في المعاني، فلا هناك دقَّة في التحديد، و لا وضوح في الشروح، و لا تناسق في الألفاظ، " [324] و لا أجد ما أردُّ به على صاحبنا في انتقاده للمعاجم اللُغوية العربية عند نعته لها بهذه السلبيات المزعمة منه و من غيره سوى ما أورده عدنان الخطيب في كتابه – المعجم العربي من اعتراف للغويين أوربيين في شأن ما أنتجه الفكر المعجمي العربي " يعترف بهذه الحقيقة المستعرب الكبير جون أ. هيوود كبير أساتذة الدراسات العربية في جامعة درهام الانكليزية في كتابه المعنون « صناعة المعاجم في العربية » أو إذا صحَّ التَّعبير « مَعجَمة اللُّغة عند العرب » إذْ يقول: .. و كان لدى العرب مُعجم شامل هو « لسان العرب » كانت دونه دِقَّة و شمولاً معاجم سائر اللُّغات قبل القرن التاسع عشر « فكيف يكون الفخر بالمعجم العربي إذا أضفنا« اللسان »: التهذيب و المقاييس و الأساس و القاموس، و تاج العروس الذي كان من نتاج القرن الثامن عشر الميلاديً ؟ " [325]

و نحن إذْ عمدنا على بيان عناصر الدقة و الوضوح والتناسق في الألفاظ، فهذا من باب تفادي تعميم هذا الحكم على كُلِّ مُحتوى المُعجم ، أمَّا ما قد يقف عليه القارئ من هفوات فهي نتيجة " طموحات أصحابها لحصر كلً مفردات اللُغة العربية ، مِمَّا حدا بهم إلى وضع المهمل إلى جوار المستعمل دون تميز بينهما،" [326] ثُمَّ إنَّ طبيعة العمل في الحقل اللُّغوي المُعجمي تتجلي للباحث أكثر في ظلً تتبُّع كلِّ الألفاظ باعتبار أنَ المعاجم ساهمت في الحفاظ على الألفاظ .

---

[324] - الأب أ. س . مرمر جي الدومنكي، المعجمية العربية على ضوء الثنائية و الألسنية السامية، مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس 1937م، ص5.

[325] - عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، ص5.

[326] - يسرى عبد الغنيً عبد الله، مُعجم المعاجم العربية، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ _ 1991م، ص244.

نظرا لضخامة المنجز في العمل المُعجمي، فإنَّه لن يكتمل أيَّ معجم عربيَ إلاَّ إذا اشتركت جهود كثير من العلماء في شتَّى التَّخصُّصات، و هو ما نادى به بعض الباحثين " و إذا قرأنا ما كتب عن عيوب المعاجم عند اللُّغويين نجد غيرها عند النُّحاة أو علماء الصَّرف أو الاشتقاق، و كذلك العيوب التي يراها علماء اللُّغات غير العيوب التي يراها علماء آخرون يهتمون بنواح تاريخية أوْ جغرافية أوْ طبِّية أوْ نباتية أوْ غير ذلك من النَّواحي التي اشتملت عليها معاجمنا العربية القديمة ." *(327)*

إنَ اجتهاد أصحاب المعاجم في هذا المجال بقدر ما ترتبت عليه هذه الهفوات مكَّن من تطوير العربية و توسيع دلالات ألفاظها و هي النظرة التي أبداها إبراهيم السمرائي حينما تتبَّع أعمال المُعجميين و أساليب تعاملهم مع الألفاظ حيث رأى أنَّ " الدارسين الأوائل كانوا يملكون من سعة النظر ما جعلهم يستسهلون في قبول الكلم الأعجمي، فيعملون فيه ما يقتضيه التعريب من تغيُّر في الأبنية والأصوات ليجيء موافقا لشيء من العربية، ثم إنهم يرجعون إلى العربية القديمة فيأخذون من موادها لعلاقة من العلاقات كالشبه وغيره، فيهيئون المصطلح المناسب، ثم إنَّنا ندرك الجهد العظيم الذي بذله الأقدمون في صنع هذه المعجمات الخاصة وإن لم تكن معجمات قد صنِّفت و حسبت على الموضوعات العلمية المختلفة ." *(328)*

إنَّ عملية تأليف المعاجم اللُّغوية القديمة وفق أيٍ منهج صُنِفت لا يُمكن اعتبارها عملا بسيطا لِذا، فما يُلاحظ من خلل لا يُعدُّ تقصيراً من أصحابه كما لا يُمكن أنْ نُعدَّها من السلبيات بل كُل ما في الأمر قد نقف على خلل فرضته طبيعة البحث الضَّخم في المجال المُعجمي، و هو لا يُنقص من شأنها شيئاً،*(329•)* و رُبَّما يرجع هذا الخلل إلى ما يسبق عملية التَّأليف المُعجمي حيث " وعلى الرغم من الجهد الذي يستدعي الإعجاب برواية اللغة ،وتلقيها عن طريق المشافهة والسماع فإن رُوَاة اللغة لم يلتزموا

---

327 - المرجع نفسه، ص 248.

328 - إبراهيم السمرائي، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، الطبعة الأولى 1986م، وزارة الثقافة و الشباب و الآثار المملكة الأردنية الهاشمية، ص71.

• - و في هذا المجال يؤكد الباحث محمد المعتوق حقيقة مفادها أنَّ " من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة و الحفاظ عليها حيَّة نامية مُتطورة تأليف معاجم تحفظ مفردات اللُّغة القومية، و تتولَى تفسيرها و توضيحها، و تتكفل ببيان صور استعمالاتها و تمييز الأصيل من الدخيل، و الحقيقي من الزَّائف ، و الحيَّ من الميِّت، و السَّائد من النَّادر منها "

(- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها، مجلة عالم المعرفة الكويت، العدد 212، أوت 1996م ص 192.)

منهجا محددا في هذا الجمع ،ولم يرسموا خطَّة واضحة في هذا التلقي ، فقد جمعوا كلَّ ما روي من غير تنسيق أو ترتيب، و لم ينسبوا كُلَّ لفظة سمعوها، أو كلمة تلقوها إلى قبيلتها التي تنطق بها " [330] الأمر الذي صعَّب من مُهمَّة المُعجميين الذين بادروا بعملية التأليف المعجمي، و يُمكن لحظتها أنْ نُقرَّ بأنَّ المعاجم العربية اعتمد أصحابها على ما أفرزته عملية الجمع و هي بذلك تحتاج إلى تمحيص و تدقيق .

قبل الخوض في تحديد طبيعة المعنى المُعجميً بجدر بي أنْ أُعرِّجَ على المُرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الصناعة المعجمية التي حصرها عمر مهديوي في عناصر أساسية ثلاثة و هي:

1 -" المادة اللغوية أو مداخل المعجم (لمن نؤلف ؟) .

2- الشرح: طريقة عرض المادة اللغوية (الثروة اللفظية) [تعريف و تحديد]

3- نظام ترتيب المداخل (كيف نؤلف ؟) .[331]

و هي الخطوات التي سار عليه المُعجميون أثناء عملية التَّأليف، و المتمثلة في انتقاء مداخل المعجم أوْ ما يُعرف بالمادَّة اللُّغوية، و هي الأصل التي تقوم عليه المعاجم، بل قد تكون عاملا مُشتركاً بينهم، فالمدخل المُعجمي مثلاً : "حفَّ" قد التفت إليه أصحاب المعاجم باعتباره أصلٌ من أصول اللُّغة حيث نجده في معجم تهذيب اللُّغة:"حفَّ، فحَّ مُستعملان .

قال اللَّيثُ : الحُفوفُ : يُبوسَة من غير دسم قال رُؤبة :

قالت سُليمى أنْ رأتْ حفوفي * مع اضطراب اللَّحمِ و الشُفوفي**

و قال الأصمعيُّ : حفَّ يحِفُ حُفوفاً و أحففْتُه .

و قال سُويْقٌ حاف : لم يُلتَ بسمنٍ .

عمرو عن أبيه: الحفَّةُ الكرامةُ التَّامَّةُ، و منه قولهم : مَنْ حفَنا أوْ رفَّنا فليقتصد.

و قال أبو عبيد: من أمثالهم في القصد في المدح "مَن حفَنا أو رفَّنا فليقتصد " يقول: مَنْ مدحنا فلا يغلُوَنَّ في ذلك و لكن ليتكلم بالحقِ.

---

330 - عبد العال سالم مكرم، اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عالم الكتب الكويت، الطبعة الأولى 1995م، ص 85.

331 - عمر مهديوي، التعريف المعجمي بين المعجم الورقي والمعجم الآلي، مجلة المجمع العلمي، الجزء الثاني، المجلد الخامس و الخمسون، بغداد 2008م، ص102 .

و قال الأصمعي: هو يحِفُّ و يرفُّ أيْ : يقومُ و يقعدُ، و ينصحُ و يشفقُ، قال: و معنى يحفُّ: تسمعُ له حفيفاً، و يُقال: شجرٌ يرِفُّ إذا كان له اهتزاز من النَّضارة .و أخبرني المنذريُّ عن ثعلب عن سَلَمَةَ عن الفرَّاء قال:يقال : ما يحفهم إلى إلاَّ الحاجة يُريدُ ما يدعوهم و ما يُحوِجُهم .

قال اللَّيثُ : احتفت المرأة إذا أمرتْ مَنْ يحفُّ شعر وجهها نتفاً بخيطين، و حفَّتْ المرأة وجهها تحُفُّه حفّاً و حِفافاً ، و حفَّ القومُ بسيِدهم يحُفُّون حفّاً إذا أطافوا به و عكفوا،و منه قول الله جلَّ و عزَّ:﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾[332] قال الزجاج: جاء في التفسير معنى حافِّين مُحدقين .[333]

و قدْ تتبَّع دلالته، و خصَّه بالشَّرح جُلُّ المُعجميين، ففي مُعجم مُجمل اللُّغة نقف على استعمالاته التالية: " حفَّ: الحفيفُ : حفيفُ الشَّجرِ، و حفيف جناحِ الطَّائر، و رأس محفوفُ، إذا بعُدَ عهدُهُ بالدَّهن، و حفُّوا به، [أي :] أطافوا به .

قال اللَّه– عزَّ و جلَّ–﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ... ﴾[334] و حفَّتِ المرأةُ وجهَها من الشعر، و احتَفَفْتُ النَّبتَ إذا جَزَزْتُهُ من الأرضِ، و حِفافا كُلِّ شيء : جانباه، قال طرفةُ:

[كأنَ جناحيْ مَضْرَحِيٍّ] تكنَّفا ..."[335]

فالملاحِظ للمدخل المُعجمي في المُعجمين يقف على حقيقة مفادها أنَّ اللَّفظ المخصوص بالشَّرح " حفَّ " واحد إلاَّ أنَّ الاختلاف بينهما قد يكون في طريقة الترتيب أو كيفية الشَّرح.

و إذا أردنا أنْ نُوسِّع نِطاق المقارنة بين المعاجم اللُّغوية من حيث أساسيات صناعتها، فنفس المُدخل " حفَّ " تتبَّعه الجوهري في الصِّحاح، و مِمَّا جاء في شرحه قوله: " حفف، قال الأصمعي: الحفَّةُ: المِنْوالُ، و هو الخشبة التي يُلفُّ عليها الحائكُ الثَّوب، قال : و الذي يُقال لهُ الحفُّ هو المنْسجُ .

و حفُّوا حوله يحُفُّون حفاًّ، أي:أطافوا به و استداروا، و قال اللَّه تعالى:

---

[332] - سورة الزمر، الآية75.

[333] - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (282هـ - 370هـ)، تهذيب اللغة تحقيق:عبد الكريم العرباوي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، 4 /3.

[334] - سورة الزمر، الآية75.

[335] - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت 395هـ)، مجمل اللُّغة، تحقيق زهير عبد المحسن، 215/1.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ... ﴾ (336)

و حَفَّهُ بالشيء يحُفُّهُ كما يُحَفُّ الهودجُ بالثياب و كذلك التَّحفيف .

و يُقال: مَنْ حفَّنا أو رفَّنا فليقتصدْ أيْ : مَنْ خدمنا أوْ تعطَّف علينا و حاطنا...

و حِفافاَ الشيء : جانِباه، و منه قول طرفة :

كأنَ جناحيْ مَضْرَحِيٍّ تكنَّفا * حِفافيْهِ شُكَّا في العسيبِ بِمِسْرَدِ ..."** (337)

إنَّ الذي يُمكن الخروج به كتصوُر أوَّلي في شأن المادَّة اللُّغوية باعتبارها الأساس في الصِّناعة المُعجمية بين المعاجم العربية أنَّها الرَّافد التي قامت عليه عملية التَّأليف المعجمي، و هي تختلف من مُعجم لآخر كما هو الشَأن بالنِسبة لمنهج تنظيمها، و طريقة ترتيبها، أمَّا عن شرح المداخل فسنخصَّها بشيء من التَّحليل والتوسع ضمن العنوان المُوالي.

المعنى المعجمي

إنَ المُتصفِح للمعجم اللُّغوي العربي يقف على حقيقة مفادها أنَّ معاني (338)• المُفردات فيه غير محصورة حيث يسعى المُعجمي إلى سردها و هي العملية التي وقف عليها يوسف عيد و اعتبر أنَّ " طبيعة المعنى المعجمي أن يكون مُحتملا ومُتعدِّداً، وهاتان الصفتان تقودان إلى المعاني، فالكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق و هذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها « مفردات » ، " (339) فتعدُّد الدلالات طبيعة يفرضها العمل المُعجميً حيث يحرص صاحبه على بسط الدلالات التي اشتهر بها اللَفظ بناء على استعمالات، و من هنا تعدَدت استنباطات تحديد المعنى المُعجمي الذي سنقف على عناصره و نخصَّها بالشَرح و التوسُّع .

---

336 - سورة الزمر، الآية75.

337 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، 4 / 1344 -1345.

• - و يرى هادي نهر أنَّ " للمعنى عند (عبد القاهر الجرجاني) أبعاد ثلاثة :
أولها: معاني اللفظة المفردة أو ما يُطلق عليه اليوم بـ (المعنى المعجمي)، و ثانيها: طرق التعليق بين الكلم و ربطها، و هي المعاني النحوية التي تفرز عبر أحكام تنظيم الجملة المعينة، و ثالثها: الإبانة عمَّا في النفس أو البيان أو تمام الدلالة، و هو ما يُسمَّى بـ (المعنى الدِّلالي) الذي يعتمد على المعنى المقالي أي: الوظيفي (الصوتي، و الصرفي، و النَّحوي، و المعنى الاجتماعي، وهو شرط لاكتمال المعنى الدلالي و فهمه . "
(- هادي نهر، علم اللُّغة الاجتماعي عند العرب، ص 83- 84.)

339 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص12.

أ – شرح المعنى

إنَّ الذي يعنينا في بحثنا هذا هو معاجم الألفاظ و يراد بها تلك المعاجم التي تهتم بالألفاظ حيث تُعالجها " و تظهر أصولها و تصاريفها و معانيها، و يكون لها نمط خاص في ترتيب الألفاظ مبني على أحرف الهجاء، سواء من حيث مخارجها الصَّوتية، كما هي الحال في كتاب " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي، أمْ من حيث حرفها الأخير، كما هي الحال في كتابي " الصَّحاح للجوهري " ، و " لسان العرب " لابن منظور، أم من حيث حرفها الأوَّل، كما هي الحال في" أساس البلاغة "للزمخشري و " أقرب الموارد "للشرتوني " [340] فالظاهر للمعجم العربي أنَ أصحابه اعتمدوا على مناهج متنوعة في ترتيب المُدخلات آخذين بيد القارئ إلى تحديد أصل الكلمة و طريقة تصريفها ناهيك عن بيان أشهر معانيها، و سأجد نفسي مُضطراً أثناء الاستشهاد في غالبية دراستي إلى التنويع بين المعاجم العربية [341•] التي تُمثل المناهج الثلاث قصد تعميم الفائدة و الإحاطة بها، لِذا سيأتي تركيزي أثناء الاستدلال بـ :

- معجم " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي .
- تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري .
- مجمل اللغة لابن فارس .
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الملقب جار الله الزَمخشري.
- لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .
- تاج اللُّغة و صحاح العربية الشهير بالصحاح للإمام إسماعيل بن حمَّاد الجوهري .

---

340 - ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربية و تطورها، ص35.

• - في البداية أبديت تركيزي على معجمين اثنين " تهذيب اللُّغة " و " المُحكم " لسبب واحد، و هو أنَ تزكيتهما وردت في مقدمة لسان العرب حيث جاء فيها : " و لم أجد في كتب اللغة أجملَ مِن " تهذيب اللُّغة " لأبي منصورٍ محمدِ بنِ أحمدَ الأزهريِّ، و لا أكملَ من " المُحكمِ " لأبي الحسنِ عليِ بنِ إسماعيلَ بنِ سيدَهْ الأندلسِيِّ، رحمهما الله، و هما من أُمهات كتب اللُّغةِ على التَحقيق، و ما عداهما بالنسبةِ إليهما ثَنِيَّاتُ للطَريق ..."
(- ابن منظور، لسان العرب،تحقيق :عبد الله علي الكبير و آخرون، 1 / 11.)
إلاَّ أنَّني بعد ذلك رأيت أن أُوسِّع من العملية – لأسباب لها علاقة بطبيعة الموضوع - .

و قد اعتمدتُ على هذا التنويع للإحاطة بمناهج الترتيب في المعاجم اللُغوية من جهة، و من جهة أُخرى لما وقع بين يدي من المعاجم .

" استهلك القدماء العرب تقنيات الشرح و التعريف في تحليل المادة المعجمية سواء على مستوى اللفظ أو المعنى؛ إذْ اهتموا بالمعنى اهتماماً بالغ الأهمية تمثل في وسيلتين من وسائل الشرح التوضيح :

أولا : الشرح بالتعريف، و المراد به تمثيل المعنى بواسطة ألفاظ أُخرى أكثر وُضوحا و فهماً ، و الحاصل أنَ المعجميين العرب قد سلكوا مسلكين في ذلك :

- مسلك الشرح بألفاظ واضحة و مُحدَدة " [342] و من أمثلة ذلك ما جاء في مادة " [رقن]

- قال اللَيث : الترقين : ترقين الكتابة و هو تزيينها، و كذلك تزيين الثَوب بالزَعفران أوْ الوَرْس،" [343] و الملاحظ في هذا النَوع من الشَرح تركيز المعجميين على انتقاء الكلمات الشَارحة و استخدام الإضافة للتَوضيح، فلفظ " ترقين " مُنفرداً قد يبدو مُبْهماً، أماَ حينما أضاف إليه لفظ الكتابة يكون بذلك قد أزال شيئاً من الإبهام عليه مِمَا يُيسر على القارئ التَموقع في المعنى المُراد، فيكتسي بذلك شرحه طابع الوضوح و التَحديد .

كما يكتفي المُعجمي أثناء تقديم دلالة بعض المَداخل المعجمية بكلمة واحدة، و هو ما وقف عليه يوسف عيد في مفهوم " تفسير الكلمة وذلك بأن توضع في تعريف الكلمة كلمة أخرى، " [344] و هو ما اعتمده معجميو العرب أثناء شرح الألفاظ نحو:

" بجس: انْبَجَسَ الماءُ من السَحاب و العين: انفجر، و تَبَجَّس : تفَجَّرَ. " [345]

فلفظ: " انفجر " و " تفجَر " وردا كلفظين شارحين للفظي : " انْبَجَسَ " و " تَبَجَّس " و قد يكونا كافيان لتوضيح المعنى .

ب - **الشرح بالشاهد**

---

342 - عمر مهديوي، التعريف المعجمي بين المعجم الورقي والمعجم الآلي، مجلة المجمع العلمي، الجزء الثاني، المجلد الخامس و الخمسون، بغداد 2008م، ص 103- 104.

343 - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، 9 /95 .

344 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص21.

345 - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، 1/ 46.

مِمَا نقف عليه في ثنايا الشرح للمُدخل المُعجميَ اهتمامهم بالشَواهد [346•]، و توظيفه كعامل مُساعد و مُثبِت للمعنى المشروح ، و هو ما نقف عليه في جُلِ المداخل المشروحة نحو :

" جحفل. الجحفلُ: الجيشُ الكثيرُ، و لا يكون ذلك حتَى يكونُ فيه حَبْلٌ، و أنْشدَ اللَيثُ :

و أَرْعَنَ مَجْرٍ عليه الأدا * ةُ ذي تُدْرَإٍ لَجَبٍ جَحْفَلِ**

و الجحفلُ: السيِدُ الكريم، و رجُلٌ جَحْفلٌ: سيِدٌ عظيمُ القدر؛ قال أَوْسٌ بنُ حَجَرٍ:

بَنِي أُمِ ذِي المَالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ * و إنْ كانَ عَبْداً سيِدَ القَومِ جَحْفلاَ** " [347]

إنَ تتبُع مثل هذه الطريقة في الكشف عن دلالة اللَفظ تُكسب القارئ قناعة للمعنى المشروح و تُثبت دلالته من خلال السَند حيث لا يجد بُدَاً في قبوله .

ج – الشرح بالنقيض

و هو من الشروحات المُعتمدة في الإبانة عن دلالة الألفاظ، و يُسمَى " التفسير بالمغايرة: و هو أن يشرح معنى الكلمة بذكر كلمة أخرى تغايرها في المعنى فيتضح الضدُ بالضدِ و المغايرة بألفاظ ثلاثة هي: النقيض و الضد و الخلاف،"[348] كثيرة هي الألفاظ التي يُعتمدُ في بيان دلالتها على الضِدِ نحو ما وقفت عليه في " تحت . تحت : إحدى الجهات السِتِ المُحيطَة بالجِرْمِ، تكون مرَةً ظرْفاً، و مرَةً اسْماً، و تُبْنى في حال الاسمية على الضَمِ، فيُقالُ: مِنْ تَحْتُ. و تَحْتُ: نَقيضُ فَوْقَ " [349]

• - و من الإثبات المادِي الذي اعتمده المُعجميون العرب في أوَل معاجمهم، و الذي يُعتبر عربونا صادقاً على تعامل العربي مع هذه اللَفظة و استعمالها تركيزهم – كُلَما اقتضى الأمر – على الشَواهد ، و هو ما أكَده أحمد محمد المعتوق في قوله: " و قد استخدم المعجميون العرب الأوائل طريقة الاستشهاد، إلاَ أنَ الشواهد التي يذكرونها في معاجمهم لم تكن لغرض توضيح معاني الكلمات أو بيان كيفية استعمالها، و إنَما كانت تورد لإثبات و جود كلمة، أو إثبات استعمالها بمعنى مُعين في لغة العرب، " فالاستشهاد من هذا المنظور ثبَت الألفاظ و عزَز تواجدها و هو و إنْ أفاد القارئ في عناصر تمُتُ بصلة إلى توضيح المعنى و كيفية الاستعمال إلاَ أنَ الأساس من وراء ذلك يكمن في تأكيد تواجد هذه اللَفظة لهذا المعنى .

(- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها،العدد 212، أوت 1996م، عالم المعرفة الكويت، ص 185.)

[347] - ابن منظور، لسان العرب المحيط، مادة (عجم)، تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، باب الجيم، 1 / 552.

[348] - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص24- 25.

[349] - ابن منظور، لسان العرب المحيط،تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، باب التاء، مادة (عجم)، 1/ 421.

إنَّ الاعتماد على النَّقيض في بيان دلالة اللَفظ قد تُفيد القارئ في تحديد المعنى مُباشرة، فلو أنَ صاحبنا اكتفى بعدم إيراد قوله: " و تَحْتُ: نَقيضُ فَوْقَ "قد يتسبب ذلك في غموض بيان دلالة اللَّفظ .

د – الشَّرح بالمصاحبة

من الشروحات اللفظية الواردة في المعاجم العربية التي يكتفي فيها المُعجمي بمراعاة اللفظ في ثنايا مجموع الكلمات المُؤلفة للجملة، و بالتالي " هو تحديد للكلمات المستعملة في تركيب ما دون اعتبار للنحو أو لغير قاعدة لغوية معروفة،" [350] و هو الشَّرح الذي يعتمدُه المُعجميَ في شأن لفظ ما دون أنْ يلتفت أثناء الشَرح إلى الاستعانة بالقضايا اللُّغوية حيث يأخذُ بيد القارئ إلى اكتشاف المعنى، و الظَّاهرة واردة في المعاجم العربية و في أغلب التفسيرات، و مِمَا يُجلي حقيقة هذا المنحى ما وقفنا عليه في الصِحاح مادَّة [أمد] " الأَمَدُ: الغَايَةُ كالمَدى.

يُقالُ: ما أَمَدُكَ ؟ أيْ : مُنتهى عُمرُك .

و الأمدُ أيضاً : الغضب، و قد أمِدَ عليه بالكسر، و أَبِدَ عليه، أي : غضب، [351] فالملاحظ لمعنى هذا المُدخل يقف على تقديم معناه دون إشارة إلى التَفسيرات اللُّغوية، و هو الموقف الذي ينهجُه الشَارح في تفسير بعض الألفاظ .

و لبلوغ دلالة الألفاظ و تحقيق معانيها يستعين المعجميُ بعناصر أخرى كاعتماده على ما هو حقيقي، و الذي سنبيِّنُهُ في العنصر الآتي :

هـ – الشَّرح بالحقيقية

إنَّ الذي نعنيه بمنحى الحقيقة في الشَّرح المُعجمي هو الاعتماد على التفسير المباشر للَّفظ وفي هذا الاتِّجاه يفرق ابن قيم الجوزية بين الحقيقة في المفردات

---

350 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص22.

351 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار ، باب الدال، فصل الألف ، 2/ 442.

والحقيقة في الجمل قائلا: " والحقيقة في المفردات هي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان المخصوص المعروف، أما في الجمل فهو كلّ جملة وضعتها على إن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العمل،" [352] و من هذا المنظور فجملة الحقيقة هي كُلٌّ مُحتوى كلامي يُرادُ به ما يُناسبُه في الواقع الفعلي.

و من الاستعمالات الحقيقية للكلمة ما ميّزه الزمخشري في مُعجمه عن المجاز الذي جاء فيه: حصد: حصدَ الزَّرعَ :جَزَّهُ فهو حصيد و جَمْعُهُ حَصائدُ، و هذا زمان الحَصَاد ﴿...و آتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ...﴾ [353] و أخذوا حصاد الشَجر أيْ : ثَمَرَهُ .

و أحصَدَ الزَّرعُ و استحصدَ، و أحصَدَ الحبلَ و أحْصَفَهُ، و حبْلٌ مُحْصَدٌ مُحْصَفٌ، و قد استحصد الحبلُ إذا استحكم فتْلُهُ، " [354] فلفظ حصد المخصوص بالشَرح أجراه الزَمخشري وِفق منحى واقعي حيث تعرَّض فيه لمفهوم الحصاد و زمان الحصاد ... و هي من القضايا التي نعيشها في واقع حياتنا و يُجتنب فيها التأويل .

و – الشرح بالمجاز

كثيرة هي الشروحات المجازية التي خرجت بها العرب في أقوالها عمَّا هو حقيقي باعتبار أنَّ المجاز[355•]" لا يتحقق إلا بعناصر وهي "النقل" و"العلاقة" و"القرينة"، وإذا كان النقل هو استعمال الكلمة، أو الكلام في غير ما وضع له، فالعلاقة هي العنصر المصحح للنقل، و بها يتم المجاز ولإزالة كل إبهام أو خلط بين الحقيقة والمجاز لابد من قرينة وهي إما لفظية، أو معنوية وهو اللبس الذي يقع لكثير من المتكلمين.

---

352 - ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، د. تا، ص10.

353 - سورة الأنعام ، الآية 141.

354 - الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 192

• -" و المجاز من مادة (ج و ز) و هي تحمل دلالة العبور و الإنقاذ و التسويغ، و من ذلك : "جُزْتُ الطريقَ و جازَ المَوْضِعَ جَوْزا وجؤوزا و جوازا و مجازا، و جازَ به و جاوَزَهُ جِوَازا و أجازَهُ و أجَازَ غيْرَهُ و جَازَهُ : سار فيه و سلكه و أجازهُ : خلَّفهُ وقطعه، و أجازه : أنفذه، و قولهم جعل فلان ذلك الأمر مجازا إلى حاجته ."
(- ابن عبد الله شعيب، البلاغة العربية الواضحة في علم البيان، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ص 79.)

ففي قول القائل " رأيت أسدا " و هو يريد به رجلا شجاعا، يكون غير مفهوم، و قد تحصر دلالة لفظ الأسد في الحيوان، أما إذا قرن ذلك بقرينة دالّة على معنى الشجاعة فإن الغموض يزول،" [356] فالخروج من الحقيقة إلى المجاز يقتضي اعتماد نفس اللفظ، وتوظيفه في غير ما وضع له، وهو ما سعى إلى جمعه الزمخشري في أساس البلاغة، فبعد أنْ ذكر أوجه استعمالات لفظ (حصد) الدلالية وفق تراكيب متنوعة، ومتعدِّدة واصل تناول نفس الدخل، و لكن من الوجهة المجازية فيقوله: " و من المجاز: حصدَهم بالسَّيف: قتلهم، و " هلْ يُكِبُّ النَّاسَ على مَناخِرِهم في النَّار إلاَّ حصائدُ ألْسِنَتِهم "، ومَنْ زَرَعَ الشَرَّ حَصَدَ النَّدامة،" [357] فاستعمالات لفظ (حصد) في ثنايا جُملة مع " النقل "و" العلاقة "و" القرينة ": " السيف و الألسنة، و الندامة " خرج بالدلالة إلى المجاز .

و عن الكيفية التي تتم بها عملية النقل إلى المجاز يقول صلاح فضل: " ولئن كانت هناك طريقة لتعديل دلالة الكلمة، فإن ذلك لا يتم على أي وجه باستثناء الحالات العرفية مثل الكلمات المفاتيح بل لكي ندقق التعريف، فإننا نتوقف في تحديد المجاز عند مفهوم «تعديل دلالة الكلمة. » مما يقتضي أن يظل هناك دائما جزء من الدلالة الأولية على الأساس المعروف في علم الدلالة البنيوي من تفتيت المعنى إلى جزيئاته الصغرى لتحليل ما يبقى وما يتغير منها .

وفي هذا الإجراء يكمن أساس العملية المجازية وإمكانية وضعها بالدقة العلمية اللازمة، الأمر الذي يرتبط من ناحية أخرى بمقتضيات سياق الخطاب الأدبي." [358]

ز – الشرح الحسي

---

356 - المرجع نفسه، ص 79.

357 - الزمخشري، أساس البلاغة، 192/1.

358 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النَّص – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، ص83- 84.

إنَّ مفهوم الحسِّية في شرح الألفاظ نعني به استعانة المُعجميُ بما هو محسوس: مرئيٌّ أوْ مَلموس، و لعلَ من أبرز ما يُحقِقُه الشرح الحسِّي هو تقريب المعنى من خلال التَّشخيص، و هو ما ركَّز عليه المُعجميون، وما نقرؤه في مادة نغض " قال: و الرأسُ يَنْغِضُ و يَنْغُضُ لُغتان، و الثنيةُ إذا تحرَّكتْ ، قِيلَ نَغَضَتْ سِنُّهُ، و إنَّما سُمِّيَ الضَليمُ نَغْضاً ؛لأنَّهُ إذا عجَّل مِشيتُهُ ارتَفعَ، و انْخَفضَ .

و قال أبو الهيثم : يُقالُ للرَجُلِ إذا حُدِّثَ بشيء فحرَّكَ رأسه إنْكاراً لهُ: قدْ أنْغَضَ رأْسه .

و قال اللَّيْثُ: يُقالُ للغيْمِ إذا كَثُفَ ثُمَّ تمَّخضَ: قدْ نَغَضَ، حيثُ تَراهُ يتحرَّكُ بعضُهُ في بعضٍ مُتحيِّراً و لا يَسيرُ . " (359)

إن الذي يعكسُ حقيقة الشرح الحسي توظيفه لوحدات : الرَّأسُ – السِنُّ – الغَيْمُ كُلُّها حسِّيةٌ، و قد اعتمدها الأزهري في شرح و تفسير هذا المدخل الأمر الذي ساعد على تقريب المعنى و تجليته أكثر .

ح – الشرح الممزوج بالتفسير

و هي مُلاحظة في كثير من الشروحات، ومِمَّا وقفنا عليه في هذا الباب حرص المُعجميين على اعتماد أقوال مأثورة و إقحامها في ثنايا الشرح ، و التَعقيب بها على المُدخل المُستهدف مُركِّزاً بذلك على التَّرقِي في بلوغ دلالة الألفاظ من المعاني القريبة إلى المعاني المجرَّدة، كتلك التي أفادنا بها الأزهري في مادَّة " ذلل ": ": فرس ذلولٌ من الذُّلِ و رجلٌ ذلولٌ بيِّنُ الذِّلَّة و الذُّلِّ، و قال الله – جلَّ و عزَّ –في صفة المؤمنين ﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ (360)

---

359 - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة تحقيق عبد العظيم محمود، مراجعة محمد علي النجار ، 8 / 13.

360 - سورة المائدة، الآية 54.

قال ابن الأعرابي فيما روى عنه أبو العباس معنى قوله أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ رُحماء رفيقين بالمؤمنين، أَعِزَّة عَلَى الْكَافِرِين َغلاظ شداد على الكافرين .

و قال الزجاج : معنى أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أيْ : جانِبُهُم ليِّنٌ على المُؤمنين ، ليس أنَّهم أذلاَّء مُهانون، و قوله جلَّ و عزَّ – أَعِزَّة عَلَى الْكَافِرِين أيْ: جانبهم غليظ على الكافرين و قوله – جلَّ و عزَّ – ﴿ و ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْليلاً ﴾ (361) و قال: هذا كقوله قُطُوفُها دَانيةٌ : كُلَما أرادوا أنْ يقطِفوا منها ذُلِّل ذلك لهم فدنا منهم قُعوداً كانوا أوْ مُضطجعين أوْ قياماً. " (362)

إنَّ مضمون شرح هذا المُدخل الذي اعتمده الأزهري يُمكن للقارئ – بشيء من التَّمعن – أنْ يستنبط منحى العنصر التَّفسير فيه حيث أقحم الآيات القرآنية و عقَّب على فحواها، و هو في هذا المدخل اعتمد على التَّدرُّج في إجلاء المعنى، فمن بيان علاقة الإنسان بالحيوان التي ينبغي أنْ تُبنى على الرِّفق و هي علاقة ملموسة قريبة حقَّقتْ دلالة بعيدة و هو أنَّ أهل الجنَّة و تُذلَّلُ لهم النعم جزاء بما كانوا يعملون .

ط – الشرح بالإيجاز

و إذا كان مفهوم الإيجاز هو الاختصار في الشَّرح، و هو عكس الاطناب لضرورة دلالية تقتضيها طبيعة اللَفظ ، كأنْ يتجنب المعجمي الإسهاب و الإطالة فيه ، حيث يقتصر على لفظ واحدٍ مثلما هو الشَّأنُ في لفظ " (وأص): وأصْتُ بهِ الأرْضَ و وأَصَ بهِ الأَرْضَ وأْصاً : ضَرَبها، و محصَ بهِ الأرضَ مِثْلُهُ، " (363) و قد اكتفى بلفظ " ضرب " كشرح له، و رُبَّما يرجعُ ذلك إلى الاستعمال الواسع للَّفظِ الشَّارح، فاكتفى به مُنْفرداً .

---

361 - سورة الإنسان، الآية 14.

362 - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق يعقوب عبد النَّبي، مراجعة محمد علي النجار، باب الذال و اللام، 406/14.

363 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، مادة وأص، باب الواو،6 / 4746.

ي – الشرح بسرد الدلالات و ترتيبها

إنَّ عملية التَّنظيم و التَّرتيب تعدَّت المُدخلات المعجمية ليتفطن بعض المعجميين إلى ترتيب معانيها و هو ما رآه محمد المبارك في قوله:" و لم يُرتب أصحاب المعاجم العربية معاني الألفاظ ترتيبا تاريخيا، فقد يبدأ أصحابها بالمعاني الجديدة ثمَّ يذكرون المعاني القديمة الأصلية، ونستثني منها مُعجماً واحداً هو مقاييس اللُّغة (364•) لأحمد بن فارس من رجال القرن الرَّابع للهجرة، فقد تتبَّع في كُلِّ مادّة معانيها مُبتدئاً بما سمَّاه الأصل في كُلّ منها. " (365)

و هو إذْ نهج هذا المنهج، فمن باب إثبات أصل الألفاظ العربية و تحديد الحقل الدَّلالي الذي تدور فيه، الأمر الذي يُفيد القارئ في حصر المعنى اللَّفظي، و هو ما نقف عليه في مادة (رصَ) " الرَّاء و الصَّاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على انضمام الشيء إلى الشيء بقوَّة و تداخل.

تقول رَصَصْتُ البنيانَ بعضَهُ إلى بعضٍ قال اللَّهُ تعالى:﴿...كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (366) و هذا كأنَّه مُشتقٌّ من الرَصاص، و الرَّصاص أصل الباب، و يُقالُ تَراصَ القوْمُ في الصَّفِ، و حُكِيَ عنْ الخليل: الرَصاص: الحجارة: تكون مرصوصةً حول عين الماء، و من الباب الترصيص: أنْ تنْتَقِبَ المرأةُ فلا يُرى إلاَّ عيناها، و هو التَّوصيص أيضاً، و يقولون الرَّصراصة الأرضُ الصَّلبة ." (367) فبعد ردِّ

• - و مما جاء في مقدمة التحقيق للمعجم تفسير كلمة مقاييس قوله: " و هو يعني بكلمة المقاييس ما يُسمِّيه بعض اللُّغويين " الاشتقاق الكبير " الذي يرجع مُفردات كُلِ مادَّة إلى معنى أوْ معان تشترك فيها هذه المفردات "

(- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مُعجم مقاييس اللُّغة، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون، 1 / 39 .)

365 - المُبارك محمد، فقه اللغة – دراسة تحليلية – مقارنة للكلمة العربية، ص 184 .

366 - سورة الصف، الآية 4.

367 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مُعجم مقاييس اللُّغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة [رص] 2 / 374.

اللَّفظ إلى أصله و تحديد دلالته [368•] سعى صاحبنا إلى سرد دلالاته مُراعياً في ذلك عنصر التَّرتيب للجوانب التَّاريخية .

ك- الشَّرح بالسياق

و هو ما يعرف بالتفسير السياقي " و نقصد بالسياق هنا ما يُصاحب اللَّفظ ممَّا يُساعد على توضيح المعنى" [369] و يدخل في تحديد معناه جُملة من العناصر[370•]، و هو في المعاجم نقف عليه في تنويع الجمل المُحتوية للفظ نحو:" عكر: اعتكر اللَّيلُ: اختلط . و اعتكر المطر: كثُر. و العَكَرُ : دُرْدِيَّ الزَّيتِ، و قد عكِرَ . و عَكِرَ الرَّجُلُ: عَطَفَ . و يُقالُ : باع فُلانٌ عِكْرَهُ، أيْ : أصلَ أرْضِهِ، و رَعَ فُلانٌ إلى عِكْرِهِ، أي: أصْلِهِ . و العكرُ : قطيعٌ من الإبلِ ضخمٌ . و العكركرُ : اللَبنُ الغليظ . و تعاكرَ القوْمُ : اختلَطُوا " [371]

إنَّ تنوُع دلالات لفظ (عكر) تُحدَدها سياقات استعماله من جُملةٍ إلى أخرى حيث يفضي ذلك بيان أشهر دلالاته .

ل – الشَّرح بالمرادف

من الشروحات المُعتمدة في معاجمنا اللُّغوية شرح لفظ بلفظ آخر، و هو ما يُعرف بالمرادف " قد يكونُ أحدُ المترادفين أجْلى من الآخر ؛ فيكون شرحاً للآخر الخفيِّ؛ و قد

• - و في هذا المقام يرى إبراهيم أنيس أنَّ " كثيراً من الألفاظ تتطور دلالتها بمرور السنين و توالي العصور ؛ و ذلك لأنَّها لم توجد لتكون حبيسة مُقيَّدة و لكنَّها وُجدت ليتداولها الناس ، و ليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية ، و اللُّغة ميراث يأخذه الخلف عن أسلافهم ، فإذا ورثتها الأجيال الناشئة لم ترثها على حالها الأولى بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة ثمَّ يتضخم ذلك الانحراف على توالي الأجيال "
(- ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1976م، ص 134- 135 .)

369 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص25 .

• - " فهم علماء العربية أنَّ اللَّفظ حين يطلق على المسمى يدلُّ دلالات متعددة، و ليست الدلالة اللَّفظية الوضعية نوعاً واحداً ، فقد يتضمن اللَّفظ دلالة غير ظاهرة؛ لأنَّ الإنسان يتدخل في هذه الدلالات، فهو يستعمل عقله في فهم معنى اللفظ إنْ كان سامعاً ، و في تحميله معاني معينة إنْ كان مُتكلِّماً فحاولوا أنْ يصوغوا نظرية في دلالة الألفاظ لا تغفل أهمية الإنسان و عقله في تحديد المقصود من الألفاظ ."
(- سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز، ص 107- 108 .)

371 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت 395هـ)، مجمل اللُّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان،3 / 623.

ينعكس الحالُ بالنسبة إلى قومٍ دون آخرين. قال: و زعم كثيرٌ من المتكلمين أنَّ التحديدات كلَّها كذلك؛ لأنَها تبديلُ اللَّفظ الخفيِّ بلفظٍ أجلى منه ." [372]

و قد يعتمد الشارح ظاهرة الترادف مُستقلَّة مُنفردة كما يعتمدها ضمن شروحات أخرى كما يختم بها نحو: " جشع. في الحديث: أنَّ مُعاذاً لمَا خرج إلى اليمن شيَعهُ رسولُ اللَّهِ- ﷺ - فبكى مُعاذٌ جَشعاً لِفِراقِ رسولِ اللَه - ﷺ - الجشعُ: الجزَعُ لفِراق الألفِ، و في حديث جابرٍ: ثُمَّ أقبلَ علينا فقال: أيُّكم يُحبُّ أنْ يُعرِضَ اللهُ عنه ؟ قال : فجَشِعْناَ أي: فَزِعْناَ ...، " [373] و لتحديد دلالة هذا المُدخل لجأ ابن منظور إلى ضبطه بمرادف واحد" فَزِعْناَ "، و هو كاف لإجلاء المعنى .

م – الشرح الاشتمالي

و فيه يتجلَّى عنصر التوسَّع، و هو عكس الشرح بالمرادف حيث تتجلَّى فيه عملية " تفسير الكلمة بأكثر من كلمة: و يكون تفسير الكلمة بعبارة و ليس بكلمة واحدة." [374] نحو: "شعم . الشَّعْمُ؛: الإصْلاحُ بين النَّاسِ، و هو حرْفٌ غريبٌ، و الشُعمُومُ و الشُّغمُومُ، بالعينِ و الغينِ: الطويلُ من النَاسِ و الإبِلِ، " [375] فالشارح في هذا المدخل لم يعتمد على الترادف أي شرح كلمة بأخرى، و إنَّما اعتمد على عبارة " الإصْلاحُ بين النَّاسِ "، و" الطويلُ من النَاسِ و الإبِلِ " و قد لجأ إلى ذلك لضبط دلالة المُدخل و حسمها.

ن – الشرح الشَّكلي

و هي تلك الأدوات المساعدة على توضيح دلالة اللَّفظ من غير اللُّغة كالأشكال و الصور والرسومات، و الألوان و هو ما أصبحت تعتمده المعاجم الحديثة في توضيح الدلالة الألفاظ التي قد تغيب أو تبتعد دلالتها عن أذهاننا، و بهذا الأسلوب تُقرَّب دلالة الألفاظ .

---

372 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تعليق محمد أحمد جاد المولى بك و آخرون ، مكتبة دار التراث القاهرة، الطبعة الثالثة ،1 / 406

373 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، مادة (شعم)، تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، مادة جشع 1 / 628.

374 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص22.

375 - ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله علي الكبير و آخرون، مادة (شعم)، 4 / 2282.

إنَّ إجلاء دلالة اللَّفظ و شرحه في المعاجم اللُّغوية أخذ مناحي مُتعدِدة، و هي الحقيقة التي بيَّناها سابقاً في أنواع الشُروح المُتَّبعة، و ما يُمكن أنْ نستقريه من هذا الإجراء هو أنَّ عملية الشَّرح لو لم تتَّم بالصورة التي أوردها مُعجميو اللُّغة لضاع إرْثٌ كبير من التراث العربي، فأسلوب التَّنويع من الشَّرح ضمِن كذلك عُنصر المرونة الذي تتمتَّع به اللُّغة .

و لم يتوقف أصحاب المعاجم في تقديم دلالة المداخل عند هذا الحدِّ بلْ اهتمُّوا بكثير من القضايا اللُّغوية التي تتحكم من قريب أو بعيد في شرح و إجلاء دلالة اللَّفظ، و هو ما سنُبيِّنُه في المبحث الموالي .

أثر البنية العميقة في تحديد دلالة اللَّفظ

قد يلجأ المعجمي في شرح المعنى و تفسيره إلى اعتبارات أخرى منها ما لها علاقة بالصرف و الصوت و التركيب و هو ما عبَّر عنه مشال زكريا في قوله : " يقوم المعجم في البنية العميقة و يتكون من مجموعة مفردات معجمية يحتوي كل منها على مجموعة سمات محددة هذه السمات على ثلاثة أنواع: صوتية و دلالية و تركيبية، والمعجم في القواعد التوليدية التحويلية لا يختلف عن المعجم الكلاسيكي من حيث تضمينه كل الخصائص المفردات و مميزاتها الذاتية، " [376] فالسمات المُحدَّدة في الأنواع الثلاثة سنوليها بشيء من الشرح و التَّحليل قصد بيان أثرها في تحديد الدَّلالة و ضبط المعنى المُعجمي.

أ – المعنى الصرفي

[376] - ميشال زكريا، الألسنية و التوليدية و التحويلية و قواعد اللُّغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الثانية 1986م، ص125.

لقد تنبَه علماء اللُّغة و المُعجميون في ثنايا دراستهم و تتبُع دلالة الألفاظ إلى صيغة الكلمة و بنيتها لِما لهذا الأخير من أثر في تحديد معناها وهو ما ذهب إليه عبد العزيز عتيق في قوله: " علم الصرف يبحث في التغيرات التي تلحق بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي ، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أوْ صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها، "[377] فشكل الكلمة – كما يحلو للبعض أنْ يُسميه – من حيث ميزانها، و بناءها، و تغيُّر حركتها هو المقصود بعلم الصَّرف .

و مِمَّا راعاه المعجميون أثناء اهتمامهم بشرح الألفاظ المعنى الصَّرفي، لِما لهذا الأخير من أثرٍ في الكشف عن الدَّلالة، و لَمَّا كان علم الصَّرف غير محصور في باب واحدٍ تعدَدت الإشارة إليه في شرح الألفاظ، و لم تأت محصورة في جانبٍ واحدٍ حيث نقف تارة على ماله علاقة بالميزان الصرفي الذي من خلال اعتماده في عملية الشَرح يُفيدنا في توسُّم و معرفة دلالته " وبفضل هذا الميزان الصرفي أمكن استيعاب كل الصيغ من أسماءٍ وأفعالٍ، ولم يخرج على هذا التصنيف إلا الكلمات الدخيلة والأدوات والضمائر والحروف التي تستعصي على هذا الميزان. "[378]

إنَّ التفاتة المُعجمي في ثنايا شرح المُدْخل إلى بيان ميزانه الصَّرفي قد يُزيل بعض اللُّبس على اللَّفظ كما يُمكِّننا من ضبط دلالته، و الذي وقفنا عليه في هذا المجال ما جاء في مادَّة (ختن)، و ختن الرجل المُتزوج بابنته أو باخته و الجمع أختان، و الخُتونة المصدر، و خاتن الرَّجلُ الرَّجُل إذا تزوج إليه، و الخَتنُ مصدر ختنَهُ يختُنه ختناً، و الفاعل خاتِنٌ و المفعول مَخْتُون ."[379]

---

[377] - عبد العزيز عتيق، مدخل إلى علم الصرف، دار النهضة العربية الطبعة الرابعة، 1974م، ص07.

[378] - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللُّغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الثانية، 1985م، ص283.

[379] - محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، جمهرة اللُّغة، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد 1344هـ ، مادة "ت خ ن"، 2 / 8 .

مثل هذا التَّتبع من المعجميين للألفاظ يُجلي دلالتها، و هو تأكيد منه على أنَّ لتنوَّع بناء اللَّفظ من الفعل إلى اسم الفاعل و المصدر و الفاعل تنوَّع في الدَّلالة، و لهذا" فالألفاظ أدلةٌ على المعاني وقوالب لها، وإنما اعتنوا بها و أصلحوها لتكون أَذهب في الدلالة ولما كان المعنى يكون على أحوال كثيرة كمعنى المُضِي والحال، والاستقبال، والفاعليَة، والمفعولية وغيرها، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كل حال منها ماسة.

لم يكن بدٌّ من لفظ خاص يدلَّ على ذلك المعنى بعينه فلهذا وجب التصريف واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتغيير ونحو ذلك، ليدل كلٌّ لفظ على المعنى المراد نحو: ضرب يضرب.اضرب لا تضرب.ضارب مضروب...". [380]

و حينما نقف على نفس اللَّفظ في شرح المُدخل مع شيء من التَّنوُّع و الاختلاف في بنيته حتْماً تتنوَّع دلالات الجُمَل، خلافا لما وقفنا عليه في عدد من المواد اللغوية منها " ح م و " (الحَمْوُ) حمو الرجل أبو امرأته أوْ أخوها أو عمِّها فيه ثلاث لُغاتٍ، و يُقالُ حموُهُ مهموز و حموه و حماه ..." [381] فتغير بنية بعض الكلمات قد لا يُؤثر في المعنى حيث تُقرأ بقراءات مُختلفة ، و لكنَّها تحافظ على معنى واحدٍ .

إنَّ الذي يُمكن ملاحظته في اختلاف الأبنية الصرفية: لفظ قتل في قوله تعالى ﴿... قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ...﴾ [382] هذه قراءة الجمهور، و في قراءة شاذة: " قُلْ قَتْلٌ فِيهِ " و نسبت لابن مسعود و عكرمة، و أبي السمال، و الفرق بين القراءتين، أنَ " قِتَالٌ " في القراءة المتواترة ، مصدر الفعل الرباعي " قاتل" و" قتل" في القراءة الشاذة مصدر الفعل الثلاثي "قتل" .

---

380 - صنعة بن يعيش – موفق الدين بن البقاء – (336هـ)، شرح الملوكي في التَّصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية حلب، الطبعة الأولى 1973م، ص18.

381 - محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) ، جمهرة اللُّغة، 2 / 196.

382 - سورة البقرة، الآية 217.

و المصدران ينتميان إلى جذر لُغوي واحد "ق ت ل" إلاَّ أنَّ القتال يدل على المفاعلة، بخلاف القتل، و سياق الآية يحتمل كلا المعنيين ." [383]

و لتغير الحركة في البنية اللُغوية الواحدة الأثر المُلاحظ في اختلاف الدِلالة، فالبناء الصرفي لكلمة "رحب" من حيث حروفها واحد و لا يتغير، و لتغيُر الحركات أثرُهُ في تبدُل المعنى " و قال الفرَّاء: يُقال للصَحراء بين أفنيةِ القوم و المسجد رَحْبَةٌ، ورَحَبَةٌ اسمٌ و رَحْبَةٌ نعت، يُقال بلاد رَحْبَةٌ، و لا يُقالُ رَحَبَةٌ ..." [384] إنَّ تفطُّن الأزهري لمثل هذه الظواهر اللغوية و هو يتعرض لدلالة اللفظ يعكس لنا مدى اهتمامه بالجزئيات اللُّغوية التي قد تُجوِّز المعنى المستهدف وتعكسه، وهذا ما أكده فخر الدين حينما أشار قائلا: " ذلك لأن الحركات في بنية الكلمة، مع أنها تُيَسَّر النطق، وتمكن من وصل الأحرف في اللفظ، كثيرا ما تكون أيضا لمعانٍ لغوية وصرفية، كالذي تراه في صيغ: فعَل وفعِل ويفْعَل و يفعِل في المغالبة والتعجب، وفي صيغ المبالغة والمشتقات، وجمع التكسير والتصغير والنسبة، ولولا ذلك لكانت هذه الحركات الداخلية المتباينة غير معينة، " [385] وإذا كان مفهوم الحركات عند كثير من القُرَّاء يعني تيسير النطق من الناحية الصوتية وتمكين المتعلمين من معرفة شكل أصواتها، فإن للحركات معنى في الظواهر اللغوية، إلا أنه لا يترتب عنها دوما الاختلاف، فقد يحدث لنفس البنية تغير في الحركات مع ثبات المعنى .

ب – المعنى الصوتي

في ثنايا بحثنا وقراءتنا للمعجم اللغوي العربي استوقفتنا بعض الظواهر الصوتية [386•] التي تعرَّض لها المُعجميون أثناء بيان دلالة اللَّفظ و شرحه باعتبار أنَّ " ألفاظ اللغة

---

383 - أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ص338- 339.

384 - الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله دردِيش، مراجعة محمد علي النجار، 5 / 27.

385 - فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي و نظرية الاقتضاء، دار الفكر، دمشق الطبعة الأولى،2003م، ص86.

• - التي لها علاقة بالمعجم باعتبار أن " اللُّغة مجموعة من الرُّموز الصَّوتية التي يحكمها نظام معين، و التي يتعارف أفراد مجتمع ما على دلالتها بقصد تحقيق الاتِصال."

العربية لا تعيش منعزلة بل تجتمع وتشترك في روابط مشتركة تربطها وتصل بينهما، ولكل كلمة جسم وروح: فجسمها هو المادة الصوتية، التي تتكون منها، والشكل الذي تجعل فيه تلك المادة أو البناء الذي تُبنى عليه وروحها هو معناها " [387]

و هو ما نقف عليه مع كثير من الناطقين لمثل هذه الكلمات حيث يقف المستمع عاجزا عن تحقيق الفهم الدَلالي لمثل هذه الكلمات التي تتبدل أصواتها فيما بينها .

إنَّ عملية الإبدال التي تَتِمُّ بين ألف لام التعريف والهاء، تندرج ضمن التَّقارب القائم بين الهمزة والهاء باعتبار أن الإبدال " يعني إقامة حرف مكان الآخر في بعض الكلمات، مع بقاء الحروف الأخرى، فتكون هذه الكلمات مشتركة في حرفين مثلا وإبدال الحرف الثالث في إحداها بحرف آخر قريبا في المخرج، وقد يكون بعيدا، وهذا الإبدال نلاحظه أيضا في الأمثلة التالية: (غين، خين، قسم، قصم، وسم، وصم، وشم، تاب، ثاب، آب، أز، هز، خوم خرب) " [388].

وهذا النوع من الإبدال يراد به معالجة ظاهرة نطقية، وهو لا يؤثر في الدلالة اللفظية لثبات المعنى، وقد يفيد اللغة في مجال تعدد الألفاظ و تنوعها، وهو ما يُفسِّره إبراهيم أنيس بالتطور الصوتي حيث يقول:

" لا نشكُّ لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين، أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفا من حروفها، نستطيع أنْ نُفَسَّرَها على أنَّ إحدى الصورتين هي الأصل،

(- رشدي أحمد طعيمة، الأسس المعجمية و الثقافية لتعليم اللُغة العربية لغير الناطقين بها، وحدة البحوث و المناهج سلسلة دراسات في تعليم اللُغة العربية العدد الثالث،جامعة أم القرى مكة المكرمة، يونييه 1986م، ص28.)

[387] - فرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نموّ اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1995 م، ص135 .

[388] - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص87 ، 89.

والأخرى فرع لها أو تطور عنها ، غير أنَّه في كل حالة يشترط أنْ تلْحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين: المبدل والمبدل منه "[389].

ومِمَّا وقفنا عليه من ملاحظات صوتية واردة في المعاجم اللُّغوية، نستنتج أنَّهم لم يقفوا على تأملات تحليلية لأصوات الكلمة، و إنَّما بيَّنوا ما تُصاب به الكلمة من تأثيرات صوتية التي يُمكن أن تُساعد القارئ على التحصيل الدلالي لها، و هو ما يعكس سعة ثقافة المُعجميين و إلمامهم بخبايا العربية .

و من التفسيرات في شأن الأصوات العربية التي ذهب أصحابها بعيدا حيث فسَّروا اختلاف الدَّلالة بين لفظين متشابهين، و أرجعوها إلى اختلاف صوت واحد بينها و هو كافٍ لإخراج اللَّفظ من دلالة إلى أُخرى، و في هذا الصَّدد ذهب ابن جنِّي إلى بيان أثر الصَّوت في تحوير دلالة اللَّفظ، و هو ما خصَّه بقوله: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج ملتئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبَّر بها عنها ،فيعدلونها بها و يحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره.

من ذلك قولهم: خضم، و قضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك...، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، "[390] فالصَّوتان الخاء و القاف من حيث الرَّخاوة و الصلابة كافيان للتَّمييز بين لفظين .

وقد حاول فخر الدين قباوة أن يبين بعض أنواع النغمة و أثره على الدلالة، فأفرد ثلاثة منها، وهي كما يلي:

---

[389] - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص53 .

[390] - ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد ، 2 / 104.

أولها : تنغيم الصوت، وعرفه بقوله هو : التصرف في نغمة اللفظ تبعًا لمقاصد التعبير .

وثانيها : النبر الوظيفي، وهو ضرب من التصويت لدلالة المقال.

ثالثها : تلوين الوقفات، والمراد به تنوع الصوت المصاحب للكلمة المراد الوقوف عليها، بتنوع الأغراض الدلالية طولا وقصراً، ارتفاعًا وانخفاضًا، وخير ما يمثل هذا النوع الوقوف على رأس الآيات القرآنية، ففي مثل قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ﴾ [391] و الأنسب في الوقوف على " ماليه " انخفاض الصوت مع قصره أو انقطاعه، ليؤدي بذلك معنى الحسرة والندم على التفريط، وكأن القائل يوم القيامة قد انقطع نَفسه، وضعف صوته لهول ما يرى. [392]

مثل هذه الدلالات التي لها علاقة بالصوت تُخرِجُ باللَّفظ من معنى إلى معنى آخر، و إذا كان للوحدات الصَّوتية الأثر البالغ في شرح المُدخل المُعجمي، فإنَّ للتراكيب أوْ الجُمل أثر في تحديد دلالة اللَّفظ .

ج – المعنى النحوي

إن استقامة الكلام، وبلوغه درجة البلاغة تتحَكمُ فيه جوانب ومستويات، منها النَّحوي فكلَّما استقامت الجملة نَحوياً تجلَّت دلالتها، و اتَّضح معناها باعتبار أنَ الكلمة " تستوعب زيادة على معناها المعجمي قيما دلالية إضافية من انتماء إلى قسم من أقسام الكلام و استعداد للتعبير عن مقولات نحوية معينة، و تأهلاً للائتلاف مع غيرها بطريقة أو طرق معينة، و حسب علاقات مُحدَّدة،" [393] فكُلَّما كانت العلاقة بين الكلمات في الجملة الواحدة تخدم بعضها بعضاً أدَّت إلى تحقُق الدلالة، كما أنَّ بناءها المُنتظم وفق هيكلة ترتكز على أسس بديهية سليقية أو قاعدية مستنبطة يُيَسِّر على

---

391 - سورة الحاقة، الآية 28.

392 - يُنظر: فخر الدين قباوة، التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة مصر ، الطبعة الأولى، 2002 م ص185، 187.

393 - عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1993م ، ص14.

الطرف المتلقي فهم الرسالة وكثيرة هي المواقف الخطابية أو الكتابية الغامضة، و يرجع ذلك إلى خلل في الدلالة التي تكتسبها الجملة، أو الجمل عن طريق القواعد النحوية القاضية بترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعنى المراد، فترتيب الكلمات والعبارات محكوم بقواعد ونظم تختلف من لغة إلى أخرى، فإذا تغير ترتيب الألفاظ، ولم توجد قرينة تغيَّر المعنى، فإذا قلنا مثلا – : (رصد علماء العربية القدامى الكثير من الظواهر الدلالية) فهذه جملة لها معنى خاص، إذا غيَّرنا من ترتيب الكلمات فيها، و قلنا:

-(علماء رصد العربية للقدامى الدلالية من الكثير من الظواهر) " أدَّى ذلك إلى فساد المعنى، ولذا يشترط علماء النحو أن يجري ترتيب الكلمات بحسب ما رسموه من قواعد، فلا يُخِلُّ المتكلم بشيء منها حتى لا يؤدي إلى غموض عباراته أو فساد تراكيبه، " ***(394)*** فإذا كانت طبيعية الجمل مركبة من:

الفعل	الفاعل	المفعول به
أوْ ⟸		⟸
المبتدأ	الخبر	الفضلة

الذي نلمسُه كإشارة في دلالة بعض المدخلات المعجمية تركيز أصحابها على كثير من الإشارات النَحوية لما لها من أثر في تحديد المعنى، ففي مادة (بني) " : بني على أهله : دخل عليها وأصلُه أنَّ المُعرِس كان يبني على أهله خِباء...، ووقعت بنات السحابة بأرضهم، وهي البَرَدُ؛ وقال :

كأَنَّ ثناياها بنَاتُ سَحابةٍ * سَقاهُنَّ شُؤْبُوبً مِنَ الغَيْثِ بَاكِرُ**

---

394 - محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، الطبعة الأولى، عالم الكتب، لبنان 1423 هـ - 2002 م، ص 254.

هُنَّ هو المفعُول الثَّاني،" [395] فتعقيبه على البيت بما هو نحوي في المجال الدلالي يثبت للقارئ قناعة الزمخشري، وإيمانه بأثر التأويل النحوي في تحقيق الدلالة ، وهي النظرة التي أصبحت تعتمدها اللسانيات الحديثة باعتبار أن الوظيفة النحوية تعني " العلاقة التي تربط مُكوِّنا من مُكوِّنات الجملة بمكونات أخرى في نفس الجملة، " [396] و كلما كانت العلاقة مُحكمة بين العناصر اللسانية للجملة ساعدت على تحقيق الدلالة و الإبانة، و هو ما عبَر عنه الزمخشري في مادة (درج) " : لفلان درجة رفيعة، و امش في مدراج الحق، و عليك بالنحو، فإنه مدرجة البيان " [397] باعتباره يُمثلُ الإطار النِّظامي للجُملة و هو الذي يتجلَّى في العلاقة القائمة بين الكلمات المُؤدية لمعنى ما .

إنَّ لوجود الكلمة في الجملة أو في التَّركيب هو وجود وظيفي يؤدِّي إلى تحقيق معنى، و من خلال موقعها تتحدَد وظيفتها النَّحوية : مبتدأ أو صفة، أو فاعلا ...

و من اختصاص العربية أنَّها تمتاز عن غيرها بالإعراب الذي يملك الأثر البالغ في تحديد المعنى، و من الأمثلة التي ثبَتها...في هذا المجال قوله: " و لو أنَ قائلاً قال : (هذا قاتلٌ أخِي) بالتَّنوين، و قال آخرٌ : (هذا قاتِلُ أَخِي) بالإضافة لدلَ التَنوين على أنَّه لم يقتله، و دلَ حذفُ التَنوين على أنَّه قد قتله، " [398] ففي الجملة الأولى وقعت كلمة أخي مفعولا به لاسم الفاعل، بينما في الثَّانية وقعت مُضافاً إليه، فبالحركة اتَّضح المعنى .

و فيما يتعلق باختلاف القراءات فما وقفت عليه من تبدل الحركة الإعرابية في الحقيقة لم يؤثر على المعنى في كثير من الألفاظ منها (مُصدِّقٌ) في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ

---

395 - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود،1 / 79- 80.

396 - سامي عياد حنا و آخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون 1997م ، ص56.

397 - الزمخشري، أساس البلاغة، 1 / 282

398 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه و نشره السيد أحمد صقر القاهرة، دار التراث 1393هـ - 1973م ، ص14.

كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ...﴾ [399] و قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾ [400] " قرأ الجمهور: (مُصدِّقٌ) في الآيتين مرفوعاً، و رُوي من شواذ القراءات منصوباً، عزاها في الآية الأولى القرطبي و الألوسي إلى أبي بن كعب – رضي الله عنه – و زاد الألوسي فنسبها قراءة لابن أبي عبلة، و نسب أبو حيان قراءة النصب في الآية الثانية لابن أبي عبلة، و بوجه الرفع في قراءة الجمهور على أنَ (مُصدِّقٌ) صفة ثانيةٌ لكل من (كتاب) و (رسول)، و (من عند الله) في الآيتين صفة أولى .

و بوجه النصب في القراءة الشاذة في الآيتين، على أنَ (مُصدِّقاً) حال من كتاب و (رسول) فهما و إن كانا نكرتين، فقد تخصصا بوصف (من عند الله) فصار كلٌ منهما كالمعرفة ...

و لا أثر للاختلاف الإعرابي في معنى مُصَدِّقٌ في الآيتين ، فالكتاب الذي جاء مُصدقا للتوراة غير مُخالف لها في أساس العقيدة هو القرآن الكريم، و الرسول الذي جاء مُصدِّقاً لما معهم هو نبينا عليه صلوات الله و سلامه، و يُفهم هذا من قراءة الرفع كما يُفهم من قراءة النَصب " [401]

" إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعِلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا : ضرب زيد عمرً ، فدلوا برفع " زيد " على أن الفعل ل ، وبنصب " عمرو" على أن الفعل واقع به ... وكذلك سائر المعاني، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتوسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند

---

399 - سورة البقرة، الآية 89.
400 - سورة البقرة، الآية 101.
401 - أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ص301، 302.

الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني، " [402] فترتيب الألفاظ في الجُملة الشَارحة للمُدخل المُعجميً يُفيدنا في فهم دلالته، كما أنَ لضبط الوحدات بالشَكل له معنى دلالي، و هو ما تفطن له الجوهري في مادَة: " [أهق]

الأيْهُقَانِ: الجِرجيرُ البريُ، و هو فَيْعُلاَن، قال لبيد :

فَعَلاَ فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ و أَطْفَلَتْ * بالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُها و نَعَامُهاَ**

إنْ نَصَبْتَ فُروعَ جعلْتَ الألف التي في " فعلا " للتَثنية أيْ الجُودُ، و الرِهام هما فَعَلَا فُروعَ الأيهقان و أنْبتاها، و إنْ رفَعتَهَُ جعلتها أصلية من علاَ يَعْلُو، " [403] فإشارتُه و تعليقه بالشرح النَحوي لصدر البيت ساعد على تحديد الدلالة .

و من الدَلالات التي يُمكن الوقوف عليها في المُستوى النَحوي ما له علاقة بالتَقديم و التَأخير.

مِمًا سبق شرحه، فإنً المعجم اللًغوي العربي في تقديمه لدلالة الألفاظ خدم هذا الاتجاه من خلال استناده لبليغ القول وانتقاءه إيًّاه كنموذج دلالي في مستويات جَمَّة منها المستوى النَّحوي، و الصوتي، و الصَرفي، و الحقيقة أنَ هذه الظَاهرة تتَّسعُ لِتشْمل غالبية المعاجم العربية لاعتبارات منها أنَ تحقُق دلالة الألفاظ قد تنجلي و تتَضح أكثر حينما يلتفت المُعجميً بالشرح المشفوع بمستوى من المستويات اللًغوية الثلاث كما تعكس هذه الالتفاتة إلمام معجميو العرب بالقضايا النَحوية، و الصوتية، و الصرفية، هذا فضلاً عن التَنويع في عملية الشرح.

---

[402] - أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ ، ص69- 70.

[403] - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، باب القاف فصل الألف، 4 / 1448.

الفصل الثالث :

إرهاصات و دواعي نشأة علم التفسير

أنواع التفسير

أوَلاً : التَّفسير المأثور

ثانياً : التفسير بالرأي

العوامل المساعدة على إجلاء دلالة الألفاظ في التفسير

معرفة لغة العرب –

معرفة أسباب نزوله

معرفة قراءاته

معرفة مجازه

معرفة إعرابه

معرفة ناسخه و منسوخه

معرفة غريبه

معرفة متشابهه

معرفة إعجازه و وجوه بلاغته

تفسير الآيات المطلق

تفسير الآيات المقيدة

تفسير الآيات ذات الحكم العام

بين المعنى الظاهر و التأويل

كثيرة هي القضايا اللُّغوية الَّتي تحتاج مِنَّا أن نقف عندها وقفة تأمُّل في حيثياتها كتلك التي تتعلق بعملية التفسير(404•) خاصَّة حينما ينتاب عنصراً من عناصرها شيئاً من الغموض، الأمر الذي يُجْبِرُنا على تفسيره و توضيحه قصد توضيح الرُّؤى، و كشف الغموض .

إنَ الحديث عن الغموض اللُّغوي يتَّصِل اتِّصالا وثيقاً بالوحدات التي تتألَف منها الجملة، فكلَّما كانت هذه الأخيرة طيِّعة في يدِ المُتلقي اتَّضحت الدَلالة و استقرَ المعنى، و كُلَّما كانت غامضة اضطرب الفهم، و تعذَّر بلوغ المعنى .

و لتجاوز هذه العقبة اجتهد العلماء قديماً و حديثًا في الوقوف إلى جانب الكشف و الإبانة، حيث تتبَّعوا مواطن الغموض الجاثمة في الجملة و حرصوا على تفسيرها، فالدراسات التي أُنجِزت في حقِّ القرآن الكريم، و التي حرص أصحابُها على توضيح معانيه و الكشف عنها من خلال إبانة ألفاظه، و تراكيبه يتصل اتصالا وثيقاً بعلم

• - قبل الخوض في حيثيات التفسير و التَّوسُع فيه يجدر بي أنْ أقف على تعريفه لغة، ثُمَّ اصطلاحاً.

مِن المعاجم العربية التي تتبَّعت لفظ (فسر) بالشرح و البيان: لسان العرب، و قد خصَه صاحبه بالشَّرح التالي:

" فسر . الفَسْرُ : البيانُ . فَسَرَ الشيء يَفْسِرُهُ، بالكسرِ، و يَفْسُرُهُ، بالضَّمِّ، فسراً و فَسَّرَهُ : أبانَهُ، و التفسيرُ مِثْلُهُ ...

الفَسْرُ : كشفُ المُغطَّى، و التَفسيرُ كشفُ المرادِ عن اللَّفظِ المُشْكِلِ . "

(- ابن منظور، لسان العرب، باب الفاء، مادة فسر، 5 / 3412- 3413.)

و عموماً فدلالته محصورة في البيان، و الكشف عمَا أُشكِل في لفظٍ ما .

أمَّا صاحب المجمل، فقد أورد مفردة واحدة مرادفة لمادَّة فسر، حيث قال : " الفَسْرُ : البيانُ، و الفَسْرُ : نظَرُ الطبيب إلى الماءِ، و هو التَّفْسِرَةُ . "

(- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت 395هـ)، مجمل اللُّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، كتاب الفاء، باب الفاء و السين و ما يُثلثهما، 3 / 721.)

من الدَّلالتين السَّابقين للفظ (فسر) يستقرُ في أذهاننا أنَّ معناها من الوجهة اللغوية لا يتجاوز:البيان، و الكشف .

أمَّا اصطلاحا فتعاريف العلماء له تعدَدت، و لكنَّها اتَّفقت في مجال بحثه، و الآليات المُعتمَدة فيه، و من الذين خَصُوه بالاهتمام و التَّنقيب الزركشي الذي عرَّفه فقال : " علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيِّه محمد – صلَّى الله عليه و سلَّم – و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حِكَمه ."

(- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا – بيروت 2005 م، 1/ 13.)

التَفسير، و القارئُ للقرآن الكريم يستوقفه قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [405] و مِمَّا جاء في مفاتيح الغيب

قوله: " الذي يأتي به أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية في البيان و الظُهور، و لمَّا كان التفسير هو الكشف عمَّا يدلُ عليه الكلام وضع موضع معناه، فقالوا تفسير هذا الكلام كيت و كيت كما قيل معناه كذا و كذا، " [406] فدلالة لفظ "تفسير " في قوله تعالى كذلك تعني معنى " البيان و الكشف " .

إنَّ التفسير من هذه الزَاوية قد نستهدف به الجملة نتيجة تضمنها للفظ أو تركيب يحتاج إلى تذليل و إبانة معناه أكثر، و في هذا المقام تعقيب لطيف من المبرد في شأن ما يُفسَر حيث قال: " نُفسِّرُ أشياءَ من العربية تحْتاج إلى الشرح من ذلك قوله: ((و لولاك)) ، ومنه قوله:((ألم تروْا جَياً)) و منه قوله: ((يَهُرُّكُمْ باللَّيل والنَّهار))، " [407] فالتفسير من وُجهة نظر المبرد لا يختلف عن الشَرح حيث يتتبع الغموض في الألفاظ و يسعى لإزالته، و من الأمثلة التي يُمكن أنْ نسُوقها في هذا المجال و المُتضمنة لبيان الفرق بين لفظيْ: حلف و قسم، و هو ما يدخل في إطار الفرق بين الكلمات المتشابهات في الدلالة نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [408] و قوله سبحانه:﴿ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [409] حيث نجد من الباحثين الذين عقَبوا على هذين الفعلين المتشابهين في الآيتين الكريمتين، و أثبتوا أنَ الدَلالة المُعجمية لا تُفرَق بين كثير من الألفاظ المُتشابهة، و ممَا جاء في هذا المنحى قول الباحث: " كثيراً ما يُفسَر أحدهما بالآخر، و قلَما تُفرِقُ بينهما المعاجم نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم الموثق، فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما.

---

405 - سورة الفرقان، الآية 33.

406 - محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (544 – 604هـ) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، 24 / 80.

407 - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد 210هـ / 285هـ، تعليق:محمد أبو الفضل إبراهيم، الكامل في اللغة و الأدب، 3 / 236.

408 - سورة التوبة، الآية56.

جاءت في مادة (ح ل ف) في ثلاثة عشر موضعاً، كُلُّها بغير استثناء، في الحنث باليمين (أي اليمين الكاذبة) و أما القسم، فيأتي في الأيمان الصادقة سواء كانت حقيقية أوْ وهماً .

و بهذا يختص الحلف بالحنث في اليمين (أي اليمين الكاذبة) و يكون القسم لمطلق اليمين، وهذا ما اطَّرد استعماله في البيان القرآني." [410]

إنَّ مثل هذه التوضيحات و التعليقات على النَّصِّ القرآني تصبُّ في صميم علم التفسير، و من هذا المنطلق فهو لا يبتعد عن التحليل و الكشف .

و الحقيقة أنَ تعريف التفسير لم ينحصر في اهتمام فئة من العلماء، فنتيجة ارتباطه بالقرآن الكريم خُصَّ باهتمام الباحثين و الدَّارسين و قد عرَفه محمد حسين الذهبي، فقال: " هو العلم الذي يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، و أحكامها الفردية والتركيبية و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، أي: أنه علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكلِّ ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد ." [411]

إنَ مجال البحث في علم التفسير لم يُخرجه الذهبي عن مجال القرآن الكريم، إلاَّ أنَّهُ لم يحصره في دلالة الألفاظ المعروفة في اللَّفظ و المعنى فحسب، بل خرج به إلى ما يُعين على الكشف عن الدلالة، فمن التَّفسير ما هو مُتَصِلٌ بكيفية نطق ألفاظه و إخراجها إخراجاً سليماً لما لهذه العملية من أثر في الإبانة الشَّاملة لدلالة اللَّفظ في القرآن الكريم، و من التفسير كذلك الكشف عن الألفاظ في حالتي الإفراد و التَّركيب لبلوغ مراد الله تعالى .

---

409 - سورة الواقعة، الآية76.

410 - قاسم عاشور، جواهر قرآنية – 1000سؤال و جواب في القرآن الكريم، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001م، ص16.

411 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الفكر، بيروت، لبنان 1396 هـ- 1976 م، الطبعة الثانية، 1 / 14 .

و إذا كُنَا في الأسطر السابقة قد فصلنا في معنى التفسير لُغةً و اصطلاحاً، فإنَ الذي ينبغي أنْ يُطرح كاستفهام قصد المناقشة و التحليل هو ما يتعلق بالإرهاصات الأولى لنشأة علم التفسير، كيف ظهر ؟ و لماذا ؟، و في ثنايا إجابتنا على هذين السؤالين نكون بذلك قد التفتنا إلى الإجابة على كثير من التساؤلات الفرعية ذات الصِلة بالموضوع كتلك المتعلقة بالمجالات التالية:

– هلْ علم التفسير يتتبَع إلاَ الغموض الجدير بالشَرح و التَعليق؟ أم أنَه يغوص في قضايا أُخرى ؟

ثُمَ هل الغموض مرجعه إلى الوحدة اللُغوية التي يتضمنها التركيب؟ أم أنَ تَموْقع هذا اللَفظ ضمن مجموعة من الألفاظ هو الذي أكسبه تعدَد المعاني الذي يفرض علينا ضرورة ضبطه و تحديد معناه ؟

للإجابة على هذه التساؤلات و غيرها لا مانع من تتبع أهمَ الخطوات المنهجية التي كانت سبباً في تأسيس مفهوم التفسير سواء عن طريق مبدأ التحديد أم الوظيفة، و هي على النحو التالي:

إرهاصات و دواعي نشأة علم التفسير

إنَ تاريخ عملية التَفسير و الإبانة أقرَتْ حقيقة مفادها أنَ كُلَ ذي شأن من النُصوص أُخضِع للتَفسير،(412•) و الحديث عن التَفسير يلفت الباحث إلى كتابه

• - و خير دليل – على سبيل التمثيل لا الحصر – ما يقف عليه القارئ في النُصوص الوضعية و الوارد في شرح ديوان المُتنبي الذي قال فيه صاحبُهُ:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا * وَ يَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَاهَا وَ يَخْتَصِمُ**

و هو ما يُجسِدُ ذلك التَنافس الحادَ الذي وقع بين شُرَّاحه، حيث بلغ عددهم أربعة عشر شارِحاً مِن بينهم ابن جنِي، و المعرِي .

العزيز، و الذي لا يُختلف فيه هو أنَّ التَّفسير بدأ " بالرواية عن صاحب الرسالة، _ ﷺ _ و كان جُزءاً من الحديث، ثُمَّ انفصل عنه وصار علماً له أُصوله و قواعده، " [413] فالنَّبيُّ – ﷺ – بأفعاله و أقواله، و تقريراته جَسَّد التَفسير الحقيقي للقرآن الكريم، فما جاء مُجملاً في القرآن الكريم فصَّلهُ نبيُ الرَّحمة، و ما جاء مُفصَّلاً في الحديث الشَّريف أجملَهُ القرآن الكريم، فهو بذلك يُعدُّ البيان و التَفسير الأوَّل لما تلقاه من ربِّه، و حاجة المسلمين آنذاك استدعت تفسير المصطفى، – ﷺ – و هي الحقيقة التي أكَّدتها السيرة النَّبوية في البيان و التفسير .

لقد استمرَّ باب التَّفسير– في غير الثوابت– بعد المصطفى– ﷺ – حيث توسَّع نِطاقه، و بغية ضبط هذه العملية و التَّحكم في أواصرها اجتهد العلماء في وضع القواعد الأساسية لعملية التفسير" ويبدو أنَّ رسالة الإمام الشافعي أوَّل مُحاولة لوضع قواعد التفسير، لِما رأى من إفراط بعض المُفسرين في تفسير عقلي لا يقوم على رواية صحيحة، و إفراط البعض الآخر في تفسير نقلي امتلأ بالإسرائيليات و الحكايات و النَّوادر، و كُلٌ يبحث عن الدليل من القرآن لدعم رأيه، فاتَّجهت العناية إلى وضع الأسس السليمة التي يبنى عليها استنباط المعاني، وذلك بإتباع سُنن اللغة التي بها نزل القرآن بروح الشريعة." [414]

و مهما كان من اختلاف بين المفسرين، فإنَّ أنواع التَّفسير التي سنوليها التفاتة بشيء من التحليل، تحدِّدُ للمطَّلع الأُطر العامَّة التي تتحكم في كُلِّ نوع من أنواعه.

(- يُنظر: عبد الرَحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، راجعه يوسف الشَّيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى 2004م ،1/ 56، 84.)

413 - التهامي نقرة، الاتجاهات السنية و المعتزلية في تأويل القرآن، مطبعة دار القلم، ديسمبر 1982 م، ص 10 .

414 - المرجع نفسه، ص10 .

أنواع التفسير

إنَّ المُتمعن لنتاج التَّفسير يقف على كمٍّ مُعتبر منه بدءاً بتفسير النَّبيِّ– ﷺ إلى تفاسير الصَّحابة – رضوان الله عليهم– فالتَّابعين، و هلُمَّ ...

لقد تعدَّدت التَّفاسير نتيجة اهتمام المسلمين بدينهم حيث دفعهم ذلك إلى استقصاء كلِّ ما جاء فيه، إلاَّ أنَّ جُلَّها قد ضاع " و لم يصلنا من تفاسيرهم سوى تفسير مجاهد، و تفسير عبد الرَّزاق الصنعاني، و تفسير ابن ماجه، و تفسير ابن جرير الطبري، و هذا التفسير الأخير – تفسير الطبري – هو أوَّل تفسير كامل لآيات القرآن الكريم يصل إلينا، و تفسيره بحقٍّ موسوعة تفسيرية قفز ابن جرير في هذا الكتاب بعلم التَّفسير قفزة نوعية هائلة، و لا زال هذا الكتاب يشغل المكانة العليا بين كتب التفسير،" *(415)* فالذي يُفهم من هذا القول أنَّ التَّفاسير في بدايتها لم تكن شاملة للقرآن كما هي عليه اليوم بل كانت جزئية إلى أنْ أصدر ابن جرير الطبري تفسيره الذي ارتقى به إلى الإحاطة بالقرآن .

و مِمَّا أجمع عليه العلماء في مجال التفسير أنَّ أساليب المُفسرين و هم يُبيِّنون آياته تعدَّدت، و قد ضُبِطتْ في نوعين: – التَّفسير المأثور و – التَّفسير بالرَّأي .

أوَّلاً : التَّفسير المأثور

415 - مصطفى مسلم، مناهج المفسرين، دار المسلم للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1415هـ، ص21.

إذا كان مفهوم التفسير من معانيه الدِّلالة على الكشف و البيان، فإنَّ المأثور من القول هو الخاص، و قد خصَّ بتعريفات منها تلك التي تعني: " بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أوْ السنة أوْ أقوال الصحابة – رضي الله عنهم – فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول، و لا يجتهد في بيان معنى من غير دليل و يتوقف عمَّا لا طائل تحته و لا فائدة في معرفته،" [416] فالمُفسِّرُ فيه لا يبني كشفهُ و بيانه لنصِّ الآية إلاَ إذا تأكد من أنَّهُ مُوافق لفحواها في آية أُخرى، و يتماشى مع نصوص قطعية، و لعلَّ السَند المُعتمَدُ في هذا المنحى من التَّفسير هو ما ثبت عن النبيِّ محمد– ﷺ – و لابن تيمية في هذا الأمر قول حيث يرى أنَّ أفضل الطرق لبلوغ استنباط أحكام القرآن، و معرفة خباياه هو أن يُفسَّر القرآن بالقرآن ثمَ بالسنة، و هو يعتبر هذا الإجراء في شأن التفسير جدير بالاقتفاء فقال: " إنَّ أصحِّ الطرق في ذلك أنْ يُفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنَّه قد فسر في موضع آخر، فإنْ أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنَّها شارحة للقرآن و موضحة له،" [417] و هو ما يعرف بالتفسير المأثور، فالمفسر فيه لا يخرج عن النصوص الشرعية: القرآن و السنة .

إن تفسير القرآن بالقرآن[418•] نقف عليه في الآيات التي خفيت علينا معانيها، فيعقب الله – عزَّ و جلَّ – عليها بآية تُفسرها و هو ما يعرف بالتفسير التوقيفي، " و الآخر: اجتهادي، يعتمد على صحَّة الاستنباط و قوة نظر المفسر و تجرده في قربه من الصحة أو بعده عنها، و ذلك بأن يحمل معنى آية على آية أخرى تكون مُبيِّنة و

---

416 - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، دار المتعلم الزلفي - مكتبة التوبة الرياض، الطبعة الثامنة 1999م، ص150.

417 - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد النصار، ص93.

• - و لصاحب الإتقان في هذا المجال رأيٌ حيث قال : " مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أوَّلاً من القرآن، فما أُجمل منه في مكان فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع أخر "
(السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، 2 / 175 .)

شارحة للآية الأولى، و هذا النَوع منه المقبول و منه المردود كأيٍ اجتهاد في تفسير آية .." [419] .

كثيرة هي الألفاظ في القرآن الكريم التي دلالتها تتضح حينما يعتمد صاحبها على الشرح المُفعم بآية قرآنية أخرى و هو ما وقف عليه الثعالبي في قوله " فمن ذلك قوله – عزَّ ذكره –﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ...﴾ [420] استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطَّاعات كلّها في الائتمار و الإنزجار، وذلك لو أنَّ إنسانا أطاع الله سبحانه مائة سنة ثمَّ سرق حبَّة واحدة لخرج بسرقتها عن حدّ الاستقامة، و من ذلك قوله– عزَّ و جلَّ– ﴿...لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [421] فقد أدرج فيه ذكر إقبال كُلّ محبوب و زوال كُلّ مكروه عنهم، و لا شيء أضرّ بالإنسان من الحزن و الخوف " [422] .

إنَ دلالة لفظ الاستقامة في شرح الثعالبي للآية اتَضح و انجلى معناه بالشرح المجسَّد له .

أمَا بخصوص تفسير القرآن بالحديث، فنلمسه في كثير من الآيات التي وردت تفسيراتها من النبيً محمد– ﷺ – و من التخريجات التي وقفت عليها في شأن دلالة الألفاظ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [423] وقد يتساءل الواحد مِنَا عن دلالة لفظ شجر، فيسعى صاحبنا إلى بيانه من خلال تفسير الآية مُركِزاً على إجلاء دلالته من خلال الحديث الشريف " أنا قتيبةُ بنُ سَعيدٍ، نا الليثُ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُروةَ أنَهُ حدَثه أنَ عبد الله بن الزبير حدَثه أنَ رجُلاً خاصمَ الزُبيرَ عند رسول الله– ﷺ – في شراج الحَرَة التي كانوا يسقون بها النَخلَ ، فقال الأنصاريُ : سرِح

---

419 - طاهر محمود محمد يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، 1/ 53.
420 - سورة فصلت، الآية 30.
421 - سورة البقرة، الآية 38.
422 - أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجاز، الطبعة الأولى 1867م المطبعة العمومية مصر، ص 10.
423 - سورة النساء، الآية65.

الماء يمُرُّ، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله – ﷺ –، فقال رسول الله– ﷺ – للزُبير، " اسقِ يا زُبيرُ، ثُمَّ أرسلْ إلى جارك "فغضب الأنصاريُّ، فقال: يا رسول الله، أنْ كان ابن عمَّتك، فتلون وجه رسول الله– ﷺ –، ثُمَ قال: "يا زُبيرُ اسقِ ثُمَّ أحبسِ الماء حتَّى يرجع إلى الجَدْرِ " *(424)*

إنَّ مثل هذه التفسيرات أزالت الغموض عن اللفظ الذي إنْ اتَّضحتْ دلالته تجلى المعنى الإجمالي للآية، و من هذا المنطلق عدَّ العلماء " السنة النبوية شارحة للقرآن مبينة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مُخصِّصة لعامه، موضحة لِمُبهمه، مُفسرة لمشكله، مفصلة لمختصره معضدة لمعانيه، كاشفة لغوامضه، مجلية لمقاصده، كما جاءت بأحكام لا توجد في كتاب الله و لم ينص عليها فيه، و هي لا تخرج عن قواعده و أصوله، و مقاصده و غاياته، فلا يُمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، و لا يجوز إهمالها في وقت من الأوقات، و ذلك لأهميتها القصوى في فهم دين الله و تفسير كتابه و العمل به. " *(425)*

لقد اهتدى المفسرون إلى دلالة لفظ " شَجَرَ " الوارد في الآية الكريمة من خلال ما تمَ استنباطه من نَصِّ الحديث فبمجرَّد التَّعامل مع نصِّ الحديث والوقوف على دلالة لفظ " شَجَرَ " ينجلي المعنى العام للآية، و هو الفهم الذي من خلاله يُمكن استنباط ما تحويه الآيات القرآنية " لقد بيَّن الرسول عليه السلام لصحابته ما تضمنه النص القرآني من معان، وما اشتمل عليه من أحكام فقهية مُتعلقة بتنظيم مصالح العباد، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام بمقتضى السليقة العربية السليمة، ولما شاهدوا من القرائن والأحوال، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل

---

[424]- أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب بن علي النسائي صاحب السنن المتوفى (303هـ) تفسير النسائي للإمام تحقيق: صبري عبد الخالق الشافعي، سيِد بن عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى 1990م، 1/ 391.

[425] - طاهر محمود محمد يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1425هـ، 1/ 55.

الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس.وكانوا يجهدون أنفسهم في تفقه معانيها. " [426]

و من الآيات التي اعتُمِد في تفسيرها على هذا الاتِّجاه قوله تعالى:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [427] حيث أورد سراج الدين في تفسيرها ما نصُّهُ: " تكلَم النَّاس في هذه الآية، فقال مجاهد: هو الرجل المؤمن يرى الرؤيا الصَالحة، و هي من أعمال الأنبياء جزء من سبعين جزءاً من النبوَّة، و سأل رجل من أهل مصر ابن عباس عن هذه الآية ، فقال: ما سألني أحدٌ عنها منذ سألت رسول الله- ﷺ - إلاَّ رجل واحد سأل النبيَّ - ﷺ -، فقال: ما سألني أحدٌ عنها منذ نزلت إلاَّ رجل واحدٌ: هي الرُؤيا الصَالحة يراها الرجل المؤمن أو تُرى لهُ." [428]

إنَّ التَّفسير المُعتمد للآية المذكورة أعلاه سنده ما رُوي عن النبيِّ - ﷺ - و قد يسأل الواحد مِنَّا نفسه عن المفهوم العميق للتَّفسير المأثور، هل يعتمد فيه المُفسِّرُ على الرِّواية و يكتفي؟ أمْ أنَّهُ يُقحم ما له علاقة بالتَمحيص و التَّحليل؟

و هو ما ذهب إليه البحث في المجال حيث حُدَدت أُسُسه وفق منظور فيه من الدِّقة: " و في التفسير المأثور لا يقف المفسِّر عند ذكر الروايات فقط، و لا تنتهي مهمته عند رصدها فحسب، و إنَّما تبدو فعاليته في اتجاهه إلى مرويات بعينها يجمعها حول الآية الواحدة، و في الترجيح بين هذه المرويات، و تفضيل واحدة منها، أو الحكم بضعفها جميعاً، و القول في الآية بما يراها في ضوء الوسائل المعينة على فهم النص القرآني،

---

426 - مولاي الحسين ألحيان، علم أحكام القرآن – دراسة في نشأته وتطوره ومدوناته - مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، العدد28، شوال 1424 هـ ، ج 16 ص11.

427 - سورة يونس، الآية 64.

428 - سراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأوسي المتوفى 751هـ، زهر الكِمامِ في قصَة يوسف عليه السلام، تحقيق: كمال الدين علام، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2003م، ص28.)

كأسباب النزول، أو المألوف من كلام العرب، أو الرجوع إلى الدلالة اللغوية للألفاظ في عصر النبوة و غير ذلك مِمَا يُعين على القول في القرآن برأي." [429]

و مِمَنْ مثَّل هذا الاتِّجاه الطبري في تفسيره، و في هذا المقام يقول عن حقيقة التفسير المأثور: " ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلاَ بنصً بيان رسول الله، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القول فيه برأي. " [430]

و وجهة نظره هذه في الحقيقة لا تتعارض مع قوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [431] و قوله عزَّ من قائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [432] ، فهو لا ينفي الرأي ما دام صاحبه يرتكز على الأسس الموضوعية في التفسير .

و من الباحثين الذين تتبعوا منهجه و خصائصه محمود النقراشي الذي نلمسه في قوله: " يكاد الإجماع ينعقد ممن يعتدُ بهم من العلماء أنَّ جامع البيان في تفسير القرآن من المؤلفات النادرة الجامعة لمن سبقها من العصور، فتعطى صورة واضحة لما كان عليه التفسير منذ العصر الأوَل حتَى مطلع القرن الرابع مؤكداً قيمة التفسير بالمأثور و مدى الحرص عليه، و إن كان في الوقت نفسه من المراجع ذات الأهمية للتفسير العقلي، فلقد جمع بين الآراء و اعتمد ما ارتآه صحيحاً من وجهة نظره،و زاد استنتاج الأحكام، فهو جامع بيان النقل و العقل."[433]

إنَّ مفهوم التفسير بالمأثور لا يقصي في كثير من خرجاته استنطاق الآية و الإحاطة بجوانبها مشفوعة بالارتكاز على الحديث الشريف و ما قالته العرب في لغتها، و من الأمثلة الواردة في هذا المنحى ما يقف عليه القارئ من تفسير لقوله تعالى:﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا

---

429 - الشحات السيد زغلول، الاتجاهات الفكرية في التفسير، الطبعة الثانية الهيئة العامة للكتاب 1977م، ص162.

430 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن 224هـ / 310هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان، 1 / 69.

431 - سورة النساء، الآية82.

432 - سورة محمد، الآية24.

433 - محمود النقراشي السيد علي، مناهج المفسرين من العصر الأوَل إلى العصر الحديث، ص123.

يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [434] قول المُفسَّر:" يقول تعالى ذِكرُهُ لنبيِّهِ محمد – ﷺ – : قُلْ يا محمد للمُخلَّفين من الأعراب عن المسير معك : ستُدْعون إلى قِتالِ قومٍ أُولي بأسٍ شديدٍ .

و اختلف أهلُ التَّأويلِ في هؤلاء الذين أخبر اللهُ – عزَّ و جلَّ – عنهم أنَّ هؤلاء المُخلَّفين من الأعراب يُدْعَوْنَ إلى قِتالِهم؛ فقال بعضهم : هم أهلُ فارسَ " [435]

إنَّ حصيلة تفسيره للآية ضمَّنها شيئاً من الإبانة وفق الخطوات التَّالية: في البداية حدَّد و عيَّن المُستهدفين منها، ثُمَّ لخَّصَ معناها اللُّغوي بشيء من الإيجاز الشَامل في قوله : ستُدْعون إلى قِتالِ قومٍ أُولي بأسٍ شديدٍ، ليقف في الأخير مُرجِّحاً اختلاف المؤولين للمُخلَّفين .

تلك هي إذاً بعض الخطوات المُعتمدة من المُفسِّر، و هي كافية لإزالة الغموض عنها .

إنَّ المتصفح لتفسير ابن كثير و الذي يُعدُّ قطباً من أقطاب التفسير المأثور، و المتتبع لمنهجه و خطواته في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [436] و – هذا من باب التمثيل لمنهجه– يستخلص أنَّه سرد بعض الأحاديث النبوية الشريفة المتضمنة لسلوك النبي – ﷺ – في هذا الباب، ثُمَّ انتقل إلى بيان الحُكم الفقهي بين كون السعي ركن و واجب، و مستحبٌّ و بعد عرضه لهذه الآراء التي اعتمد فيها على الدليل رجَّح الرأي إلى الحكم الأوَل، ثُمَّ عقَّب على ذلك بقوله: " فقد بين الله – تعالى – أنَ الطَّواف بين الصفا و المروة من شعائر الله أي: مِمَّا شرع الله

---

434 - سورة الفتح، الآية16.

435 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224هـ / 310هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،21/ 265 – 266.

436 - سورة البقرة، الآية158.

تعالى لإبراهيم الخليل في مناسك الحجِّ، و قد تقدَّم في حديث ابن عباس أنَّ أصل ذلك مأخوذ من تطواف هاجر و تَرْدَادها بين الصفا و المروة في طلب الماء لولدها، لمَّا نفذَ ماؤها و زادُها، حين تركهما إبراهيم– عليه السلام – هنالك ليس عندهما أحد من الناس، فلمَّا خافت الضَّيعة على ولدها هنالك، و نفذ ما عندها قامت تطلب الغوث من الله – عزَّ و جلَّ –، فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا و المروة مُتذلِّلة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله – عزَّ و جلَّ –، حتَّى كشف الله كربتها، و آنس غربتها و فرَّج شِدَّتها، و أنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طُعْم، و شفاء سُقْم، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره و ذُلَّه و حاجته إلى الله في هداية قلبه و صلاح حاله و غفران ذنبه، و أن يلتجئ إلى الله – عزَّ و جلَّ – ليُزيح ما هو به من النقائص و العيوب، و أنْ يهديَه إلى الصراط المستقيم، و أنْ يُثبته عليه إلى مماته، و أنْ يُحوِّله من حاله الذي هو عليه من الذنوب و المعاصي، إلى حال الكمال و الغفران و السداد و الاستقامة، كما فعل بهاجر – عليها السَّلام – ." *(437)*

إنَّ المتأمل لخطوات تفسيره للآية المذكورة أعلاه يقف على شيء من المزج بين ما له علاقة بالجانب اللُّغوي– وذلك قصد إزالة الغموض– ، و بين أحداث القصة التي وقعت لهاجر – عليها السلام – و اعتماده على بيان الحكمة من ذلك، كُلُّ هذا لبلوغ تفسير يجمع فيه بين الأثر و اللُّغة، ومِمَّا وقفت عليه من تعقيبات في شأن تفسيره لهذه الآية ما وقف عليه محمد النقراشي الذي تتبَّع تفسيره لها و لخَّص منهجه في ذكره للعناصر التالية:

" 1– ذكر من الآثار الصحاح ما يوضح المعنى المفاد من النص غير أنَّه يبدأ بذكر نصٍّ كامل، ثمَّ يأخذ من غيره موطن الاستشهاد و في كلٍّ يعزو كل نص إلى الكتاب الذي ذكره .

---

437 - أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (700/ 774هـ)، تفسير القرآن العظيم تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1 / 471- 472.

2- لم يشغل نفسه بدلالات لغوية للألفاظ غير ما تدل بوضعها عليه في النَّص الكريم .

3- ذكر الأقوال الفقهية التي قالها العلماء في حكم السعي بين الصفا و المروة، و رجَّح أنَّه ركن من أركان الحج.

4- لم يتعرَّض للقراءات المتواترة أو غيرها ." [438]

إنَّ اهتمامه بدلالة الألفاظ في الآية المفسَّرة لا يخرج إلى دلالات لُغوية، و بالتَّالي فهو لا يهتمُ كثيراً بسرد الدلالات اللغوية للألفاظ، و يكتفي بما له علاقة بمعنى الآية، و هي الخطوات المُنتهجة من مُفسري القُرآن بالمأثور .

ثانياً : التفسير بالرأي

و بالمقابل للتفسير بالمأثور تجلَى اتِجاه آخر هو التفسير بالرأي و " هو تفسير القرآن بالاجتهاد، و ينقسم إلى قسمين:- التفسير بالرأي المحمود: و هو التفسير المستمد من القرآن و من سنَّة الرسول - ﷺ - و كان صاحبه عالما باللُغة العربية، و أساليبها، و بقواعد الشريعة و أصولها .

- الثاني التفسير بالرأي المذموم: و هو التفسير بمجرد الرأي و الهوى ." [439]

إنَ الذي يعنينا في هذا المبحث هو التفسير بالرأي المحمود كونه يُشكل امتداداً للتفسير بالمأثور غير أنَه يخرج به صاحبه إلى فضاء فيه يتعرَض إلى اعتماد مستويات كالتَحليل لبعض القضايا المطروحة في كثير من الآيات القرآنية، و التي دعت إلى الغوص فيها بشيء من العمق و الدِقَة نتيجة لظروف العصر و حاجة المجتمع إلى

438 - محمد النقراشي السيد علي، مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، مكتبة النهضة القصيم بريده، الطبعة الأولى 1985م، 1/ 185.

439 - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص159.

تبْيِينها و الكشف عن حقيقتها، و قد حمل لواء هذا المنحى ثُلة من المفسرين حيث ركَزوا على الجانب اللغوي في تفسير الآيات، و هو ما وقف عليه أحد الباحثين المحدثين حينما راح يُبيِّن أصول هذا الاتِّجاه في قوله: " و هذا مسلك إعمال الرأي مشروطاً بِمُراعاة لُغة القرآن، و أصول الشريعة في الفهم و الاستنباط، و هو يوجب تحصيل آلة تُعين على استكشاف أَلْصق المعاني بمُراد الله تعالى بكلامه، و تعود إلى أصلين: الأصل الأول: العلم بالعربية، و يتمثل بالقدرة على استعمال المعاجم الموضوعة لشرح الحقيقة اللغوية، مع الدراية بعلوم النحو و الصَرف و البلاغة على الوجه الذي يُمكن من فهم التراكيب و الدلالات بحسب وضعها اللغوي ...

الأصل الثاني: العلم بما يتصل بالقرآن مما له الأثر في فهمه كالمقدمات الأساسية في علوم القرآن مثل أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ، و علم القراءات..." [440] فالرأيُ المحمود في نظره يخضع لجملة من الشروط منها: – مُراعاة لغة القرآن [441] ، و ربطها بأصول الشريعة .

– تقييد عمليتي الفهم و الاستنباط بأساسيات علوم القرآن حتَى لا يزيغ المفسِر عن الدلالة الشرعية للآية القرآنية .

إنَ الذي يعنينا في هذا المنحى و مَا هو مُتَفق عليه أنَ القرآن نزل بلغة العرب، لِذا عُدَت اللغة من مصادر تفسيره، فلا يُعقل لِمَنْ يُفسِر القرآن الكريم أنْ يكون غير مُلمٍ بدلالة ألفاظها و أسرارها و أساليبها، فالعلم بها و معرفة الدلالات اللُغوية للألفاظ

---

[440] - عبد الله بن يوسف الحديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، الطبعة الأولى 2001م، ص308، 310.

• - و هو عكس ما تنادي به الصوفية حيث لا يُولون للُّغة اعتبارا أساسيا، فالتفسير الصوفي يرى أصحابه أنَ " معاني كلام الله تعالى غير محصورة بالمعاني اللغوية بل له مكنونات و أسرار خصَ بها أهل الحقائق، فجعلهم أهل الفهم لخطابه و العالمين بلطائف ودائعه فاخبروا عن طرف منه بإشارات تخفى و تدق إلاَ على أربابها . "
(- مساعد مسلم آل جعفر، مناهج المفسرين، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1980م، ص232.)
و قد ساق في مؤلفه نماذج من تفسيرات الصوفية التي فيها تجاوز أصحابها الظاهر اللغوي لبلوغ أشياء بعيدة، و من هذه التفسيرات استوقفني استشهاده بمنهج السلمي في كتابه حقائق التفسير حيث عرض له تفسيره لقوله تعالى:
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)- سورة الحج، الآية63.
حيث فسَرها بقوله :" أنزل مياه الرحمة من سحائب القربة و فتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة فأنبتت فاخضرت بزينة المعرفة، و أثمرت الإيمان و أينعت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها و اشتاقت إلى ربِها فطارت بهمتها، و أناخت بين يديه و عكفت فأقبلت عليه ..."
(- مساعد مسلم آل جعف، مناهج المفسرين، ص233.)

القرآنية من أهمِ الأدوات التي تُعين على فهم كتابه و تفسيره، و من الأمثلة الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ *(442)* فلفظ " لامستم " لا يمكن قبول دلالته خارج العلاقة الشرعية بين الرجل و امرأته، و ذلك لوجود قرائن تدلُ على ذلك، و هو ما وقف عليه المفسرون ، و بيَنوه و كشفوا دلالته و للرَازي رأي فيه ضمَنه وجهان يقول: " ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ قال : الجماع.

الوجه الثاني: حدَثنا أبو عبد الله حماد بن الحسن بن عنبسة، ثنا أبو داود، عن شُعبة عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله قال : اللَمس ما دون الجماع ... " *(443)* و في كلتا الحالتين أخذ اللَمس دلالة لا تخرج عن سياق الآية، و تضمنها للحديث عن النِساء .

و فيما يتعلق بالعلاقة بين اللفظ و المعنى في الآيات القرآنية من الباحثين مَن رأوا أنَ " ألفاظ المعنى المراد يلاءم بعضها ليس فيه لفظة نافرة عن أخواتها، غير لائقة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى عربياً قُحّاً *(444•)* كانت ألفاظه عربية محضة، و إذا كان المعنى مُولَداً كانت الألفاظ مُولدة، و إذا كان المعنى متوسَطاً

---

442 - سورة النساء، الآية 43.

443 - الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرأي (544 – 604هـ) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب 961/4.

•-" و من أمثلة هذا الباب قوله تعالى: (قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً...) سورة يوسف، الآية85 فإنَه سبحانه لمَا أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها فإنَ التاء أقلَ استعمالا، و أبعد من أفهام العامَة، و الباء و الواو أعرف عند الكافَة، و هي أكثر دورانا على الألسنة، و استعمالاً في الكلام، أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء و تنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها ، فإن " كان " و ما قاربها أعرف عند الكافة من " تفتأ " و هم " لكان " و ما قاربها أكثر استعمالاً منها ، و كذلك لفظ " حرضاً " أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك ،فاقتضى حسن الوضع في النَظم أنْ تُجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخياً لحسن الجوار، و رغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ "

(- ابن أبي الإصبع المصري(585هـ- 554هـ)، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع 2 / 76- 77)

كانت الألفاظ كذلك، إذا كان عربيا كانت الألفاظ عربية، و إذا كان مُتداولاً كانت الألفاظ معروفة مُستعملة، و إذا كان مُتوسِّطاً بين الغرابة و الاستعمال كانت ألفاظه كذلك " (445)

إن الذي ينبغي أن نُقرَ به هو أنَ الائتلاف حاصل بين الألفاظ و المعاني في القرآن الكريم إلاَ أنَ ألفاظ القرآن الغريبة ليست دوما مرتبطة بالمعنى الغريب الأمر الذي انتبه إليه مفسرو القرآن الكريم فوقفوا حيث ينبغي الوقوف لتذليل المعنى و تجليته أكثر .

و من الألفاظ التي استوقفت الكثير من المفسرين و الباحثين لفظا: " الحيض " و" القرء " و هل يحملان نفس الدَلالة " (446) ففي قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (447) و للزمخشري في هذه الآية وقفة حيث فسَر لفظ القرء بقوله: " فإنَ القرء و القارئَ جاء في معنى الوقت، و لم يرد لا حيضاً و لا طهراً..." (448) و قد يسأل الواحد مِنَا نفسه عن تفسير الزمخشري للقرء بالوقت و علاقته بالمرأة المطلقة ؟

أمَا ما وقف عليه في قوله تعالى :﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

---

445 - المصدر نفسه، ص77.

• - من العلماء من استدلَ بنص الحديث الشريف في إثبات أن القرء غير الحيضة، و قد استندوا في ذلك على " حديث ابن عمر في الصحيحين أنَه طلَق امرأته و هي حائض على عهد رسول الله – صلَى الله عليه و سلم – فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عن ذلك، فقال - صلَى الله عليه و سلَم - : (أمره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد، و إن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلق لها النساء) فدلَ على أنَ العدة هي الطهر، و لو كان القرء هو الحيضة، لكان وقوع طلاق عبد الله بن عمر قبل العدة لا فيها "

(- سعود بن عبد الله الفنيسان، اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره، مركز الدراسات و الإعلام، دار اشبيليا الرياض، الطبعة الأولى 1997م، ص100- 101.)

و لأحمد البيلي تعقيب حيث يرى " و لمَا كان القروء من المشترك الذي يطلق على عدَة أشياء، فالقرينة هي التي تحدد المراد من مدلولاته الثلاثة، فالمراد في حديث: " دعي الصلاة أيام أقرائك " الحيض، لأنَ المرأة تدع الصلاة في أثناء حيضها لا في أثناء طهرها "

(- أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ص272.)

447 - سورة البقرة، الآية228.

448 - الزمخشري، الكشاف، 1 / 442.

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ [449] حيث فسَّر لفظ الحيض بقوله: " و الحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر؛ و لذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة؛ و يقال أقرأت المرأة إذا حاضت، و امرأة مقرئ..." [450] و يكون بذلك قد أثبت دلالة الحيض بمعنى القرء .

إنَّ معرفة اللغة و التضلُّع فيها عامل من العوامل الأساسية في فهم نصوص القرآن و استنباط أحكامها باعتبار أنَ القرآن الكريم تضمن الكثير من الألفاظ التي لم يعهدها اللسان القرشي، و في هذا المقام أورد الزَّركشي قولا لمجاهد قال فيه: " لا يحِلُّ لأحد يُؤمن بالله و اليوم الآخر أنْ يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب،" [451] فالذي يمكن استنباطه من قول مجاهد هو أن تفسير القرآن الكريم يلزمه الإلمام بلغة العرب، باعتبار أنَّ القرآن الكريم صهر ألفاظها، و أساليبها في بوتقة واحدة، الأمر الذي أوجب على المفسرين الالتفات إلى ما قالته القبائل العربية في شأن هذا اللَّفظ أوْ ذاك الأسلوب، و مهما يكن من أمرٍ، فإنَّ عامل الإلمام بلغة العرب يبقى جانباً من الجوانب التي تساعد المفسر على إجلاءه و بيانه .

العوامل المساعدة على إجلاء دلالة الألفاظ في التفسير

الحديث عن دلالة اللفظ في التفسير، و بلوغ بيان معنى الآية القرآنية في الحقيقة تتحكم فيه جملة من العناصر التي ينبغي أن يُراعيها المفسر " لا بدَّ من التفسير بالمأثور لمن أراد أن يستجيب لله تعالى، فيتدبر كلام الله و يفسره سواء كان على طريقة التفسير الموضوعي أو التحليلي أو المقارن، و كذا لمن أراد أن يفسر بالرأي يتحتم عليه أن يطلع على معرفة : أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ، و المكي و

---

449 - سورة الطلاق، الآية4.
450 - الزمخشري، الكشاف، 1 / 441
451 - الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، 1 / 292.

المدني، و الغريب و المشكل، و الوقف و الابتداء، و القراءات و أوجهها، و القراءات الشاذة التفسيرية، و الأحاديث المبينة للمجمل و المفسرة للمبهم، و الأحاديث المخصصة للعام و المقيدة للمطلق، " [452] و من هذا المقتبس يُمكن تتبع ما أورده طاهر محمود مُعتبراً ذلك جديراً بالاطلاع من المفسر، فحرصت على تتبُّع أهمِ العناصر الجديرة بالمعرفة من قبل المفسرِ باعتبار أنَّ عملية التفسير تذوب فيها هذه المعرفة و تتجلَّى فيما ينتجه المُفسِّر، و من هذه العناصر:

أ – معرفة لغة العرب

لمعرفة اللُغة العربية و التَضلُّع في أسرارها الأثر البالغ في افتكاك دلالاتها، و في ثنايا قراءاتنا لتفسير القرآن نقف على كثير من الوقفات اللُّغوية المُنتهجة من المُفسِّر، فاستعانته بالشروحات اللغوية للألفاظ قد تُزيل الإبهام و الغموض على الآية .

إن الذي رآه بعض الباحثين فيما يتعلق بأسلوب التفسير اللفظي الذي غلب نهجه من قبل مؤلفات غريب القرآن [453•] دليل على أنَّ للفظ دورا في إجلاء المعنى، و مِمَّا توصلوا إليه في هذا المجال " أن يكون اللفظ المفسِّرُ مطابقاً للَّفظ المُفسَّرِ، مع الاستشهاد عليه – أحياناً – من لغة العرب شعراً و نثراً، و لقد كان لهذا الأسلوب مكانُه في تفسير السلف، و من خلال استقراء تفسيرهم في تفسير الطبري (310 هـ) و غيره، وجدت أنَّ لهم في البيان اللُّغوي للقرآن – على هذا الأسلوب – طريقتين : **الأول:** أن يذكروا معنى اللَّفظة في اللغة دون أن ينصُّوا على ما يدلُّ عليها من شعر أو نثرٍ.

---

452 - طاهر محمود محمد يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1425هـ، 1 / 51.

• - و من الأمثلة التي انتقيتها من المعجم مادة (ن خ ر) " يقال: الناخرة و النخرة سواء، مثل الطامع و الطمع، و قال بعضهم: النخرة – البالية، و الناخرة العظم المُجوَّف الذي تمرُّ فيه الرِّيح فينخر بالية، و قيل فارغة يصير فيها من هبوب الريح مثل النَخير."
(- عبد العزيز عز الدين السيروان، المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1986م، ص402.)

الثاني: أن ينصَّوا على الاستدلال بلغة العرب في تفسير اللَفظة ..." [454] معتمدا في توضيح دلالتها على الاستعانة بمأثور القول من كلام العرب شعره و نثره، و من أمثلة ذلك ما نقف عليه في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [455] و مِمَّا استهدفه بالشرح قوله: " و أصل " الإبلاس " في كلام العرب، عند بعضهم : الحزن على الشيء و الندم عليه، و عند بعضهم : انقطاع الحجة، و السكوت عند انقطاع الحجة، و عند بعضهم : الخشوع، و قالوا هو المخذول المتروك، و منه قول العجاج :

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساَ ؟ * قالَ: نَعَمْ ! أَعْرِفُهُ ! وَ أَبْلَسَا !** " [456]

إنَّ اعتماد الطبري في تفسيره على الوقوف بالشرح اللغوي للكلمات التي يرى ضرورة محاصرتها دليل على أنَّ الكثير من الآيات يتضح معناها بتذليل الكلمات، و معرفة دلالتها اللُّغوية .

ب- معرفة أسباب نزوله

إذا كان لمعرفة الألفاظ اللُّغوية الأثر البالغ في الكشف عن دلالة الألفاظ ، فإنَّ معرفة اللُّغة لوحدها لا يُمكِّنُ المُفسِّرَ من بلوغ حقيقة الكشف و التبيين لكونه يتعامل مع نصٍّ مُقدَّسٍ، لذا بات لِزاماً على كُلِّ مُفسِّرٍ من الرُّجوع إلى سبب النُّزول باعتباره يُجسد دلالة النَّصِّ التي " يجب ألا تتوقف على تحصيل المعنى الحرفي أو المباشر، بل يجب أن تسعى إلى فهم المعنى الأبعد المباشر؛ ويتأتّى ذلك بملاحظة سياق المقال وسياق المقام، " [457] على أساس أنَّ الظروف المحيطة بالنصِّ جديرة بالاستقصاء، ويقصد بها مجموع الملابسات التي أنتج فيها النص، فهي كما عبَّر عنها تمام حسان " مجموع العناصر الاجتماعية الثقافية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالنص الكلامي

---

454 - مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، د. ط – د . تا، ص68.

455 - سورة الأنعام، الآية44.

456 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 11 / 362- 363.

457 - علي توفيق الحمد، مفهوم النص بين الدلالة الحرفية و الدلالة التَّضمنية، مجلة جامعة البعث، المجلد 25 – العدد 9 - 2003م، ص48.

بهدف بلوغ المعنى المراد، فالسياق المقامي يضم المتكلم والسامع، أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر تم التراث والفولكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات. " (458)

و للتمكن من فهم خطاب لغوي ما، يتعين مراعاة مقام المتكلم وحالته النفسية والاجتماعية وغيرها، و في شأن أهميته يقول ابن تيمية أنَّها " تُعين على فهم الآية، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسببِ، " (459) فهو بمثابة الإطار الذي يٌعينه في تحديد معنى الآية، و حينما يُضبط بهذا المَعْلَم يُصبح من السَّهل عليه الكشف عن دِلالة الألفاظ التي تتحرك ضمنه، فهو كما يقول حامد أبو زيد " إنَّ سبب النّزول أحياناً ما يُمكّن المُفسر من القراءة الصَّحيحة للنصّ، ومن ثمّ يجعله مُقارباً لاكتشاف الدّلالة و ليس المقصود بالقراءة الصحيحة تصحيح النَّصّ، بل المقصود التَّوجيه الصَّحيح لدلالة الألفاظ و العبارات." (460)

إنَّ المُفسِّر حينما يربط بين سبب النُّزول للنَّص القرآني و دلالات اللفظ الواحد المختلفة التي يُعبر عنها بالدلالة السياقية و " هي ما يكون قدْ طرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ و الدَّلالات في الزَّمان المُتتابع بين العصور، و في المجالات المُختلفة من علمية واجتماعية وفنيّة، فالكلمة

تكسب أبعاداً جديدة، أوْ تُحصر في إطار خاص، أوْ تُنْقلُ إلى مواقع لمْ تألفها قبل . " (461)

---

458 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثالثة،1998م، ص 352.

459 - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد النصار، ص60.

460 - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1990م، ص 123 .

461 - عدنان الخطيب، علم الدَّلالة العربي النظرية و التَّطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية 1988م، ص 22 .

إنَّ دلالة اللَّفظ تتعدَّد تبعاً لتنوع السياقات التي تأتي في معاجم اللُّغة لحظتها يمكنه أنْ ينتقي في تفسيره الدِّلالة الأقرب إلى سبب النُّزول فيحدث بذلك ما يُسمَّى بالتأقلم بين العمليتين .

و من مُنطلق ما وضَحنا سابقاً يتَّضح لنا جلياً أنَّ لمعرفة سبب النزول فوائد تخدم معنى الآية، فينعكس ذلك على إجلاء معناها و ضبطه فيما فُسِّر، و كثيرة هي الحالات التي وقف عندها الباحثون في بيان أهمية معرفة سبب النُّزول كون أنَّ " تخصيص الحكم بالسبب عند من يرون أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فآيات الظهار نزلت بسبب ظهار أوس بن الصامت لما ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة، و استبان الحكم في هذه الآيات الكريمة من سورة المجادلة، و بناء عليه فإن الحكم المستفاد لا يتعدى تلك الحادثة، و حكم الظهار في غيرها يمكن معرفته بدليل آخر قد يكون قاسيا أو غيره، و من المُسلَّم أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم أو القياس عليه إلا إذا علم سبب النزول، و بدون العلم به تصير الآية معطلة " [462] و عند الرجوع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [463]

إنَّ الذي يلتفت إلى تفسير هذه الآية يقف على ما يُذللِّ معناها، و المتمثل في إيراد المفسرين لسبب نزولها فتتضح دلالة ألفاظها أكثر، عندئذٍ يحرص المفسرُ على تتبع حيثيات وقائع نزولها بدءا بالحدث العام إلى أسماء الشخصيات و ما جرى بينهم من حوار، كما يتعرَّض للأحداث الثانوية ذات الصلة بالحدث العام ليصل إلى النتيجة أو الحكم، و هو ما أورده البغوي في شأن نزول هذه الآية قوله: " نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، و كانت حسنة الجسم، و كان به لمم فأردها فأبت، فقال لها : أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، و كان الظاهر و

462 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، دار الشروق القاهرة، الطبعة الأولى 1416هـ / 1995م، ص80.
463 - سورة المجادلة، الآية3.

الإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فقالت: و الله ما ذاك طلاق، وأتت رسول الله – ﷺ – و عائشة – رضي الله عنها– تغسل شق رأسه – فقالت يا رسول الله زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي و تفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به؟ فقال رسول الله – ﷺ – حرمت عليه، فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، و إنَّهُ أبو ولدي و أحبُّهُ النَّاس إليَّ، فقال رسول الله – ﷺ – حُرِّمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي و وحدتي..." *(464)*

إنَ المتأمل لما تضمنه نصُّ سبب النزول يقف على حقيقة مفادها أنَّ الالتفاتة إليه سبب في إزالة كثير من الغموض الذي قد يقف أمام القارئ، و خاصَّة فيما يتعلق بالألفاظ التي تتحكم في المعنى الإجمالي، مِمَّا يُؤثر سلبا على المتلقي، فيعيق فهمه لها جملة و تفصيلاً .

و الحقيقة التي أقرَّها العلماء أنَّ سبب النزول لا تتحكم فيه دلالة الألفاظ الكامنة في الآية بل الموضوع العام الذي نزلت لأجله، " فاللَّفظ قد يكون عاماًّ و يقوم دليل على تخصيصه ، فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالاجتهاد و الإجماع؛ لأن دخول السبب قطعي، و إخراجه بدليل التخصيص اجتهادي، و الاجتهاد ظني، و لا يجوز إخراج القطعي بالظني، مثال ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ *(465)* و سبب نزول هذه الآية حادثة الإفك المشهورة و لفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب و غير التائب، لكن الآية الأخرى استثنت من تاب، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

464 - الإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)، تفسير البغوي، معالم التنزيل تحقيق محمد عبد الله النمر، و آخرون، 8 / 49.

465 - سورة النور، الآية 23 .

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [466] (

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [467] فلفظ الآية هنا عام ثمَّ خُصِص بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ " [468]

إنَّ المطَّلع على تفسيرها يثْبُت في ذهنه و يستقرُّ ما نقله المُفسرون في شأن سبب نزولها باعتباره عاملاً مُساعدا على تحقيق معناها، و مِمَّا نقله الطبري في شأنها قوله: " و الذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنَّ بالزِّنى، ثُمَّ لم يأتوا على ما رموهُنَّ به من ذلك بأربعة شهداءَ عُدولٍ يشهدون عليهِنَ أنَهُنَّ رأوهُنَّ يفعَلنَ ذلك، فاجلدوا الذين رمَوهنَّ بذلك ثمانين جلدةً، و لا تقبلوا لهم شهادةً أبداً، و أولائك هم الذين خالفوا أمرَ اللهِ، و خرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .

و ذُكِر أنَّ هذه الآيةَ إنَّما نزلتْ في الذين رمَوا عائشة زوج النبيِّ – ﷺ – بما رموها به من الإفكِ، " [469] ففي ثنايا تفسيره يكون بذلك قد أشار إشارات لطيفة لدلالة بعض من الألفاظ التي تضمنتها الآية ليقف على سبب نزولها مُكتفياً بالذكر في حقِّ مَنْ نزلتْ نتيجة شيوع الحادثة .

ثمَّ يستمرَ في تفسيره لها إلى حيث يقول: " و قال آخرون: نزلت هذه الآية في شأن عائشةَ، و عُنيَ بها كُلُ مَنْ كان بالصِفة التي وصف الله في هذه الآية، قالوا: فذلك حكم كُلِ مَنْ رمَى مُحصنةً لم تُقارِفْ سوءاً . " [470]

---

466 - سورة النور، الآية4.
467 - سورة النور، الآية5.
468 - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص134- 135.
469 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 17/ 161.
470 - الصدر نفسه، 17/ 228.

بقليل من التَّمعن يُدرك القارئ لتفسير هذه الآية أنَّ الشيخ الطبري– رحمه الله – استعان بإيراد سبب نزولها، [471•] و أثبته في ثنايا تفسيره الأمر الذي أعانه على إجلاء دلالة ألفاظها .

ج – معرفة قراءاته

من العناصر التي يستعين بها المُفسر وهو يُفسِّر كلام الله التفاتته لسرد بعض القراءات[472•] التي اشتهرت بها هذه الآية عن سواها عند القرَّاء، و لعلَّ لهذه الإشارة الأثر البالغ و الفيصل في ضبط و تحديد معناها من خلال إشارته لتغير بناء الكلمة أو تغيُر حركتها الأمر الذي ينعكس على تبدُّل و تغيُر دِلالة اللفظ . [473•]

لقد التفت الزمخشري في تفسيره الكشاف لمثل هذه التخريجات كتلك التي خصَّ بها بداية سورة ﴿ طه ﴾ قوله: " أبو عمر؛ فخم الطاء لاستعلائها، وأمال الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل، والباقون أمالوهما، وعن الحسن – رضي الله عنه – : ﴿طه﴾، و فسر بأنه أمر بالوطء، وأن النبي– ﷺ – كان يقوم في تهجده على إحدى

• - و لأهمية الإشارة إلى سبب النزول في الإعانة على بيان المعنى و إجلاء دلالة الألفاظ يقول عمارة ناصر: " ظهر أنَّ فعل إيجاد المعاني داخل النَّص القرآني يتجدد بترميز المُعطى التاريخي (أسباب النُّزول) و حمل اللُّغة ببيانِها إلى خانة الرَّمز حيث الحقيقة مُعلَّقة بالإيمان كشرط للفهم ، و كشرط كذلك لتجويز العبارة من الوهم إلى الحقيقة. "

(- عمارة ناصر، اللُّغة و التأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي، ص108.)

• - لغة تعني: " قرأتُ الشيء قُرْءاناً: جمعتُهُ و ضممتُ بعضَه إلى بعض... و معنى قرأت القرآن لفظتُ به مجموعاً أي: ألقيتُهُ . "

(- ابن منظور، لسان العرب، 5/ 3563.)

و اصطلاحا تعني: " اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفية النطق بها، من تخفيف و تثقيل و غيرهما ".

(- السيوطي، البرهان في علوم القرآن، 1 / 318.)

• - و هو " المعنى الذي يُفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة و اللاحقة لها في العبارة أو الجملة، و يتمثل ذلك في العلاقات الصَّوتية و الصَّرفية و النَّحوية و الدَّلالية بين هذه الكلمات على مُستوى التَّركيب . "

(- عبد النَّعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء و المُحدثين – دراسة لغوية نحوية دلالية، الطبعة الأولى، 2007 م، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النَّشر الإسكندرية ، ص 33 .)

رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً وأن الأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال، ثم بنى عليه والهاء للسكت، ويجوز أن يكتفي بشرطي الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال إن " طاها " في لغة عك في معنى : يا رجل، و لعلَ عكا تصرفوا في: " يا هذا " كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في " يا " " طا" فاقتصروا على " ها " [474] مثل هذه القراءات في شأن الألفاظ القرآنية تُساعد على إجلاء دلالتها.

و مِمَا يقف عليه القارئ كنماذج في مجال اختلاف القراءات التي قد تكون عبارة عن إبدال حرف بآخر أو زيادته أو حذفه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾، [475] و من التعقيبات التي خصَت بها في مجال اختلاف القرَاء ما تعرض له القيْسي حيث قال: " و قوله: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قرأه حمزة و الكسائي بالتاء، ردًاه على المخاطبة في قوله: ﴿ تَزرَعُون و تأكُلون﴾، إذْ هو كُلُه جواب للمُستفتين عن عبارة الرُؤيا، فجرى الكلام على جوابهم و مُخاطبتهم،و قرأ الباقون بالياء،ردُوه على لفظ النَاس، لأنَهم غُيَب، و هو أقرب إليه من لفظ الخطاب،فحمل على الأقرب و هو الاختيار؛ لأنَ الأكثر عليه،" [476] فالمفسر حينما يُباشر تفسيره لآية قرآنية – إنْ تضمنت قراءات – ، فإنَه يستوقفنا لبسطها ثُمَ يُرجِّح القراءات بناء على ما سبقها من الألفاظ أو الدلالات، و لعلَ تركيزه على ذلك يُجلي دِلالة اللَفظ، فينكشف المعنى و يتَضح أكثر.

لقد أدرك المفسرون دور القراءة في تحديد المعنى و هو ما وقف عليه الطبري في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

---

474 - الزمخشري ،الكشاف، 4/ 63- 64.

475 - سورة يوسف، الآية 49.

476 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيْسي (355هـ 437هـ)، الكشف عن القراءات السبع و عِلَلِها و حِجَجِها تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة 1997م، 2 / 11.

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [477] حيث شخَّصَ اختلاف القُرَّاء و حدَّده في الفعل " أَمَرْنَا "، مِمَّا نقله لنا في هذا المجال قوله: " اختلفتْ القرأةُ في قراءة قوله:﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾،فقرأتْ ذلك عامة قرأةِ الحجاز و العراق:(أَمَرْنَا) بقصرِ الألف غير مدِّها و تخفيف الميم و فتحها، و إذا قرئ ذلك كذلك، فإنَّ الأغلب من تأويله: أمرنا مُترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، و خِلافِهم أمرَه، [478] فهو حينما يُحدِّدُ المجال القرائي المُختلفِ فيه يسعى إلى ضبط الدِّلالة بما وقف عليه القُرَّاء .

و نفس الآية وقف عليها القرطبي حيث حدَّد مواطن الاختلاف، و ما ترتَّب عليه من دلالات في قوله:" قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا ﴾ قرأ أبو عثمان النَّهديُّ و أبو رجاء و أبو العالية و الربيع و مجاهد و الحسن " أَمَّرْنَا " بالتشديد، و هي قراءة علي – رضي الله عنه –،أيْ: سلَّطنا شرارها فعصوْا فيها، فإذا علوا ذلك أهلكناهم، و قال أبو عثمان النَّهدي" أَمَّرْنَا " بتشديد الميم: جعلناهم أُمراء مُسلطين،و قاله ابن عزيز.

و تأمَّر عليهم : تسلَّط عليهم، و قرأ الحسن أيضاً و قتادة و أبو حيْوة الشامي و يعقوب، و خارجة عن نافع، و حماد بن سلمة عن ابن كثير، و عليٌّ، و ابن عبَّاس باختلاف عنهما " آمرنا " بالمدِ و التَّخفيف، أيْ أكثرنا جبابرتها و أُمراءَها قال الكسائي، و قال أبو عبيدة: آمرتُهُ بالمدِّ و أمرته، لغتان بمعنى: كثَّرته؛ و منه الحديث " خير المال مُهرَةٌ مأمورةٌ،أو سِكَّةٌ مأبورةٌ " أي: كثيرة النتاج والنَّسل..." [479]

---

[477] - سورة الإسراء، الآية 16.

[478] - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 15 / 527.

[479]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 13/ 45.

إنَّ سردَه لمختلف القراءات الحاصلة في الفعل " أَمرْنَا " يعكس دلالة مفادها أثر التنويع القرائي في توسيع المعنى، إذ كُلَّما تعدَدت القراءات فتح بذلك باب التنويع في التفسير (480•) الذي يتماشى و نصَّ الآية.

و بناء على ما وقفنا عليه في تفسير الآية التي وقف عليها القرطبي حيث أثبت لها من المعاني عدَّة نتيجة وقوفه على تنوع القراءات فيها، الذي بدوره وسَّع، و أثرى من تفسير الآية.

و من التفسيرات التي أقحم أصحابها ما له علاقة بعلم القراءات ما وقفنا عليه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾(481) فالخلاف بين المقرئين حصل حول لفظ "مقام "، و بالأخصِ في حركة الميم، فمنهم مَن فتحها، و منهم مَن ضمَها، و هو ما وقف عليه ابن عطية في تفسيره الذي جاء فيه: " و قرأ عبد الرحمن السلمي و حفص عن عاصم و محمد اليماني و الأعرج " لا مُقَامَ لكم " بضمِّ الميم، و المعنى لا موضع إقامة، و قرأ الباقون " لا مَقَامَ لكم " بفتح الميم بمعنى لا موضع قيام، و هي قراءة أبي جعفر و شيبة و أبي رجاء و الحسن و قتادة و النخعي و عبد الله بن مسلم و طلحة، و المعنى في حومة القتال و موضع المُمانعة . " (482)

إنَ تنوع القراءات للفظ الواحد من حيث بنائه أو حركته لم يخرج نصَّ الآية من معناها العام، و هو ما أطلعنا عليه القيسي حينما تعرَّض لقوله: ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ قرأه حفص بضم الميم، جعله اسم مكان على معنى: لا موضع قيام لكم، كما قال: ﴿ مقام إبراهيم ﴾"

• - و هي الحقيقة التي وقف عندها نبيل بن محمد في قوله: " و المفسرون – رحمهم الله – تلاقوا من حيث الأخذ بالقراءات في تفاسيرهم، و إيجاد المعاني المناسبة لهذه القراءات، و استفادتهم منها في مجالات كثيرة ."
(- نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، علم القراءات – نشأته – أطواره – أثره في العلوم الشرعية، تقديم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة السعودية، الطبعة الأولى 2000م، ص 364.)

481 - سورة الأحزاب، الآية 13.

482 - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمي بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م، 4 / 373.

البقرة 125" ، أي: موضع قيامه، و يجوز أن يكون مصدراً من "أقام" على معنى: لا إقامة لكم، و قرأ الباقون بفتح الميم، على أنَّ مصدر قام قياماً و مقاماً، و يجوز أنْ يكون أيضاً اسم مكان. " *(483)*

إنَّ تنوُّع قراءات لفظ "مقام" يفضي حتْماً إلى تنوُّع دلالته، و هي في الحقيقة لم تتجاوز حركاته فمن قراءة "مُقَام" بمعنى: موضع إلى قراءة "مَقَام" بمعنى: المكان، و قد ذهب إلى هذا المنحى الطاهر بن عاشور في قوله: " و مقام إبراهيم يطلق على الكعبة لأنَّ إبراهيم كان يقوم عندها يعبد الله تعالى و يدعو إلى توحيده، قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عذت بما عاذ به إبراهيم * مُستقبِلَ الكعبَةِ و هو قائم**

و بهذا الإطلاق جاء في قوله تعالى "مقام إبراهيم و من دخله كان آمناً" إذ الدخول من علائق البيت، و يُطلق مقام إبراهيم على الحَجَر الذي كان يقف عليه إبراهيم – عليه السلام– حين بنائه الكعبة ليرتفع لوضع الحجارة في أعلى الجدار ..." *(484)* فلفظ مقام في تفسير الشيخ أخذ معنييْن أحدهما : مطلق المقام و هو البيت، و المعنى الثاني خاص و المقصود به الحجر.

إنَّ البحث في مجال القراءة في القرآن الكريم فضاء رحب، و ما بينَّاه في شرحنا السابق في الحقيقة لا يُمثل إلاَّ النَّزر القليل، و لعلَّ ما نهدف إليه هو بيان أثر تنوُّع القراءات القرآنية في خروج اللفظ إلى دلالة أُخرى ذات صِلة مُحكمة بالنَّصِّ القرآني .

د– معرفة مجازه

---

[483] - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيْسي (355هـ 437هـ)، الكشف عن القراءات السبع و عِلَلِها و حِجَجِها تحقيق محي الدين رمضان، ص195.

[484] - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير،1/ 710.

الأصل في الألفاظ أن تؤدي وظيفة قد تُحصر في إجلاء المعنى المُبتغى من صاحبها، بتعبير حقيقي أوْ مجازي، فنفس اللفظ قد يُعبَّر به عن حقيقة ما، يخرج في استعمالات أخرى إلى التَّعبير المجازي، و كثيرون هم العلماء الذين خرجوا بلغة النَّصِ القرآني أثناء تفسيرهم إيَّاه إلى دلالات مجازية [485•] منهم الزَّمخشري في كشَّافه الذي ركَز فيه على الكشف عن المعاني المجازية لكثير من الآيات القرآنية، وهي الفكرة التي طرحها محمد عابد الجابري في قوله: " و الحقَّ أنَّ تأسيس البلاغة كعلم من العلوم العربية الإسلامية إنما يرجع الفضل فيه إلى المتكلمين الأوائل و خاصة المعتزلة، الذين كان عليهم أنْ يُواجهوا خصوماً (الزنادقة و الشعوبيين) الذين ركَّزوا على إنكار إعجاز القرآن ضداً على الإسلام والعرب جميعا، فكان لا بُدَّ من الكشف عن ((دلائل الإعجاز)) في الكلام العربي و بيان ((أسرار البلاغة)) فيه " [486] إنَّ المنحى المُتَّبع من قبل المتكلمين الأوائل في إقرارهم للمجاز مرجعيتُه الدِفاع عن الإعجاز القرآني و التَصدي لمن أنكروه بالكشف عن البيان الوارد في لُغة العرب .

• - و يعرف " بالمجاز في المفرد، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أوّلاً "

(السيوطي، الإتقان في علوم القران، 1 / 36 .)

ونعني به الأسماء و الألفاظ اللغوية المحولة من بيئة إلى أخرى كلفظ الأسد من الحيوان إلى الإنسان، و هذا يعد خروجا على ما وضعه اللغويون ففيه نخرج عن حقائق اللغة لا عن حقائق العقل " كما يأتي المجاز اللغوي في التركيب إذا استعمل لتركيب في غير ما وضع له، كقولك للحائر:مالي أراك تقدم رِجْلاً وتُؤخِّرُ الأخْرى، "

(- بدوي طبانة، علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية،1967م، ص152.)

فالجملة المركبة في المثال السابق مجاز لغوي مركب قد تُفسَّر بلفظ مفرد و هي كلمة "حائر ".

و منهم من أنكر عليهم ذلك كونهم يمجدون العقل الذي لا يُمكن في جميع الأحوال أن يأخذ بصاحبه إلى برِّ الأمان " ذلك أن أرباب الكلام قد عظموا العقل و ارتضوا أحكامه فيما لا يصلح أن يكون فيه حكماً، فقد كانوا يطرحون المسألة ، ثمَ يعرضونها على العقل – عقل الواحد منهم بالطبع- فيستجمع لها الأدلَّة كما يتراءى له لإثباتها على وجه من الوجوه ، و حين يصل إلى نتيجة و ينتهي إلى قرار يعمد إلى الأدلَّة السَمعية ، فيؤول منها ما لا يوافق نتيجته – إنْ كانت من آيات الكتاب– أوْ يردَّ الحديث بدعوى تناقضه مع العقل، أو أنَه مبنيٌّ على الظنَّ . "

(محمد العبده، المعتزلة بين القديم و الحديث، ص26.)

[486] - محمد عابد الجابري، التراث و الحداثة دراسات .. و مناقشات، ص151.

إنَّ المجاز اللغوي من هذا المنظور يؤدي جملة من الوظائف كلّها مشدودة بالعناصر اللغوية، فالجملة المجازية يمكن أن تؤول إلى كلمة، و بهذا يكون للمجاز اللغوي نطاق أوسع إذ يمكن من تركيب لغويّ أنْ نستخلص لفظا مفردا ...

هـ- معرفة إعرابه

لقد اهتمَّ المفسرون بعلم النحو لاعتبارات جمَّة منها أثر التفسير النحوي في بيان المعنى من خلال الكشف عن دلالة الألفاظ، و في هذا الباب يقول العكبري: " و أقْوَم طريق يسلك في الوقوف على معناه، و يُتوصل به إلى تبْيين أغراضه و مغزاه، معرفة إعرابه ..." *(487)* و للعلامة الإعرابية القدر من الأهمية في الكشف عن الدلالة، كونها تسهم مع باقي القرائن في بيان المعنى، و قد قرَّر ابن فارس هذه الأهمية بقوله: " من العلوم الجليلة التي اختصتْ بها العرب الإعراب، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، و به يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما فُتِّر عن فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد ..،" *(488)* فبعلم الإعراب يُمكن للواحد منَّا أنْ يُميِّز بين كثير من الألفاظ المُكونة للجملة به نعرف موقع اللفظ، فهذا مبتدأ، و ذاك فاعل، و هذا حال، و الآخر مفعول به، و بهذه المعرفة الإعرابية تتحقق دلالة اللفظ و هو في الجملة .

و من التفسيرات التي وقفت عليها للقرآن الكريم، و التي مال أصحابها إلى تتبُّع الجانب الإعرابي في اللفظ باعتباره يكشف عن الدلالة، و يُساعد على بلوغها ما وقف عليه الزمخشري في تفسيره للفظ " طه " قوله: " إن جعلت﴿ طه ﴾: تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها، وهي في موضع المبتدأ، و﴿ القرآن ﴾ ظاهر أوقع موقع الضمير؛لأنها

---

487 - العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في ميع القرآن، تحقيق: إبراهيم عطوة، طبعة مصطفى البابي الحلبي 1969م، ص3.

488 - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ص43.

قرآن، وأن يكون جواباً لها و هي قسم" [489] إنَّ هذه التفسيرات الثلاث للفظ " طه " تضع القارئ في جوً الفهم العميق لهذه البنية اللغوية ، فيمكنُنا ذلك من التَّمييز بين العناصر النحوية و هو ما رآه المبرد في قوله: " إنما كان الفاعل رفعًا والمفعول به نصبًا ؛ ليعرف الفاعل من المفعول، " [490] و لمَّا كان الفاعل في تعريفه النحوي يتميَّز عن المفعول به حتماً سيكون لاختلاف الحركة الإعرابية للفظ اختلاف في المعنى.

و من الآيات القرآنية التي تحكَّم الجانب الإعرابي في تحديد دلالة ألفاظها قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [491]، فالملاحظ للفظي: " اللَّهَ " و " الْعُلَمَاءُ " في الآية و المتأمل في الحركة الإعرابية لكلٍّ منهما لا يجد بُداًّ من الميل إلى تفسيرهما تفسيراً نحوياً، و هو ما وقفت عليه و أنا أبحث عن دلالتهما النَحوية التي جاء فيها " و قد قدَّم المفعول و هو لفظ الجلالة" اللَّهَ، " و أخَّر الفاعل " الْعُلَمَاءُ " لأنَّ المعنى: إنَّ الذين يخشون الله من بين عباده " الْعُلَمَاءُ " دون غيرهم .. أمَّا إذا قدَّم " الْعُلَمَاءُ " ، و أخَّر اسم لفظ الجلالة انقلب المعنى فيصبح: إنَّهم لا يخشون إلاَّ الله، وهما معنيان مُختلفان. " [492]

إنَّ للحركة الإعرابية الأثر البالغ في تحديد المعاني، و قد قرَّر ذلك الزجاجي بقوله: " إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ،فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافًا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جُعِلت حركات الإعراب فيها تُنبئ عن هذه المعاني، فقالوا : ضرب زيدٌ عمرًا ، فدلوا برفع " زيد " على أن الفعل له، وبنصب " عمرو " على أن الفعل واقع به. . .وكذلك سائر المعاني، جعلوا هذه الحركات

---

489 - الزمخشري ،الكشاف، 4/ 65.

490 - أبو العبَّاس المُبرد، المقتضب تحقيق: حسن حمد، وراجعه أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى1420هـ / 1999م ، 1/ 55.

491 - سورة فاطر، الآية28.

492 - بهجت عبد الواحد الشيخلي، إعراب القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى 1426 – 1427هـ / 2006م، 8 / 300 .

دلائل عليها ليتوسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني، [493] فلفظ " الله " في الآية ورد منصوباً، و هو بذلك يدلُّ على أنَّ فعل الخشية من العلماء الذي ورد مرفوعاً" العلماءُ " وقع عليه، فالحركة الإعرابية تحكمت في تحديد دلالة اللَّفظين .

و قد وقف الطبري في تفسيره لها حيث جاء " و قوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنَّما يخاف اللَهَ فيتَّقي عقابه بطاعته، العُلماءُ؛ بقدرته على ما يشاءُ من شيء، و أنَّه يفعلُ ما يُريدُ؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ ذلك، أيقن بعقابه على معصيته، فخافه و رهِبَهُ ؛ خشيةً منه أنْ يُعاقِبَه، " [494] فدلالة هذه الآية ظاهرياً يوحي معنى مُغايِراً تماماً لمعناها النَّحوي فموقع لفظ الجلالة " اللَّهَ " جاء مقدماً عن لفظ " الْعُلَمَاءُ. "

إنَ دلالة الجملة تتحدَّد كذلك بترتيب عناصرها الذي يحمل في ذاته دلالة ناتجة عن التفاعل فيما بينها، فيصبح لهذه العلاقة أثر في تبدَّل دلالة الألفاظ .

و – معرفة ناسخه و منسوخه

مِمَّا نقف عليه في ثنايا تفسير المفسرين بين الحين و الآخر إشاراتهم للناسخ[495•] و المنسوخ و هو في القرآن الكريم ثابت بقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ

---

493 - أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ، ص 69- 70.

494 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 19 / 364.

• - و يعني لغة " نسخ الشيء ينسَخُهُ نَسْخاً و انتسَخَهُ و استنسخَهُ : اكْتتَبَهُ عن مَعارَضَةٍ .

و النسخ: إبطال الشيء و إقامةُ آخرَ مُقامَهُ ؛ و في التنزيل " مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا." و الآية الثانية ناسخة، و الأولى منسوخة ... "
(- ابن منظور، لسان العرب، 6/ 4407.)
و اصطلاحاً: " هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، فالحكم المرفوع يُسمَّى (المنسوخ)، و الدليل الرافع يُسمَّى (النَّاسخ)، و يُسمَّى الرَّفع (النَّسخ) ، فعملية النسخ على هذا تقتضي منسوخاً و هو الحكم الذي كان مُقرَّراً سابقاً ، و تقتضي ناسخاً، و هو الدليل اللاَّحق ."

بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [496] و النسخ عند الإمام الغزالي " حدُّه أنَّه الخطاب الدَّال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً به مع تراخيه عنه، " [497] فالنَّسخ من هذا المنظور هو ما نقف عليه في القرآن الكريم من تغيُر في الحكم و استبداله بآخر لحكمة اقتضت ذلك، و الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [498] أن يطاع فلا يُعصى﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [499] نسختها الآية التي في التغابن﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا...﴾[500] و عليها بايع رسول الله- ﷺ - على السمع و الطاعة ما استطاعوا،[501] فالمتتبع لتفسير الآيتين يقف على حقيقة مفادها أنَّ ما جاء في فحوى تفسيرهما يوحي بمدى استعانة المفسر بقضية الناسخ و المنسوخ في تذليل دلالة "حَقَّ تُقَاتِهِ "، و "مَا اسْتَطَعْتُمْ ".

إنَّ تعقيب ابن كثير على الآية بنصِّ الحديث " أن يطاع فلا يُعصى .. " هو بمثابة شرح لها " و قد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زُبيد، عن مُرَة ، عن عبد الله قال: قال رسول الله - ﷺ - : ﴿ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾: أنْ يُطاع فلاَ يُعْصَى ، و يُشْكَرَ فلا يُكْفر ، و يُذكرَ فلا يُنْسَى" " [502] فحقيقة تقوى المؤمن لا يُمكن أنْ نُفسِرها إلاَّ إذا أحاطت دلالتها بمجالات التَقوى الواردة في الحديث، و المتمثلة في تجنُّب عصيانه، و وجوب شكره و المُداومة على ذكره، و هو ما لا يستطيعه كثير من خلقة .

(- قتادة بن زعامة السدوسي المتوفى 117هـ، الناسخ و المنسوخ في كتاب الله تعالى، تحقيق حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1985م، ص6.)

496 - سورة البقرة، الآية106.

497 - ابن حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى 1324هـ ، 1 / 107.

498 - سورة آل عمران، الآية 102.

499 - هي تتممة للآية 102 من آل عمران .

500 - سورة التغابن، الآية 16.

501 - قتادة بن زعامة السدوسي، الناسخ و المنسوخ في كتاب الله تعالى، ص38.

502 - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2 / 87.

" و قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ أيْ: جهدكم و طاقتكم ، كما ثبت في الصَحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم ، و ما نهيتكم عنه فاجتنبوه " [503]

من خلال شرحه للآية و تعقيبه عليها بنصِ الحديث تحققت دلالتها، وانكشفت معانيها .

إنَ تفسيره للآيتين وهو يجمع بينهما مُكتفياً في الأخير بالإشارة إلى أنَ الثانية نسخت الأولى هو بمثابة تذليل لدلالتها، و هو ما وقفت عليه في تفسير ابن كثير " قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدَثني يحيى بن عبد الله بن بُكيْر، حدثني ابن أبي لَهيعة، حدثني عطاء– هو ابن دينار– عن سعيد ابن جبير في قوله:﴿ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ قال: لما نزلت الآية اشتدَ على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم و تقرَحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، فنسخت الآية الأولى. " [504]

و من الآيات التي مسَها النسخ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [505] حيث نُسخت بقوله تعالى :﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [506]

إنَ دلالة العدد في الآيتين بمثابة تفسير للفظي " الصبر " و " الضعف " ، ثُمَ أنَ دلالة لفظ " الضعف " انكشفت أكثر باعتبار أنَ الآية التي احتوتها منسوخة، و هو ما أقرَه

---

[503] - المصدر نفسه، 8 / 140.

[504] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، 8 / 140.

[505] - سورة الأنفال، الآية 65.

[506] - سورة الأنفال، الآية66.

ابن عطية في تفسيره " قال القاضي أبو محمد: و هذا هو النسخ [507•] ؛ لأنَّه رفع حكم مستقر بحكم آخر شرعي ، و في ضمنه التخفيف، إذ هذا من نسخ الأثقل بالأخفَّ...قال مكِّي: و إنَّما هو كتخفيف الفطر في السفر و هو لو صام لم يأثم و أجزأه . " [508]

و عن كيفية التمييز بين الناسخ و المنسوخ و كيفية الاهتداء و التفريق بينهما قدَم لنا البغدادي جملة من العناصر رأيت أن أقف عندها في قوله: " الدلالة بين الناسخ و المنسوخ تكون على وجهين: لفظ و معنى، فاللَفظ على أقسام أحدها: أن يرد النَصُّ بأنَّ أحدهما ناسخ للآخر كقول عائشة : إنَّ الرَضعات العشر نسخن بخمس.

و منها أنْ يقترن بها لفظ يدلُ على أنَه ناسخ للأوَّل كقوله تعالى: (الآن خفَف الله عنكم) و قوله: ﴿ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة187 و قوله:(فإذا لمْ تَفْعلُوا و تابَ اللهُ عليْكِم) و منها أن نعلم نسخ الشيء بإيجاب ما يُضاده، و لا يصحُّ اجتماعه معه .

و منها أن يرد الشرع بأنَ أحدهما ناسخ للآخر مع إمكان الجمع بينهما لورود الخبر بأنَ آية الوصية للوالدين و الأقربين منسوخة بآية مواريثهم، " [509] فما وقفنا عليه في شأن تفسير الآيات المنسوخة استعانة المفسرين بلفظ صريح للدلالة على أنَّ هذه الآية منسوخة، الأمر الذي يُساعد على بيان دلالة ألفاظها .

• إلاَ أنَّ القرطبي استحسن التخفيف على النسخ حيث قال: " وروى أبو داود عن ابن عباس قال: نزلت: إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مائتين فشقَّ ذلك على المسلمين؛ حين فرض الله عليهم ألاَّ يفرَّ واحدٌ من عشرة، ثُمَّ إنَّه جاء التخفيف؛ فقال: الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ قرأ أبو توبة إلى قوله: مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ قال: فلمَّا خفَف الله تعالى عنهم من العدد، نقص من الصبر بقدر ما خفَّف عنهم ."

(- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 10 / 70.)

508 - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م ، 2 / 550.

509 - أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الناسخ و المنسوخ، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار العدوى عمان الأردن، د . ط – د . تا، ص261.

ز- معرفة غريبه

إنَّ الحديث عن الغرابة في الألفاظ هو العلم الذي يبحث في معاني الألفاظ القرآنية، و قد عُدَّ من أساسيات فهم الآية القرآنية ، إلاَّ أنَّ الحاجة إليه زادت حينما اختلط العرب بغيرهم من الأمم و أصبح اللفظ العربي *(510)* غير مفهوم بالفطرة نتيجة تأثر اللِسان العربي.

إنَ المتمعن لما صُنِّف من تفاسير في القرآن الكريم يقف على هذه الحقيقة التي تتأكد بأسلوب مباشر في بعضها و بأسلوب غير مباشر في بعضها الآخر، و معرفة غريب ألفاظ القرآن تتأكد فيما وقفنا عليه في تفسير المراغي حيث يتتبع المفردات الواردة في الآية بالشرح، ثمَ يخصُها بشيء من التحليل الذي يُسمِيه بالمعنى الجملي ليلحقها بشيء من الإيضاح، و من الأمثلة على ذلك ما وقفت عليه في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ *(511)* و من الخطوات التي يتبعها في التفسير يخصَّها أوَلاً بشرح المفردات قائلاً: " الأمَة الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم، و وحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص، و الخير ما فيه صلاح الناس في الدين و الدنيا، و المعروف ما استحسنه الشرع و العقل، و المنكر ضده، و ابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة، و اسوادها عبارة عن المساءة، و على هذا جاء قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ

• - و ليس المقصود بغرابة الألفاظ ما هو أعجمي من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم كما ادَعى رودي باريت حيث ردَّ عليه إبراهيم عوض قائلاً : " و من ذلك أن رودي باريت يفتي بأن كلمة "أمة"(بمعنى شعب) الواردة في القرآن ليست عربية الأصل منّ " أ م م" ولا علاقة لها ب " أمة" بمعنى (فترة من الزمن) .
و هذا تحكم غريب سخيف: - **أولا:**، لأنه لا دليل لباريت على ما يقول، وإنما هو مجرد كلام .
- **ثانيا:**، لأن هاتين اللغتين، مثل العربية، ساميتان وعلى هذا، فإن كان هنالك شيء مشترك بينهما وبين العربية ، فالأولى إرجاعه إلى ذلك الأصل السامي الذي إنشعبت منه هذه اللغات، **وثالثا:** إذا كان لابد من القول بالاستعارة فلماذا تكون العربية عند هؤلاء المستشرقين هي الآخذة دائما ؟ إن اللسان العربي القديم مِثله مثل سائر الألسنة السامية، ويزيد على معظمها بأنه لا يزال حيا، وفوق ذلك لم يتوقف استعماله منذ بدايته حتى الآن ."
(- إبراهيم عوض، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل و أباطيل، مكتبة البلد الأمين، الطبعة الأولى 1989م، ص187 – 188.)

511 - سورة آل عمران، الآية104.

بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [512] بالحق أي بالأمر الذي له ثبوت و تحقق و لا مجال فيه للشبهات، و الظلم لغة و عرفا وضع الشيء في غير موضعه، إما بنقصان أو بزيادة، و إما بعدول عن وقته أو مكانه " [513]، ثُمَ ينتقل مُعقِباً على شرح المفردات بإخضاع الآية إلى المعنى الجملي – كما يُسمِيه – حيث يقول: " أمرهم هنا بتكميل غيرهم من أفراد الأمة، و حثَهم على إتباع أوامر الشريعة، و ترك نواهيها، تثبيتاً لهم جميعاً على مراعاة ما فيها من الأحكام، و المحافظة على ما فيها من الشرائع و النواميس، و أن يكون في نفوس أفرادها من حب الخير و الحدب على ما فيه المصلحة لمجموعها ، ما يكون لحب الفرد لمصلحته، و بذا تكون بينهم رابطة تجمعهم في طلاب الخير لهم جميعا، حتى تكون الأمة كأنَها جسد واحد، " [514] كما يُعقب على المرحلتين السابقتين بالإيضاح و فيه يتبلور معنى الآية، و يتحدَد نحو قوله: " أيْ ولتكن منكم طائفة مُتميِزة تقوم بالدَعوة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و المخاطب بهذا هم المؤمنون كافة فهم مُكلَفون بأن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، وذلك بأن يكون لكل فرد منهم إرادة و عمل في إيجادها، و مراقبة سيرها على حسب الاستطاعة، حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافا أرجعوها إلى الصَواب ." [515]

إنَ مثل هذا المنحى المُتَبع من قبل صاحبنا في تفسيره للآيات يعكس مدى اهتمامه بالوحدات اللُغوية، و أثر تذليلها في توضيح المعنى.

ح- معرفة متشابهه

---

512 - سورة النحل، الآية58.

513 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى 1946م،4/ 21.

514 - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 4/ 21.

515 - المصدر نفسه، 4 / 22.

و بالمقابل للمحكم يتعين على المفسر معرفة متشابهه و " هو اللفظ الذي لم يتضح معناه لذاته، و لا توجد قرائن توضحه، و لم يرد عن الشارع دليل قطعي أو ظني يوضحه .

مثال ذلك: الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في قوله تعالى: (الم) (المر) (حمعسيق) (حم) (ص) (ق) (ن) فإنَ هذه الألفاظ لا توجد قرائن توضح المقصود منها، و لم يرد الشارع تفسير لها، " [516] و هو ما وقف عليه المفسرون للآيات المتضمنة لمثل هذه الألفاظ نحو قوله تعالى: ﴿ الم ﴾ [517] و مِمَّا وقفتا عليه كتفسير لها في تفسير البحر المحيط قوله: " فأما هذه الحروف المقطعة أوائل السور: فجمهور المفسرين على أنَها حروف مركبة و مفردة، و غيرهم يذهب إلى أنَّها أسماء عبَّر بها عن حروف المعجم التي ينطق بالألف و اللام منها في نحو قال و الميم في نحو ملك، و بعضهم يقول: إنَها أسماء السور قاله " زيد بن أسلم "، و قال قوم: إنَّها فواتح للتنبيه و الاستئناف ليعلم أنَّ الكلام الأوَّل قد انقضى، قال مجاهد: هي فواتح السور كما يقولون في أول الإنشاد لشهير القصائد، و قال الحسن هي أسماء السور و فواتحها، و قوم أنَّها أسماء الله أقسام أقسم الله بها لشرفها و فضلها ..و قوم: هي حروف متفرقة دلَت على معان مُختلفة ، و هؤلاء اختلفوا في هذه المعاني، فقال قوم: يتألف منها اسم الله الأعظم .. " [518] فمثل هذه الفواتح عدَّها المفسرون من المتشابه لاعتبار هو أنَ دلالتها غير مُتَّفق عليها، وقد فصل الراغب في شأن المتشابه، فقال " : والمتشابه من القرآن : ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء : المتشابه :ما لا ينبيء ظاهره عن مراده.

---

516 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، ص114 – 115.

517 - سورة البقرة، الآية1.

518 - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م، 1 / 156.

و يبقى المتشابه في نظر العلماء و الباحثين هو اللفظ المتميز بإخفاء دلالته لحكمة إلهية كامنة في استئثار الشارع لعلمه بها من جهة، و تعذر وجود قرينة تساعد على ذلك من جهة أخرى .

ط- معرفة إعجازه و وجوه بلاغته

و حتى يتموقع المفسر في معنى الآية أجمع العلماء على معرفة إعجازه و وجوه بلاغته، فكثيرة هي الألفاظ التي تؤدِي وظيفة بلاغية مغايرة في هذه الجملة لما أدَته في جملة أُخرى نتيجة اختلاف التأليف من جملة إلى أُخرى، " الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها، و يبقى ما تقتضيه الأحوال، محتاجا إلى ما يدل عليه " ***(519)*** و لمحمد زكي الدباغ وقفة في بيان الجانب الإعجازي المرتبط بالألفاظ، فحينما يعرض لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ***(520)*** تستوقفه كلمة الطين و يرى أنَ انتقاءها يشكل جانبا إعجاز يا، و يرى أنَ " الطين المشوي يُسمَى آجراً أو قرميداً بعد عملية صنعه، ترى هل ترى واحدة من الكلمتين في محلِ هذا التعبير العذب الصِياغة و الحكم و التركيب ؟ كما أنَ اللَفظ هنا قد استوعب معنى آخر فقد دلَ على أنَ الآجر غير موجود من ساعة الطلب و بهذا لفتة و إشارة إلى مدى حماقة فرعون و بطره و غروره إذ لم يقدر الزمن الكافي لعمل يحتاج إلى زمن طويل، ثُم الختم بكلمة الصَرح التي عبَرت عن عظم البنيان المطلوب و مدى تكبره و جبروته و خيلاءه." ***(521)***

519- ابن خلدون، المقدمة، ص 344 - 345 .

520 - سورة القصص، الآية38.

521 - مصطفى محمد زكي الدباغ ، وجوه من الإعجاز القرآني، الطبعة الأولى 1982م، مكتبة المنار الزرقاء الأردن، ص32.

إنَّ المتأمل لهذا التفسير يقف على حقيقة مفادها أنَّ للَّفظ الواحد أكثر من دلالة (522•) ، إلاَّ أنَّ دلالته تنحصر و تضيق حسب التأليف الذي جاء فيه اللَّفظ .

و من بيانه لإعجاز الألفاظ في القرآن تلك الوقفة التي وقفها محمد زكي عند قوله تعالى:﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (523) مُبيناً أثر لفظ أخفى في إعجازها، حيث قال: " قال أبو عبيدة : أخفيتُ الشيء أُخفِيه إخفاءَ إذا كتمته .

و أخفيت الشيء : أُخفِيه إخفاءَ إذا أظهرته .

و قال التوزي: خفيت الشيء و أخفيتُه: و أخفِيهِ بمعنى أظهرته و بمعنى كتمته.

و قال عبد الواحد اللغوي: أَخْفَيْتُهُ أخفِيه إخفاءَ هو الأكثر في معنى الكتمان .

و خفيتُهُ أَخفيه خفياً هو الأكثر في معنى الإظهار .

فالكلمة (أخفيها) تحمل المعنيين و هنا يبدو الإعجاز البلاغي باجتماع المعنيين و صدقهما في الكلمة الواحدة نفسها، فلشدَّة قرب يوم القيامة لا مجال لكتمها، و لا وقت طويل يحتاجه الكتمان .

كما أنَّه من جهة أُخرى فإنَّ يوم القيامة قريب و أوشك أنْ أَظهرها، فهي عمَّا قريب ستظهر ." (524)

إنَّ تفسيره للآية ارتكز على لفظ واحد، و هي ما تُعرف بالعلاقة بين الدلالة و السياق وهو ما تعرَّض له في قوله: " إنَّ مهمة السيمانتيك في الدَّرس اللغوي الحديث

• - و لم يعُد فعل التَّفسير محصوراً في الدَّلالة اللَّفظية للوحدات اللُّغوية، بل تجاوزه عند كثير من المُفسرين حيث نظروا بعمق إلى ما له علاقة بالعنصر البياني و ربطوا الكثير من التَّفسيرات بما له علاقة بالنَّحو و البلاغة، و هو ما عناه عمارة ناصر بقوله: " إنَّ الفرق الحاصل بين لُغة القرآن و لُغة الفهم (التفسير) ازداد اتِّساعاً مع الزَّمن، و أصبحت اللُّغة التفسيرية غير قادرة على استيعاب المعاني التي تتشتت عقب كلِّ خروج دلالي عن الخطِّ البياني الذي ترسمه نحوية و بلاغية النَّص القرآني "
(- عمارة ناصر، اللُّغة و التأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي، الطبعة الأولى 2007م ، دار الفارابي بيروت لبنان، ص100.)

523 - سورة طه، الآية15.

524 - مصطفى محمد زكي الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، ص32.

البحث في المعاني ومشكلاتها، غير أنَّ بعضهم يحدّد وظيفته بالبحث في معاني الألفاظ المفردة على مستوى المعجمات و ما إليها." [525]

و كيف كان لتتبُّع دلالته الأثر في الكشف عن معناها، حيث تعامل مع المعنييْن، وربطهما بالوظيفة البلاغية .

ي- تفسير الآيات المطلقة

مما وقف عليه علماء التفسير ضرورة مراعاة الآيات المتضمنة للألفاظ المطلقة باعتبار أنَّ المقصود بالمطلق " هو الكُلِّي الذي لم يدخله تقييد، فلذلك لا يكون إلاَّ نكرة لشيوعها، ولم يقترن به ما يدلُّ على تقييده بصفة من الصفات أو شرط من الشروط فألفاظه تدلُ على فرد أو أفراد غير معينة مثل:

رجل و رجال، و كتاب و كتب و طائر و طيور و حيوان و حيوانات، " [526] فمن مُميزات الألفاظ المطلقة أنَّها ترِدُ نكرة، و الأمثلة عنها في القرآن الكريم كثيرة ، و من الآيات المجسدة للحكم المطلق قوله تعالى: ﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [527]

إنَّ المتتبع لتفسيرها يقف على ما أورده الطبري في قوله:"﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾ فلم يَخْصُصْ بعضَ معاني الخير دون بعضٍ، و جمعُ الصَومِ مع الفدية من تطوُّعِ الخيرِ، وزيادةُ المسكين على قدر قوت يومه من تطوُّع الخيرِ. " [528]

---

525 - كمال محمد بشر، دراسات في علم اللُّغة، القسم الثاني، ص 12 .

526 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، ص89.

527 - سورة البقرة، الآية184.

528 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 3/ 186.

إنَّ دلالة الألفاظ المطلقة الواردة في الآية دلَّت على عدم التقييد، و إطلاقها دون تخصيصها باعتبار أنَ معاني الخير و أبوابه متعدِّدة.

ك- تفسير الآيات المقيدة

و المقيَّد في الحكم تحمله ألفاظ محدَّدة نتيجة اقترانها بألفاظ تُحاصرها و تقيِّدها في الدَّلالة، و من خلال مفهوم المُقيَّد " الذي دخله تقييد، و لو من بعض الوجوه كالشرط و الصفة و غير ذلك، و مثاله: رجل مؤمن، و رجال مؤمنون، و كتاب كريم، و كتب قيِّمة، و طائر جريح و طيور جارحة و حيوان ناطق و حيوانات أليفة ، فهذه ألفاظ تدلُّ على فرد أو أفراد غير معينة و لكن اقترن بها لفظ يدل على تقييدها بصفة من الصفات " ***(529)*** يتضح لنا أنَّ اعتمادها يخدم وظيفة حيث يُحدِّدُ المعنى و يضبطه أكثر، و من الآيات المجسدة للحكم المقيَّد قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ ***(530)*** فالمقيد ورد في صيام شهرين متتابعين، و قد فسَرها ابن عاشور في قوله: " و قوله " فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ "وصف الشهران بأنَّهما مُتتابعان و المقصود تتابع أيَّامهما، لأنَّ تتابع الأيَّام يستلزم توالي الشَّهرين ." ***(531)***

إنَّ التَفسير الوارد من لدن المُفسِّر لما يتضمنه من ألفاظ مُقيَّدة حتماً ينجرُّ عنه ضبط الألفاظ الدَالة على معاني مُحدَّدة .

---

529 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، ص89.
530 - سورة النساء، الآية92.
531 - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 5 / 162.

ل- تفسير الآيات ذات الحكم العام

و من الألفاظ الواردة في الآيات ما يؤدِي إلى معنى الحكم العام، و مِمًا يُمكن للقارئ الوقوف عليه في هذا المجال قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ

وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [532] و المفسرون حينما تعاملوا معها راعوا بذلك دلالة مثل هذه الألفاظ، و لعلَ المقصود بالعام " هو اللفظ الموضوع لمعنى واحد ليشمل جميع الأفراد التي يصدق عليها معنى هذا اللفظ من غير حصر في عدد معين .

...فلفظ (كلُ شيء) في قوله تعالى: ﴿ و الله بكل شيء عليم ﴾ لفظ عام يشمل جميع الأشياء دون أن يخرج فرد منها، و دون أن تكون محصورة في عدد معين " [533] و القرطبي في تفسيره يقول: " ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: يُخبرهم بأعمالهم و يُجازيهم بها .

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ من أعمالهم و أحوالهم، " [534] و حينما عقَب على دلالتها ربط علم الله بالآية السابقة، و اكتفى بذكر أعمالهم و أحوالهم أيْ: إنَ الله عالم بكل ما يصدر عنهم من أعمال، و أحوال .

إنَ المتتبع لعملية التفسير يستقرُ رأيُه على أنَها ترتكز ارتكازا وثيقاً على دعامة الألفاظ، و الحقيقة التي يُمكن أنْ نستخلصها من هذا العمل هو أنَ المُفسرين نظروا

---

[532] - سورة النور، الآية 64.
[533] - عبد الفتاح أبو سِنَة، علوم القرآن، ص95.
[534] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 15 / 363.

إليها من زاوايا مُتعدِّدة – كما تمَّ تبين ذلك – باعتبار أنَ اللَّفظ يُؤثر و يتأثر في حوالية الكلام، لذا امتازت تفسيراتهم بالتقارب نتيجة مُراعاتهم للضوابط المبيَّنة أعلاه، و قد يقع الاختلاف في بعض التفريعات التي يُمكن إرجاعها إلى منهج المُفسِّر الذي يسير عليه و حتمية الدفاع عليه .

لقد ركَّز الشرَّاح و المُفسرون على عمليات أخرى أثناء تأملهم في النَّص القرآني، و ذلك قصد الإحاطة بدلالة ألفاظها و بلوغ المعنى الذي يقترب أو ينسجم و الإطار العام للآية، حيث ركَّز كثير من المتأملين للنُصوص القرآنية على ما يُعرف بالتأويل، فما هي حقيقة التَّأويل المُعتمدة في النَّص القرآني ؟

و ما هي عناصره ؟

بين المعنى الظاهر و التأويل

لقد فرَّق علماء اللُّغة بين المعنى الظاهري و المعنى الباطني للَفظ الواحد، وهو ما يُسمَى بالمعنى القريب و المعنى البعيد، كما فرَّقوا " بين التفسير و التأويل، بناء على الاعتماد على النقل و العقل .

فعنوا بالتفسير ما اعتمد عليه في النقل مما ورد عن رسول الله– ﷺ – و الصدر الأول، و بخاصة في الأمور التوقيفية التي ليس للعقل فيها كبير مجال، كتفسير الحروف المقطعة: الم، حم، يس، و كأسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ.

و عنوا بالتأويل ما يُعتمد فيه على الاجتهاد، و يتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ، و مدلولاتها في لغة العرب و استعمالها...المتصوفة حيث لجؤوا إلى التأويل مما أدى إلى الخروج باللغة عن دلالتها المعروفة أو الخروج بالنصّ القرآني عن حقيقة معناه " [535] .

و في هذا الشأن يقول الهادي الجطلاوي موضحاً العلاقة بين التفسير و التأويل [536] " إنَّ التَّفسير غير التَّأويل و أنَّهما مرحلتان في الشَّرح مُختلفتان متكاملتان سابقة هي التَّفسير و لاحقة هي التَّأويل: أمَّا التَّفسير فكأنَّ مُهمته مُقتصرة على تبيين الوظيفة الإفهامية للكلام، و هي وظيفة أساسية في الكتابة العلمية، و إذا بالخطاب العلمي يُفسر و لا يُؤول، و أمَّا في الخطاب الأدبي و الإيديولوجي فلا يُمثل التَّفسير إلاَّ الشَّرح المتعلق بالمعنى الحرفي الواضح في المهمة الإخبارية في النّصّ، و المُفسر في هذا المستوى من التَّحليل، مُكتف بالنَّص مُتأمل في بنيته و لغته مُعرض عمَّا سوى ذلك، " [537] فالتَفسير من هذه الرُؤية لا يتعدَّى حدود النَصّ، و المُفسِرُ فيه لا يُبالي بما هو خارج عن لُغته و تراكيبه، و الأصل في التَبيين و التَوضيح أوَلاً يرجع للتَفسير، ثُمَ نرتقي في شأن العملية لبلوغ مُستوى التَأويل، [538] و المقبول منه الصحيح الذي يُحمل فيه اللَفظ على غير ظاهره " مع احتماله له بدليل يعضده، و إنما قلنا (حمل اللفظ على غير مدلوله)؛ احتراز عن حمله على نفس مدلوله، و قولنا (الظاهر منه) احتراز عن صرف اللفظ المشترك من احد مدلوليه إلى الآخر، فانه لا

---

[535] - يوسف خليف، دراسات في القرآن و الحديث، دار غريب للطباعة، د . تا، ص138.

• - و في تعريف التأويل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، و إن وافقه ظاهره، و هذا هو المعنى المراد بلفظ التأويل في الكتاب و السنة "
(- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة السعودية ، 1416هـ - 1995م، الطبعة الثانية، 3 / 67.) فهو يؤكد - رحمه الله - أن التأويل حقيقة الكلام .
و يقول شارح الطحاوية: " التأويل في كتاب الله و سنة رسوله - صلى الله عليه و سلم - هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام؛ فتأويل الخير هو عين المخبر به؛ و تأويل الأمر :نفس الفعل المأمور به ."
(- ابن أبي العزّ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الألباني المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة التاسعة 1409هـ - 1988م، ص232.)

[537] - الهادي الجطلاوي، قضايا اللُّغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، ص 27.

• - " فهو كالنقد الداخلي له، والتفسير له كالنقد الخارجي، لأن الألفاظ المؤولة تكاد تكون أحيانا رموزا في حاجة إلى معرفة ما وراءها بنفاذ الإدراك،وسعة الأفق الذهني، لذلك لم يظهر التأويل إلا في مرحلة نمت فيها الثقافة وازدهرت ،فكان متأخرا عن التفسير في الظهور."
(- التهامي نقرة، الاتجاهات السنية و المعتزلية في تأويل القرآن، ص 19 .)

يسمى تأويلا، و قولنا (مع احتماله له)؛ احتراز عما إذا صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إلى ما لا يحتمله أصلا، فانه لا يكون تأويلا صحيحا. " *(539)*

و من الباحثين مَن يرجع أصل نشأة التأويل إلى عنصرين: " أولاهما غرابة المعنى عن القيم السائدة، القيم الثقافية و السياسية و الفكرية، و ثانيهما بثّ قيم جديدة بتأويل جديد، أي: إرجاع الغرابة إلى الألفة، و دسّ الغرابة في الألفة، " *(540)* فالعملية التّأويلية تنشأ كنتيجة حتمية عن اللاّأقلمة بين معنى النّصّ و القيم السّائدة بمختلف أشكالها، و هو ما قصده سلقرمان الذي رأى أنّه " يحدث التأويل و الاستنطاق في فضاء الاختلاق حيث يكون إنتاج المعنى الخطابي متخلخل المركز و ناشئًا عن الممارسة . " *(541)*

إنّ تجلّي الاختلاف في فهم العبارة *(542•)* بين العلماء يؤدي حتما إلى بلوغ عملية التأويل، ولو عدنا إلى أحد التفاسير المبكرة والمعتمدة كتفسير الطبري لاتّضح بجلاء أن التربة الفكرية التي نزل فيها القرآن كانت مؤهلة لاستثارة مشكل التأويل، فقد اختلف المسلمون الأوائل (السلف) في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ *(543)* على رأيين: واحد يقصر معرفة تأويل القرآن على الله تعالى، ولا يشرك معه أحداً في العلم بذلك التأويل، وأما الثاني فيشرك مع الله الراسخين في العلم من العلماء، " و كأن تكيف الفلسفة مع مقتضيات سيادة العلم الحديث و سعيها لاكتساب

---

539 - علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص 65 - 66.

540 - محمد مفتاح، النّصّ: من القراءة إلى التنظير، تقديم أبو بكر الغزاوي، ص 68.

541 - ج . هير سلقرمان، نصيات من الهرمنيوطيقا و التفكيكية، ترجمة: حسن ناظم و علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي المغرب، ص 59 .

• - و الذي عكسه المحكم، و يُعرف بكونه:" اللفظ الدال على المعنى المتبادر منه، و المقصود من سوق الكلام دون أن يحتمل تأويلا و لا تخصيصاً و لا نسخا في حياة النبي – صلى اله عليه و سلّم- و لا بعد وفاته "
(- عبد الفتاح أبو سِنّة ،علوم القرآن، ص107.)

543 - سورة آل عمران، الآية 7.

المشروعية المعرفية التي تمكنها من الاستمرار في الحضور ضمن مصنف المعرفة الحديثة اقتضى تحول الفلسفة إلى فلسفة اللغة، فتحليل اللغة هو الطريق إلى تحليل العقل (أو طريقة التفكير) البشري ذاته، " [544] فتزدهر العملية التَّحليلية مِمَّا يُفضي بأصحابها إلى بُلوغ نظرة جديدة في شأن النَّصَّ المُحلَّل، و في هذا الصَّدد " قال أبو العباس أحمد بن يحي في قوله – عزَّ و جلَّ –:﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً...﴾[545] قال: هذا نهي، و تأويله: الجزاء و العذاب إذا نزل عمَّ، فقال : الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً. " [546]

و ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف حينما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾ [547] هو المعنى نفسه الذي أقرَّهُ بشيء من التخصيص؛ لأنَّ طبيعة النصَّ القرآني تقتضي ذلك فقال: " (الحنث) الذنب العظيم " ومنه قولهم: بلغ الحنث أي: الحُلم، ووقْت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف برَّ فيها، ويقال: تحنَّث، إذا تأثَّم وتحرَّج، " [548] وهو في تفسيره للآية، وبعد ضبط معناها يخرج إلى سرد بعض المعاني للكلمة من باب لإلمام اللغوي .

وقد عقب على هذه الظاهرة أحمد خليل حينما تعرض لدراسة منهج المعتزلة في التفسير قائلا: " ولمَّا كان التأويل عند المعتزلة يحتاج إلى الكشف عن الدلالات الأولى ثم الدلالات الثانية لانتهاء التأويل إليها، فقد وجَّهوا همّهم إلى البحث عن أساليب التَّجوز في القرآن، وكان المثل لمنهجهم تفسير الزمخشري: والدارس لهذا التفسير يرى فيه كثيرا من الإضافات لعلم البلاغة فضلا عن أن صاحبه أحسن تطبيق نظرية النظم كما وضعها

---

544 - محمد سبيلا و عبد السلام الغالي، اللغة، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، دار تريفال للنَّشر الدار البيضاء - المغرب - الطبعة الرابعة، 2005م، ص 6 .

545 - سورة الأنفال، الآية 25.

546 - أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب (200هـ - 291هـ)، مجالس ثعلب شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1960م، 1 / 38 .

547 - سورة الواقعة، الآية 46 .

548 - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة بيروت لبنان ،د – ط . د- تا، 4 / 59 .

عبد القاهر في كثير من الدقة والأصالة و الرؤية النافذة لجوانب المعاني التي يدلُّ عليها النّص القرآني " [549].

وكان الزمخشري يحاول بلوغ مقصده، وذلك من خلال قيامه بسرد جملة من المعاني بناء على سياقات مختلفة بغية الإحاطة بمعنى النص، و توفيته حقّه، وقد خالف ابن قيم الجوزية منحى المعتزلة في التأويل، ورآه مخالفاً لحقيقة الشرع في قوله: " والرأي المتضمن تعطيل أسماء الرَّبِّ، وصفاته، وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع، والضلال من الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، ومن ضاهاهم، حيث استعمل أهله لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رُوَّاتها، وتخطيئهم، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى ردِّ ألفاظها سبيلاً " [550]، وهو من هذا المنطلق يؤمن بقصد المعنى، فالألفاظ غير مقصودة لذاتها وإنما للمعاني، وهو ما يجسد فكرة وضوح المعنى التي قد يؤدِّيها اللفظ من خلال حسن انتقائه وربطه بغيره من العناصر لتأدية المعنى المراد .

فالتأويل منه ما يأتي بمعنى التفسير، و منه ما يأتي بمعنى الحقيقة و المعنى الثالث للتأويل " و قد ورد عند المتأخرين من المتكلمين و الأصوليين و هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله لوجود دليل يقترن به يمنع من إجراء ظاهر اللفظ، و هذا النوع هو الذي استخدمته المعتزلة – بمعناه في صرف آيات الصفات و استعمله أكثر المتأخرين في تأويل نفس الآيات .

و هذا المعنى للتأويل– و إن لم يرد اصطلاحا في كتابات المعتزلة – إلا أنهم قد جروا عليه في تأويل آيات الصفات و صرفها عن ظاهرها زاعمين أنَّ قرينة التنزيه هي

---

549 - السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة العربية بيروت، لبنان 1969م، ص122.

550 - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، تقديم وتعليق، محمد المعتصم بالله البغدادي،الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ،1425هـ/ 2004 م، ص63 .

التي توجب عدم أخذ تلك الآيات على ظاهرها، و إلاَّ وقعنا في التشبيه ! " [551] فالألفاظ لوحدها كمادة خام قد نُحسن انتقاءها واختيارها، ولكنَّها غير كافية إذا لم تجد طريقها إلى المعنى المقصود مِمَّا يؤثر سلبا في عملية التواصل بين الأطراف.

إنَّ الذي يتعامل مع ألفاظ اللُّغة العربية و هي في النَّصِّ القرآني يتحتمُ عليه الرُّجوع إلى ما قيل فيها لمعرفة أهمِّ دلالاتها، الأمر الذي يُؤهله لأنْ يقف على ما يخدم معناها باعتبار أنَّ اللَّفظ قد يخرج إلى تأدية أكثر من دلالة، لِذا من الباحثين مَنْ رأى أنَّ " العلاقة بين العبارة و الإشارة هي العلاقة بين الظاهر والباطن فظاهر العبارة هو ما تدل عليه من حيث وضعية اللغة، و الإشارة هي باطنها من حيث هي لغة إلهية وإذا كان أهل الظاهر يتوقفون عند العبارات و معانيها التي تعطيها فرضية اللغة الوصفية فإن العارفين ينفذون إلى ما تشير إليه العبارة من معان وجودية و إلهية، أي ينفذون إلى باطنها الروحي العميق كما عبروا من مظاهر الصور الوجودية الحسية إلى معانيها الروحية الباطنية .

إن الفارق بين ظاهر العبارة وباطنها الإشاري الرمزي هو الفارق بين اللغة الإنسانية و اللغة الإلهية التي تتجلى في القرآن كما تتجلى في الوجود، " [552] و في هذا المقام فرَّق الذهبي بين المعني الظاهر و المعنى الباطن و يرى " أنَّ الظَّاهر هو المعنى اللُّغوي المجرد، و الباطن هو المعنى الذي يفهم من اللفظ، كما يأخذ منه أنَّ المعاني الظاهرة أمر عام يعرفها كل من يعرف اللسان العربي، أمَّا المعاني الباطنة فأمر خاصٌّ يعرفه أهل الله، " [553] و تبقى دلالة الألفاظ في القرآن الكريم تحتاج إلى استجلاء باطنها الذي لا يُمكن بلوغه إلاَّ بالتقرب إلى الله و التَّمعن في معناه لِذا حصر هذه المعرفة الباطنية على فئة خاصَّة، " فالمعنى ضالَّة المُفسر و المُؤول [554•] كليهما، و الطريق في شرح النَّص الديني أنَّ المعنى المطلوب يجب أن لا يكون إلاَّ المعنى الذي أراده اللَّه

---

551 - محمد العبده طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم و الحديث، الطبعة الأولى 1987م، دار الأرقم، ص93.

552 - نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند محي الدِّين بن عربي -، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الخامسة، ص268.

553 - محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية 1976م، 2 / 381.

• - إلاَّ أنَّ هذا الهدف المنشود ينبغي أنْ يتمَّ من خلال " التفاعل بين المؤول و النص، و لكن نتيجة هذا التأويل تقدمها طبيعة النص و طبيعة الإطار العام للمعارف الموسوعية لثقافة ما، و في جميع الحالات، فإن هذه النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم، فبإمكان المؤول أن ينظر إلى أي ملفوظ نظرة استعارية . "
(- أُمبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات و التفكيكية، ترجمة و تقديم سعيد بفكراد، المركز الثقافي العربي المغرب الطبعة الأولى، 2000 م، ص 160.)

صاحب الكلام (555•) "(556)، و عليه فقد ضبط الشنقيطي التأويل في ثلاث حالات" :

1- أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله،- ﷺ - فهذا تأويل صحيح مقبول لا نزاع .

2- أن يكون صرف اللَفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده الصارف دليلا، و هو في نفس الأمر ليس بدليل ، فهذا تأويل فاسد (557•).

• - و في هذا المقام بيَنَ ابن تيمية أنَهَ مهما ارتقى المُؤول مِمَا أفهمه الله إلاَ أنَ جانباً كبيراً من كلام الله يبقى تأويله لا يعلمه إلاَ هو حيث قال : " التأويل الذي اختص الله به، غير بيان المعنى الذي أفهمه خلقه، فما كان مشتبهًا لتنافي الخطابين أو الدليلين في الظاهر، فلا بد من التوفيق بينهما، كما فعل أحمد وغيره .

وما كان مشتبهًا لعدم الدلالة على التعيين، فقد نعلم التعيين أيضًا؛ لأنه مراد بالخطاب، وما أريد بالخطاب يجوز فهمه، وما كان مشتبهًا لعدم الدلالة على القدر المميز كما في صفات الله تعالى، فهنا دال القدر المميز ما دل عليه الخطاب، وهو تأويل الخطاب؛ لأن تأويل الخطاب لا يجب أن يكون مدلولا عليه به، ولا مفهومًا منه، إذ هو الحقيقة الخارجة، ومتى دل عليها ببعض أحوالها، لا يجب أن يكون قد بين جميع أحوالها، فذاك هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، ومنه أيضًا مواقيت الوعيد، فإن الخطاب لم يبينها، ولا يفهم منه، وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه ."

(- ابن تيمية، المسودة، جمعها أحمد بن محمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد محي الدين دار الكتاب العربي بيروت، د . تا، ص163.)

و من القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) آل عمران7.

وللآمدي في كتابه أصول الأحكام تفسير جدير بالتنويه هذا نصَهُ: " الاختلاف بالوقف و الابتداء في الآية فرع الاختلاف في المراد بالمتشابه و بتأويله، و الجميع من اختلاف التنوع لا التضاد ، فان أريد بالمتشابه حقيقة الله و كنه صفاته و كنه الروح و نعيم الجنة....إلى أمثال ذلك مما اختص الله بعلمه، كان تأويله بمعنى ماله و حقيقته التي لا يعلمها إلا الله، و عليه يكون الوقف على لفظ الجلالة، و تكون الواو للاستئناف، و الجملة بعدها اسمية و إن أريد بالمتشابه ما اشتبه معناه و حفي على بعض الناس ، كان تأويله بمعنى تفسيره، و عليه يكون الوقف على لفظ العلم، و تكون الواو عاطفة، و جملة "يقولون" حال من قوله " و الراسخون" و التقدير و ما يعلم المعنى المراد من الآيات المتشابهة إلا من انزلها و إلا الراسخون في العلم قائلين :آمنا به كل – من المحكم و لمتشابه-من عند ربنا ،فليس في الآية تردد يوجب الإجمال، و يمنع من الاعتقاد ما دلت عليه و العمل به، كما هو الشأن في الإجمال ، بل التخيير بين قراءتين لكل منهما معنى صحيح "

(- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص، 13- 14.)

556 - الهادي الجطلاوي، قضايا اللُغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، ص 33.

• - يقول عمر سليمان الأشقر: " قد يقال: إن بعض معاجم اللغة العربية تذكر أن بعض التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به كما يقول الأصوليون؛ أشار إلى ذلك ابن منظور و غيرهما فكيف تزعمون أن العرب لا تفقه من كلامها هذا المعنى .

و الجواب أن هذا المعنى دخل على معاجم اللغة العربية المتأخرة نقلا عن استعمالات الفقهاء و الأصوليين لا نقلا عن كلام العرب الذي يحتج به، يدل على صحة هذا القول أن معاجم اللغة العربية المتقدمة أمثال تهذيب اللغة للأزهري و مقاييس اللغة لابن فارس وهما مما دون في القرن الرابع الهجري لم يشيرا إلى هذا المعنى الذي ذكره الفقهاء والأصوليون مما يدل على انه معنى اصطلاحي خاص بهم فلا يجوز حمل ألفاظ القرآن عليه وعلى فرض أن التأويل في لغة العرب هو هذا المعنى الذي أورده الأصوليون فان المؤولين للنصوص لم يلتزموا بالشروط التي وضعها الأصوليون لجواز التأويل ولذا لا يخرج تأويلهم عن التحريف. "

3- أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لا لدليل، فهذا لا يسمى تأويلا في الاصطلاح، بل هو تلاعب بكتاب الله و سنة رسوله – ﷺ – ." (558)

لقد نحا المفسرون و تتبعوا في تفسيراتهم ما له علاقة بالتأويل المقبول، و الذي من نتائجه أنْ " نقف على الكثير من المشكلات التي تكون قد استعصت على التحليل و التفسير و نصِلُ إلى البُنى العميقة في النَّصِّ، " (559) و هو ما تجلَّى في تخريجات العلماء و استنباط ما لها علاقة بالجوانب اللُّغوية كتلك التي أشار إليها الطَّبري حينما تعرَّض لقوله تعالى:﴿ وَ اعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾،(560) حيث خصَّ بشيء من التحليل و التركيز مع الترجيح قصد تبليغ دلالة الألفاظ المفتاحية في قوله عزَّ من قائل: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ فتوقف عند ما هو ظاهر قريب، و ما هو باطن بعيد للفظين من خلال عرضه لأكثر من رواية في شأن دلالة الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، فعرض المعنى الأول و هو الجار الذي بينك و بينه قرابة معتمدا في بيان ذلك على أدلَّة من كلام العرب، ثمَّ يعرض الرأي الثاني، و يسعى إلى تمحيصه الذي يتجلَّى في قوله : " قال أبو جعفر : و هذا القول قول مُخالفَ المعروف من كلام العرب(561•) ، و ذلك أن

(- عمر سليمان الأشقر، أسماء الله الحسنى و صفاته في معتقد أهل السنة و الجماعة، دار النفائس عمان الأردن، الطبعة الرابعة 1419هـ - 1999م، ص198.)

558 - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الفكر بيروت لبنان 1416هـ - 1995م، 1 / 190.

559- حمروش إدريس، التَّأويل في النَّحو العربي موقف القدامى و المُحدثين، مجلة منتدى الأستاذ دورية أكاديمية مُتخصصة مُحكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة - الجزائر، العدد الأول، أفريل 2005 دار الهدى، عين مليلة، ص 107.

560- سورة النساء، الآية36.

• - حيث رأى محمد مفتاح أنَّه " إذا كانت الظواهر أو الأفعال أو ضروب السلوك لا تتلاءم مع ما يَسْتَبْطنه من معارف و عادات وأعراف، فإنه يلجأ إلى عملية تأويل الظواهر أو ضروب السلوك أو الأفعال، ليجعلها منسجمة مع معارفه الخلفية."

(- محمد مفتاح، النَّصَّ: من القراءة إلى التنظير، تقديم أبو بكر الغزاوي، شركة النشر و التوزيع – المدارس – الدار البيضاء الطبعة الأولى 2000م، ص67.)

كما يرى قادة عقاق أنَ " التأويل ينبغي أنْ يكون مُؤطرا ضمن شروط مُعيَنة، أقلُّها مُراعاة حيثيات النَّص واحترام سياقاته المعرفية و الجمالية. "

(- قادة عقاق، هوية النَّص الأدبي بين انضباط التفسير و مغالات التأويل، مجلة مطارحات في اللغة و الأدب، معهد الآداب و اللُّغات المركز الجامعي غليزان – الجزائر -، العدد الأول نوفمبر 2009م ، ص06.)

الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ الجار دون غيره، فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة، و لو كان معنى الكلام كما قال ميمونُ بنُ مِهرانَ، لقيل: و جارِ ذي القربى، و لم يقل ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾، فكان يكون حينئذ إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة – الوصية بين جار ذي القرابة دون الجار ذي القربى، و أمَّا ﴿ وَالْجَارِ﴾ بالألف و اللام، فغير جائز أن يكون ﴿ ذِي الْقُرْبَى ﴾ إلاَّ من صفة الجار و إذا كان كذلك، كانت الوصية من الله في قوله ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ ببرِّ الجَارِ ذِي الْقُرْبَى، دون جارِ ذي القرابةِ، و كان بيِّناً خطأُ ما قال ميمون بنُ مِهران في ذلك." *(562)*

و هو في تفسيره لذي القربى يستمر في عرض الآراء حيث يقف على دلالة مغايرة للأولى و الثانية و يحصرها في الإسلام، ثمَّ يُعقِّب عليها بقوله: " ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ المسلم، و هذا أيضاً ممَّا لا معنى له، و ذلك أن تأويل كتاب الله تبارك و تعالى غير جائز صرفه إلاَّ إلى الأغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن المعروفِ فيهم، دون الأنكر الذي لا تتعارفه إلاَّ أنْ يقوم بخلاف ذلك حُجَّةٌ يجب التسليم لها، و إذا كان كذلك، و كان معلوماً أنَّ المُتعارف من كلام العرب، إذا قيل : فلان ذو قرابة، إنَّما يعني به أنَه قريب الرَّحِمِ منه دون القُربِ بالدين – كان صرفه إلى القرابة بالرَّحِمِ، أولى من صرفه إلى القربى بالدين . " *(563)*

إنَّ اجتهاده في بيان دلالة " الجَارِ ذِي الْقُرْبَى " جاءت كنتيجة لتتبع دلالتها من كلام العرب المعروف، فالمُتمعن لتفسيره يستنْبط اعتماد شيخنا على خطوات ركَّز من خلالها على كلام العرب الغالب في الاستعمال؛ لأنَه نزل بلسانهم، و حتَّى يبلغ المفسر ثقافة في هذا المجال تُؤهله لفهم القرآن وصل الأمر بالإمام ابن عطية الأندلسي إلى القول: "

---

562 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، 7 / 7.

563- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن 7 / 8- 9.

كتاب الله لا يتفسَّر إلا بتصريف جميع العلوم فيه،" [564] ولعلَّ أهمها في فهم كتاب الله هي علوم اللغة، الأمر الذي دفع بالمسلمين إلى الاهتمام بها منذ القدم .[565•]

إن مثل هذه الأمثلة في هذا المنحى المُجسد لاعتماد المفسرين على كلام العرب في تحقيق عملية التفسير يمكن الوقوف عليه في كثير من وقفات المفسرين، فالمتأمل لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [566] يستشف تلك الخطوات المُعتمدة من السيوطي حيث روى أنَّه " أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: بِعِجْلٍ حَنِيذٍ قال: نضيج، و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله " حنيذ " يعني مشوي، وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: "بعجل حنيذ " قال: سميط .

وأخرج الطستيُّ عن ابنِ عباسٍ، أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله – عزَّ وجل – : " بعجل حنيذ " .

قال: الحنيذ النضيج، ما يشوى بالحجارة، قال: وهل تعرف العرب ذلك قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر وهو يقول:

لهُم راحٌ و فارُ المِسكِ فيهم * و شاوِيهم إذا شاءُوا حنيذُ**

وأخرج ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، أبو الشيخ، عن الضحاك في قوله : بعجل حنيذ . قال: الحنيذ الذي أُنضِجَ بالحجارة، و أخرج أبو الشيخ عن شِمْر بن عطية قال: الحنيذُ

---

[564]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م، 1 / 35 .

• إلاَّ أنَّ من العلماء مَن يرى أنَّ دلالة اللَّفظ "- التي ترد في النُّصوص الشَّرعية – إذا عُرف معناها من جهة الرَّسول فلا ينبغي طلب معنى لها من اللُّغة، فإنَّ المعاني الشَّرعية أوْلى ما تُفسّر به الألفاظ الشَّرعية. "
(- أحمد بن صالح الزهراني، شرح ألفاظ السلف و نقض ألفاظ الخلف في حقيقة الإيمان، ص 44 .)

[566]- سورة هود، الآية69.

الذي قد شُوِيَ و هو يسيل منه الماء، " [567] فتتبُّعه للفظ حنيذ عند العرب، و وقوفه عند مختلف دلالاته يوحي بأهمية العنصر اللُّغوي في تحقيق عملية التفسير و قد يرتكز في بيان المعنى على ما هو لُغوي أو غيره باعتبار أنَّ " اللَّفظ، و إنْ كان مُقترناً بما هو لُغوي، يُجاوِزُ في الوقت ذاته في استخدامه و دلالته، داخل التُّراث حُدُود ما هو لُغوي دلالي إلى ما هو (تصْويتي سمْعي إيقاعي)، كما أنَّ المعْنى و إنْ لازَمَ الظَّاهرة اللُّغوية، فإنَّه يُجاوزها إلى غيْرها من الظَّواهر الإدراكية و التَّواصلية الأخرى، أيْ يُغطِّي عُمُوم الظَّاهرة السيميوطيقية و يُجاوِزُها أيْضاً بما هو فعالية إدراك و تأْويل من ناحية، و بما هو فعالية إبداع

تبدع الظَّاهرة السيميوطيقية ذاتها و لا تكف عن إبداع دلالات جديدة من ناحية ثانية، " [568] فالألفاظ في التَّفسير من منظور طارق النَّعمان لا يتقيدُ في بيان دلالتها، و هو المنحى الذي ذهب إليه محمد مفتاح حيث جسَّدت فكرته انقسام المُتعاملين مع اللُّغة، فمنهم مَنْ يعتبر اللُّغة تعبير عن الواقع الخالص، و منهم مَن يرى فيها القابلية للتَّأويل[569•] و هو ما وقفنا عليه في قوله: " هناك اتجاه منطقي و لساني يُحاول أن يعتبر اللُّغة تعبيرا عن الواقع الخالص؛ و لذلك فهو يرفض التراكيب المجازية و اللُّغة الميتافيزيقية كما هو شأن الوضعية المنطقية و بعض الأنحاء

---

567 - جلال الدين السيوطي، الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ،2003م ، 8/ 89- 90.

568 - طارق النَّعمان، اللَّفظ و المعنى بين الايديولوجيا و التَّأسيس المعرفي للعلم ، مكتبة الأنجلو المصرية 2003م، ص 8 .

• - الذي من " شروطه أن يكون الناظر المتأول أهلا لذلك، و أن يكون اللفظ قابلا للتأويل بان يكون اللفظ ظاهرا فيما صرف عنه محتملا لما صرف إليه، و أن يكون الدليل الصارف للفظ مدلوله الظاهر راجحا على ظهور اللفظ في مدلوله ليتحقق صرفه عنه إلى غيره، و إلا فبتقدير أن يكون مرجوحا، لا يكون صارفا و لا معمولا به اتفاقا. "
(- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص 67.)
و لإنجاح عملية التأويل و بلوغ تمامها اشترط محمد العبده أنْ " يكون المعنى الجديد مُحتملا، و أنْ يكون اللَّفظ المؤول قابلاً لاحتمال هذا المعنى، فمثلا من التَّأويلات الفاسدة قول بيان بن سمعان أنه هو المقصود في قوله تعالى :(هذا بيان للنَّاس) و كذلك من قال في قوله تعالى: (و اتَّخذ الله إبراهيم خليلاً) أي فقيرا لعدم صحَّة المعنى بهذا الشكل . "
(- محمد العبده . طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم و الحديث – دراسات في الفرق، دار الأرقم برمنجهام ، الطبعة الأولى 1987م، ص95.)

التوليدية، [570•] و هناك من يعتبر اللغة مصدرا للالتباس و لتشويه الواقع و للتدليس على الناس؛ و لذلك فإنَّ تعابيرها قابلة لتأويلات عديدة لا حصر لها، و من مُمثلي هذا التيار التفكيكية، و تعددية القراءة و تشييديَّة المعنى، " [571] و لعلَّ من نتائج هذه التأويلات ما يقع على المُتلقي، " و هي وضعية ينفض منها المؤلف يده؛ لأنَّه غير مسؤول عنها قد ولّدها لقاء الأثر بالمتلقي عبر فاعلية التَّأويل. " [572]

إنَّ الذي ينبغي على المؤول التحرز منه مراعاة المتلقي باعتباره غريقاً و على المُؤول أنْ يُحسن إمالته و كسبه حتَّى لا تنزلق عملية التَّأويل و تخرج عن مرادها باعتبار أنَ " من المعاني يخفى على العقل، فاحذروا من يأخذ الظاهر فيجعله في حدِّ الباطن بتأويله له، أو يحتكم بظاهر على معنى هو خفيّ، فلمَّا قال: ﴿ الرَّحمنُ على العرشِ استوَي﴾ كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة معان: معنى الرَّحمن، و معنى استوي، و معنى العرش، فأمَّا الرحمن فمعلوم لا خلاف فيه و لا كلام، و أمَّا العرش فهو في العربية لمعان فأيُّها تُريدون، و كذا استوي عليه، يحتمل خمسة عشر معنى في اللُّغة، فأيُّها تُريدون ؟ و أيُّها تدعون ظاهراً منها ؟ " [573] مثل هذه التَّساؤلات في شأن التَّأويل تُقحم المُؤوِّل في انتقاء المعاني للوحدات المستهدفة بالشَّرح، فيجتهد بناء على معالم في الميل إلى معاني دون غيرها، و قد تعرَّض الشيخ اطفيش للتَّأويل عند الخوارج، وسمَّاه بزلل الخوارج حيث " عموا عن منهج الحقّ بتأويل قوله تعالى حكاية عن

• - " اعتبار اللغة وسيلة الكشف عن الفكر مُسلَّمة لدى الفلاسفة الإسلاميين، ولم يكن بدَّ للُّغة من أن تتنزل في هذا التصور منزلة الحامل للمعنى كالمشير الذي يومئ إلى الشيء أو الصوت الحسي الظاهر الدال على المعنى العقلي، ذلك أنَّ التَناول المنطقي للظاهرة وضع الفلاسفة في إطار التركيز البديهي على المعنى إذْ لولاه لما كان هناك تلفظ، و لانعدم بذلك سلوك لغوي، فإذا انضاف إلى ذلك كون التناول الفاحص للغة أوْ الألفاظ ليس إلاَّ من توابع البحث في المنطق أو الفكر "

(- الأخضر جمعي، اللفظ و المعنى في التفكير المنطقي و البلاغي عند العرب، منشورات اتَّحاد كتاب العرب، دمشق 2001م، ص129.)

571 - محمد مفتاح، النَّصّ : من القراءة إلى التنظير، تقديم أبو بكر الغزاوي، ص75.

572 - مونسي حبيب، فلسفة القراءة و إشكالية المعنى، دار الغرب للنَّشر و التَّوزيع وهران 2002م، ص 287 .

573 - ابن العربي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية، تحقيق: عمَّار طالبي، الشركة الوطنية للنَّشر و التَّوزيع 1981 م، الجزء الثاني العواصم من القواصم، ص 289 .

نوح– عليه السلام –﴿ و لا يَلِدُوا إلاَّ فاجِراً كفَّاراً ﴾ [574] النَّاشئ منه عن طول الاختبار لقومه بمكثه الطويل حتى لم يرج منهم خيراً، فكلّ مولد لهم لا يبلغ التَّمييز حتَّى يندمج في تلك الأوساط الشَّريرة الفاجرة و يؤول إلى كفران نعم الله، و عصيان نبيِّه– ﷺ –و لم يكن دعاؤه إلاّ بعد أن أخبره الله بأنَّه لا يولد منهم مؤمن عندما أراد الله إنفاذ حكمه و قضائه الذي لا مردَّ له. " [575]

إنَّ الأصل في تأويلها ما جاء في تفسير القرطبي: " يقول تعالى ذكره مُخبراً عن قيل نوح في دُعائه إيَّاه إلى قومه: إنَّك يا ربِّ إنْ تذرِ الكافرين أحياءً على الأرض، و لم تُهلكهم بعذاب من عندك، يُضلُّوا عبادك الذين قد آمنوا بك، فيصدُّوهم عن سبيلك، و لا يلِدوا إلاَّ فاجراً في دينك، كفَّاراً لنِعمتِك،" [576] فالملاحظ لتأويل القرطبي يستخلص أنَّه اعتمد في ذلك على حمل اللفظين الواردين في الآية " فاجراً " و" كفَّاراً " على التأويل الأقرب إلى الإقناع باعتبار أنَّ لفظ " الفجور" و " الكفر" في القرآن لازما في كثير من المواقف جانب العقيدة، مع خروج لفظ " الكفر " لتأدية معنى النعمة .

و من التأويل ما يعتمد فيه صاحبه على القياس، و هو ما اعتمده ثلَّة من العلماء" و أما قوله عزَّ وجلَّ:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ [577] وإنكارهم قول من يقول جعلت لفلان ودا بمعنى وددته فإنهم قد غلطوا في تأويل هذا الكلام، وذهبوا عن المراد فيه، وإنما المعنى أن الله سيجعل لهم في قلوب المؤمنين،

---

574 - سورة نوح، الآية 27 .
575 - أبو إسحاق إبراهيم إطفيش، النَّقد الجليل للعتب الجميل، مكتبة الضامري للنَّشر و التَّوزيع، الطبعة الأولى 1993 م، ص 33 - 34.
576 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، 23/ 307
577 - سورة مريم، الآية 96.

أي يخلق لهم في صدور المؤمنين مودة، ويغرس لهم فيها محبة، كقوله عز وجل:﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ...﴾ *(578)* أي خلق." *(579)*

و حتَى تتضح لنا معالم عملية التأويل استوقفتني خطاطة ابن رشد التي تتبع فيها العناصر الآتية :

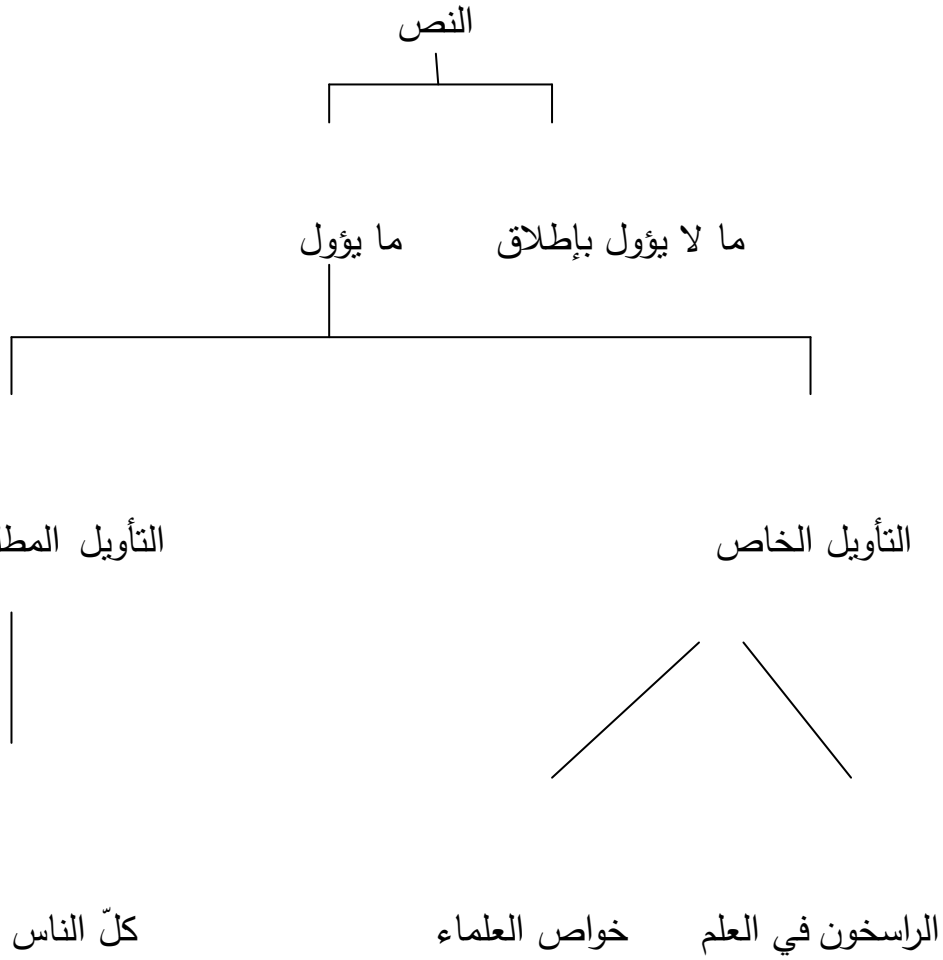

(شكل 1) [580]

578 - سورة النحل،الآية 72.

579 - الرّماني و الخطّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 45.

ليس بالضرورة كُلُ ما هو وارد في النَص مستهدف بالتأويل، فمن الوحدات اللُغوية التي لا تحتمل التأويل و منها ما يمكن تأويله، كما أنَ عملية التأويل متفاوتة، و بين الإحاطة بعلم الله و إتيان تأويله يقول تعالى:﴿...وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ *(581)* و مِمَا جاء في تفسير الزَمخشري لها قوله: " و لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي: عاقبته، حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق ؟، يعني أنَه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز نظمه، و من جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب، فتسرَعوا إلى التَكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه و بلوغه حدَ الإعجاز، و قبل أنْ يخبروا أخباره بالمغيبات و صدقه و كذبه ..." *(582)* و من التَعقيبات التي وقفت عليها في شأن هذه الآية ما جاء به ابن تيمية حيث " فرَق بين الإحاطة بعلمه و بين إتيان تأويله، فتبين أنَه يمكن أن يُحيط أهل العلم و الإيمان بعلمه، و لمَا يأتهم تأويله، و أنَ الإحاطة بعلم القرآن ليست إتيان تأويله، فإنَ الإحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التَمام، و إتيان التَأويل نفس وقوع الخبر به، و فرَق بين معرفة الخبر و بين المُخبر به، فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن، و معرفة المُخبر به هي معرفة تأويله ." *(583)*

و قد تتحكم في دلالة الألفاظ و إبانة معانيها أحد حروفها، وهذا ما أورده ابن جني في مُصنفه حينما تعرَض لقوله تعالى:"﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ *(584)* أي: تُزعجهم و تُقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزاّ، و الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللَّفظان لتقارب المعنيين، و كأنَّهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة لأنَّها أقوى من

---

580 - محمد مفتاح، التلقي و التأويل مقاربة نسقية، ص 220.
581 سورة يونس، الآية 39.
582 - الزمخشري، الكشاف، 3 / 138.
583 - تقي الدين أحمد بن تيمية، الإكليل في المتشابه و التأويل، تعليق محمد الشيمي شحاتة، دار الإيمان للطبع و النشر و التوزيع 2002م، ص21.
584 - سورة مريم، الآية 83 .

الهاء، و هذا المعنى أعظم في النُّفوس من الهزّ، لأنَّك قدْ تهزّ ما لا بال له كالجذع وساق الشَّجرة ونحو ذلك. " [585]

إنَ مثل هذه التخريجات في بيان دلالة الألفاظ مكَّن المُفسر من بيان المعنى الإجمالي للآية و في هذا المقام بالذَّات يرى ابن تيمية أنَّ المُؤوِّل، و هو يتعامل مع الألفاظ ينبغي أنْ يتقيَّد بمُهمَّة قال فيها :" و المتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللَّفظ للمعنى الذي ادَّعاه، و بيان الدليل الموجب [•586] للصرف إليه عن المعنى

الظاهر...،" [587] فالعملية التأويلية من منظور ابن تيمية حاصلة لا محالة إلاَّ أنَه يترتب على المُؤول أنْ يلتزم بالأمانة العلمية المُجسَّدة في ضبط الدلالة، و الحرص على أسلوب الإقناع و التَّعليل لماذا هذا التَّأويل دون غيره، و هو ما نحاه حينما ركَّز على اللَّفظ الذي ينبغي أنْ تُفكَّ دلالته و تُبيَن و هو: " تَؤُزُّ " .

لقد تتبَّع في بيان دلالته ما يُعرف بالتبرير الصَّوتي للفظ باعتبارهما حرفان حلقيان فيقع التبادل بينهما، و معنى " أَزّ " هو" هزّ " و لم يكتف بإيراد دلالتها بل بيَّن سِرَّ توظيفها عن سِواها و المتمثل في ملائمة لفظ " أَزّ " لما له بال و " هزّ " لما لا بال له كالجذع و غيره ...فبمُجرَّد بيانها يتجسَّد معنى الآية و يتَّضح، و هي النَّظرة التي اعتمدها السكاكي في البديع اللفظي و هو يتعرَّض لتفسير لفظ " تؤزُّ " بمعنى " تهزُّ " حيث قال: " و هو تشابه الكلمتين في اللفظ، و المعتبر منه في باب الاستحسان عدة أنواع منها: التجنيس المضارع أو المطرف و هو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب

---

585 - ابن جنّي، الخصائص، ص 146 .

• - و هو ما يُمكن أنْ نلتمسه في تأويل المبرِّد قوله : " و مِمَّا و قَعَ كالإيماء قولُ الفرزدق :

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا و قَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَاب المُنْزَلُ

فتأْوِيل هذا أنَّ بيْتَ جريرٍ في العرب كالبيت الواهن الضَّعيف، فقال: و قضى عليك به الكتابُ المُنْزل: يُريدُ به قوْلَ اللَّه تبارك و تعالى:(وَ إنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ) العنكبوت الآية 41.

(- أبو العباس محمد بن زيد المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت 2004م ،1 / 26 – 27 .)

587 - تقي الدين أحمد بن تيمية، الإكليل في المتشابه و التأويل، ص27- 28.

المخرج، كقولك الحرف الواحد : دامس و طامس، و حصب و حسب، و كثب و كثم، و في الحرفين كقولهم : ما خصصتني، و إنما خسستني. " *(588)*

مثل هذه التأويلات لا تدع إلى الحيرة و الشكّ في شأن ما ذهب إليه المُؤوِّل، فالمُرتكز الذي استند إليه معالمه ثابتة و يمكن للمؤوِّل أن يجد له تبريراً .

و مِمَّا لا يحتمل التأويل المحكم، و قد عرّفه أبو سنَة و ضبطه في:" اللفظ الدال على المعنى المتبادر منه، و المقصود من سوق الكلام دون أن يحتمل تأويلا و لا تخصيصاً و لا نسخا في حياة النبي – ﷺ – و لا بعد وفاته. " *(589)*

إنَّ الآيات المحكمة تتضمن حكماً قطعياً، و المتأمل لآيات المحكم يقف على بناء لفظي لها يمتاز بالبعد عن التأويل الأمر الذي يُساعد على ضبط المعنى، و من الآيات المجسدة للمحكم قوله تعالى:﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ *(590)* و في تفسير ابن عطية لهذه الآية المحكمة نستشف عنصر الإحكام في ضبط معناها من خلال اعتماده رواية سبب نزولها حيث جاء في قوله:" روي أنَّ رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله – ﷺ – أمّ سلمة بعد أبي سلمة و حفصة بعد خُنيْس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا، و الله لو مات لأجلنا السهام على نسائه فنزلت الآية في هذا، و حرَّم الله تعالى نكاح أزواجه بعده و جعل لهنَّ حكم الأمهات " *(591)*

---

588 الإمام سراج الملة و الدين يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي(المتوفى سنة 626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه نعيم زرزو، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1989م، ص429 .

589 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، ص107.

590 - سورة الأحزاب، الآية53.

591 - ابن عطية (القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي– ت 546هـ)، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق: عبد السلام عبد الشَّافي محمد، 4 / 396.

إنَ المُحكم من القرآن هو ما يُعرف بالقطعي إذْ لا اجتهاد في تفسيره، و بالتَّالي فهو لا يحتمل التأويل لذا فالملاحظ لتفسيره لا يقف على ما يتعارض و فهمه لنصِّ الآية .

مِمًا تتبعناه من دلالات الألفاظ عند المفسرين، و التي جاءت نتيجة حرصهم على بلوغ الدلالة التي تفي بالغرض التي وردت فيه اللَّفظة من خلال ربط الألفاظ بجملة من القضايا و الظواهر، كتلك التي شرحناها و بيَّنَّاها منها الاستعانة بمأثور القول من كلام العرب شعره و نثره، و معرفة سبب النزول مع ربط دلالة اللَّفظ به؛ لأنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ...

و الحقيقة التي ينبغي الوقوف عليها في شأن دلالة الألفاظ أنَّها غير محصورة في عنصر واحد، الأمر الذي يُساعد على ترقيتها في المجال الدَّلالي و توسعها إلى أكبر عدد مُمكن من الدَّلالات، و هو ما وقفنا عليه في علاقة الألفاظ بالتفسير و التأويل.

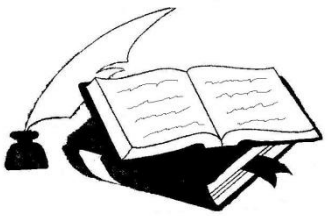

الفصل الرابع :

الألفاظ بين دلالة المعجم و دلالة السياق

الألفاظ بين دلالة التفسير و دلالة السياق

أثر القرينة في تحديد الدلالة السياقية عند المفسرين

قبل التَّوسِّع في هذا المبحث الذي فيه سنتعرَّض لدلالات الألفاظ بين المعجم و التفسير مع ربط ذلك بما له علاقة بدلالة السياق، و ذلك تنفيذاً لمِا عنْونَّا به بحثنا هذا و المتمثل في جزئه الثاني " المنهج السياقي " الذي من خلاله سُنسقط ما توصلنا إليه في مجالي دلالة الألفاظ في المُعجم، و في التَّفسير على ما هو قائم في السياق بغية معرفة وضعه عند علماء اللُّغة و التَّفسير.

إنَّ الذي اعتمدناه بصريح اللَّفظ في كثير من الوضعيات هو النَّظرية السِّياقية باعتبارها أعمَّ و أشمل، و ما المنهج إلاَّ طريقة به تُبلَّغ الأفكار و النظريات، و ما تمَّ الوقوف عليه في شأن العلاقة بين النَّظرية السياقية و المنهج السياقي هو أن هذا الأخير يساهم في مُعاينة " النَّصَّ من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النَّفسي، و تُؤكد على السياق العام لمؤلفه أو مرجعيته النفسية، و منها التاريخي و الاجتماعي و النفسي، و هي دعوة ضمنية إلى الإلمام بالمرجعيات الخارجية مع تحفُّظ على الدخول في النَّصَّ من خلال تلك السياقات المحيطة بالمبدع، " [592] و لمَّا كان تعاملي مع الألفاظ وفق هذا المنحى آثرت أن يكون العنوان كذلك.

الألفاظ بين دلالة المعجم ودلالة السياق

إذا كانت الألفاظ في اللغة تخضع لمبدأ المواضعة والاصطلاح، فإنَّ الذي نجده في المعجم اللغوي لا يُجسد كلَّ الدلالات، وإنَّما هو حصر للألفاظ التي استعملت لتأدية دلالات، وبما أنَّ من وظيفة المعجم ملاحقة الألفاظ وتقييد دلالاتها باعتبار أنَّ " الدلالة

592 - بسام قطوس، الدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى 2006م، ص21.

المعجمية المجردة ليست هي كلَ دلالة الكلمة، وليست هي الدلالة الأدبية التي تحمل عنصر التأثير النَفسي للكلمة بما تثيره من أحاسيس وما تلفت إليه من آفاق،"[593]؛فمفهوم الدلالة من هذه الزاوية يُخرج الألفاظ من القوقعة والانحصار إلى إمكانية تبنِّيها لدلالات جديدة، وهذا ما يجعل من حركية الألفاظ تأخذ انفتاحاً شمولياً يؤهل من واقع اللُّغة أنْ يأخذ توسّعاً في مبدأ الاستعمال والوظيفة معاً.

وقد التفت ابن خلدون للوضعية التي بدأتْ بها اللُّغة حيث خصّها بقوله: " لمّا فسدت ملكة اللِّسان العربي قي الحركات المُسمّاة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثمَ استمرَ ذلك الفساد بملابسة العجم ومُخالطتهم، حتّى تأدّى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستُعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هُجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية،فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين." [594]

لقد حرص المعجميون على ضبط دلالة الألفاظ استنادا لِما قالته العرب، وبذلك تكون أمهات المعاجم العربية قد قدّمت خدمة جليلة للُّغة، حيث حفظت جوهرها من الضياع .

والجدير بالذِّكر أنَ اللفظ في المعجم متعدّد الدلالة، وهي الحقيقة المُثبتة والقائمة في المعاجم التي تتعامل مع المدخل المعجمي باعتباره مُفردة، لذا أقرَ البحث في هذا المجال على أنَ " الكلمة المفردة، والتي هي موضوع المعجم، تشير إلى غير معنى وهي مفردة، " [595] وهو ما يُمكن لمتصفِّح المعاجم العربية أن يلْمسه في كثير من الشروحات نحو مادة: قزَ " القزز: الرجل الظريف المتوقي للعيوب...

وقال ابن الأعرابي رجل قُزاز: متقزز من المعاصي و المعايب ...

وقال الليث: قزَ الإنسان يقزَ قزاً إذا قعد كالمستوفر، ثمَ انقبض ووثب ...

---

593 - هادي نهر، علم اللُغة الاجتماعي عند العرب، ص85.
594 - ابن خلدون، المقدمة، ص567.
595 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص9 .

وقال أبوزيد: القزازة: الحياء، يقال رجل قَزٌ من رجال أقزَاء..." [596] فالمعاني التي جمعها الأزهري للفعل " قزَ " تمتاز كغيرها بتنوُع الدَلالة، ووِفق هذا الحال تتموقع الألفاظ في المعاجم العربية،والحقيقة أنَ معاني الألفاظ لا تنكشف " إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية،أي وضعها في سياقات مختلفة ...فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى،وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أوتحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها .."[597]

إن مُحاصرة الألفاظ في المعجم وتتبع دلالاتها المختلفة يفيدنا في معرفة أشهر هذه الدلالات، فدلالة لفظ " قُزاز" جاوز المعنى الواحد بين الظرافة والسلامة من المعاصي، فهيئة الإنسان أثناء الجلوس إلى إفادته لمعنى خُلق الحياء، الأمر الذي يُثبت حكم الكلمة في المعجم واعتبارها صورة قد تتحول في أيَ لحظة – نتيجة الاستعمال – إلى حقيقة مُجسَدة، هذا فضلاً عن " تقدم النظام الاجتماعي وتطور مختلف فروع الإنتاج وتطور الثقافة المادية بشكل عام والفكرية المتقلبة والعلم والفن ومع تقدم العلاقات التي بين الأمم نلاحظ من جهة اندثار بعض الكلمات التي أضاعت معناها تماشيا مع اختفاء لمفاهيم التي كانت تحددها من جهة أخرى وهذا أكثر شهودا ألاحظ ظهور كلمات علامات جديدة لها أهميتها في تحديد تمثلات جديدة ومفاهيم جديدة تشكلت في الحياة اليومية بواسطة المستعملين للُغة المُعطاة." [598]

---

596 - الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم العرباوي، عبد السلام هارون، عبد العظيم محمود، عبد الله دردیش، مراجعة محمد علي النجار باب القاف والزاي ،8 / 261.

597 - أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ص 68 – 69 .

598 - « l evolution du system social .le dévloppement de diverses branches de la production. Le dévloppement en général de la culture matérielle et spirituelle _de la technique de la science de l art .l evolution des rapports entre les peuples _ nous observons d une part la disparition de certain mots qui perdent leur sens à mesure que les notions qu'ils désignent disparaissent .

d'autre part_et ceci bien plus fréquemment encore _nous observons l'apparition de mots_signes nouveaux.necessaires pour designer de nouvelle representations et de nouvelle notion .élaborées dans la vie quotidienne par les utilisateurs d'une langue donnée »

وهي الصَّورة التي اتَّضحت لعلماء العربية قديماً، ورأوا أنَّ الألفاظ لا تتفاضل فيما بينها من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمات مفردة، ولكن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وتُسايرها العلاقة القائمة بين مُختلف الألفاظ التي تليها أو تسبقها لتأدية معنى مُعيَّن، [599] لذلك ركَّز المُعجميون في شرح المداخل على إيرادها في جملة مُستعملة،وذلك قصد بيان الاختلاف الدَّلالي للفظ الواحد الذي فصل فيه مجال الاستعمال، وهو ما أشار إليه الباحث في قوله:" ولو لم تكن المعجمية صامتة في ذاكرة المجتمع أو بين دفتي المعجم لكانت بالضرورة منطوقة على ألسنة المتكلمين، فالفرد يُحوِّل الكلمة من الصورة إلى الحقيقة الحسية، سمعيا أو بصريا، ويُحوِّلها من الإفراد، وهو طابع المعجم، إلى السياق الاستعمالي، وهو طابع الكلام فالفرق بين الكلمة واللفظ هو الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة والكلمة وحدة من وحداتها صامتة، والكلام، واللفظ جزء من نسقه محسوس. " [600]

ممَّا هو مسلَّم به أنَّ الكلمة في المُعجم تأخذ دلالات واسعة خلافاً لِدلالتها وهي في الجملة، حيث ينحصر معناها ويضيق تبعاً لمكوناتها، وهو ما يُحيلنا إلى دور السِّياق وأهميته في بلورة المعاني لِّلفظ الواحد، فلا يُمكنُنا " نُعِدَّ هذه الكلمة من التضاد اللغوي إلا إذا كانت في سياق، أما خارج السياق فلا تعد من التضاد، ولا يتم تصنيفها في المعجم على المعنى الذي أخذته بالتضاد، وترجع إلى حقلها المعجم الطبيعي" [601]

وهو ما أكَّده البحث في هذا المجال حيث توصَّل إلى أنَّ مدلول الكلمة في تغيُّر تبعاً للوضعيات التي يُستخدَم فيها اللَّفظ، وهو ما يعبَّر عنه بالسياق، [602•] والذي

Adam schaff Introduction a la semantique.. traduit du polonais par Georges lisowski . edition anthropos paris1980. P14.

599- يُنظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96 .

600 - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص11.

601 - صائل رشدي شديد،عناصر تحقق الدلالة في العربية (دراسة لسانية) الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، الطبعة الأولى2004م، ص172 – 173.

• ولقد وردت في شأنه تعاريف منها على سبيل التمثيل مَن خصَّته بأنه " النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة ."

يُميِّز بين المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي هو قضية استعمال اللَّفظ حيث يخرج به إلى دلالات غير محصورة *(603)*

وفي تفريق لطيف بين المعنيين أثبت البحث اللغوي أن فضاء الكلمة من حيث الدلالة أوسع، ولكنَّها حينما ترد في سياق ما تنحصر تلك الدلالة، لذا " فالمعنى المُعجمي هو المعنى الذي تدلُّ عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتَّقعيد – كما يخضع المعنى الوظيفي– وإنَّما هو معنى يُحدّده العُرف العام وتظهر هنا العلاقة العرفية التي اصطلح عليها المجتمع بين الكلمة المُفردة وبين معناها، وليس هناك من سبب طبيعي أو ذهني منطقي للعلاقة بين الكلمة ومعناها، فهي علاقة اعتباطية، وهذا المعنى يتصف بالتعدد والتّنوع والاحتمال، حيث إنَّ الكلمة لا يُمكن أنْ يتحدَّد معناها ما دامت خارج السياق،فإذا انتظمت الكلمة في سياق لُغوي تحدَّد معناها. " *(604)*

وإذا أردنا أجرأة هذه الفكرة، وإسقاطها على الموروث المعجمي، فالمثال الموالي يُحدِّد لنا ذلك.

(- الشاذلي أبو السعود، الأدوات النحوية وتعدد معانيها اللفظية، دار المعرفة الجامعية، طبعة1989م، ص152.)
فالكلمة الواحدة حينما تنتظم في جمل حتماً سيفضي هذا النَّظم إلى تغيير دلالتها من جُملة إلى أُخرى، غير أنَّ أحمد حساني يرى أنَّ " تعدد المواقف واختلاف السياقات التي تلازم الخطاب المنجز في الثقافة الإنسانية ندرك لا محالة أن التغير الدلالي للعلامات اللسانية أضحى سمة طاغية في الأداء الفعلي للخطاب؛ فإذا هي حالة طارئة تطرح مشكلاً حقيقياً، حسب رأي بعضهم، لأنها تدحض التفسير الدلالي القائم على الصلة الدائمة بين دال معين ومدلول معين يظل يصاحبه في اطراد رتيب حسب ما تقتضيه الطبيعة الاعتباطية للعلامة، التي هي في حقيقة أمرها عرف اصطلح عليه أفراد المجتمع اللغوي وتواضعوا على اصطناع دال معين للدلالة على مفهوم معين، ثم تشيع هذه العلاقة في عرف الاستعمال وتثبت فتستحيل إلى علاقة سببية اطرادية.
وبناء على ما ذكرناه في هذا المقام فإن الانتصار للدلالة السياقية والاستمساك بها يؤدي بالضرورة إلى الانتقاص من حقيقة المواضعة، من حيث هي عقد شرعي لتبرير اعتباطية الحدث اللساني، غير أن هذا العقد لا يستقيم له أمر إلا بالاستعمال."

(- أحمد حساني، السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية، الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية يصدرها إتحاد اكتب العرب دمشق، العدد 395، السنة الثالثة، آذار 2004م، ص 68- 69.)

603- وهو ما عبَّر عنه علي آيت أوشان بالتضمين حيث ضبط جوهره في قوله: " يمثل التضمين (connotation) مختلف الاستعمالات التحولية للكلمة أو العلامة هذه التحويلات تنقل الكلمة من مستوى الدرجة الأولى (التعيين) إلى الدرجة الثانية (التضمين) حيث يتوسع فيها المدلول متحررا من كل تقييد معجمي . "
(- علي آيت أوشان، السياق والنَّص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 41.)

604- محمد محمد داود، العربية وعلم اللُّغة الحديث، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع القاهرة،2001م، ص 184 .

إنَّنا حينما نودُ البحث عن كلمة " أدب " في المعجم اللُغوي نقف على جملة من الدلالات لها، منها:

" الأدبُ: الذي يتأدَّبُ به الأديبُ من الناس، سُمِّيَ أدباً؛ لأنَّه يأدِبُ النَّاسَ إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصلُ الأدْبِ الدُعاءُ،ومنه قيل للصنيع يُدْعى إليه الناسُ: مَدعاةٌ ومأدُبَةٌ ... وأدَّبه فتأدَّبَ: علَّمَهُ ...

والأدْبُ: مَصدرُ قولك أدَبَ القومَ يأدِبُهُم، بالكسر، أدْباً، إذا دعاهم إلى طعامِه.

والآدبُ: الداعي إلى الطعام، قال طرفَةُ :

نَحْنُ في المَشْتاةِ نَدْعُوالجَفَلَى * لاَ تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنتَقِرْ** *(605)*

لقد أكَّد البحث اللَساني الحديث فكرة انتماء الألفاظ ذات المدخل الواحد إلى ما هو عام، فمن" خلال استعمال الكلمة العلامة بإيجاز نفكر في العلامات المنطوقة الطبيعية أو الاصطناعية، وهذا يعني أن العلامات المنتجة عن قصد من طرف الناس هي من أجل التواصل مع الآخرين وعلى الرغم من أن العلامات الطبيعية تنتمي إلى الزمرة العامة للعلامات إلا أنها تتميَّز عن باقي الزمر الأخرى،" *(606)* حيث تتجلَّى خصوصية كُل كلمة عن الأخرى رغم أنَّ انتماء مجموع الألفاظ إلى مُدخل واحد.

إنَّ عمل المعجميين انحصر في تتبع دلالات اللفظ، لِذا امتازت الألفاظ وهي في المعاجم بما شاع من دلالاتها خلافا لها وهي تتآلف مع غيرها حيث يُكسبها ذلك شيئاً من

---

605 - ابن منظور، لسان العرب، 1 / 43.

606 - <<en employant le mot signe tout court dans la suite de nos considerations .nous penserons toujours aux signes proprement dits ou artificiels en ce sens qu'ils sont consciemment produits par les homes dans le but de communiqué avec les autres .bien que les signe naturels appartiennent à la categorie générale de signe. Ils se distinguent essentiellement de toutes les autres categories de signes »

Adam schaff . Introduction a la semantique. traduit du polonais par Georges lisowski . edition anthropos paris1980. P153

التحديد في الدلالة، الأمر الذي يترتب عنه توسيع نطاق اللغة إلى فضاء عام وأوسع، ومن هذا المنحى فالاستعمال اللغوي للألفاظ هوالذي يضمن لنا تحويلها من صورة ثابتة ذات دلالات مُتعدِّدة إلى معنى مُعيَّن، وهي الفكرة المؤكَّدة في المجال الوظيفي للغة " ولكنها إذا وضعت في ((مقال)) الذي يفهم على ضوء ((مقام)) انتفى هذا التعدد عن معناها ولم يبق لها في السياق إلا معنى واحد؛ لأن الكلام لا بد من أن يحمل من القرائن المقالية أي اللفظية و المقامية والحالية، ما يعين معنى واحداً لكل كلمة، " [607] فالذي يتحكم في تحديد معنى الكلمة وحصره في دِلالة دون غيرها هو السياق الذي وردت فيه، وما صاحبها من ألفاظ باعتبار " البناء الأولي للمعنى هو عبارة عن شبكة من العلاقات البنائية لهذا النوع وباختصار، فإننا نقول إن البنية الأساسية لمعنى عبارة عن شبكة من العلاقات التي تميزت بحضور:

أ) وجود صلة بين الكلمات.

ب) العلاقات بين الكلمات والمحور الدلالي.

كل وصف أي أهمية هو تسليط الضوء على جميع مستويات اللغة، والعلاقات الهيكلية من هذا النوع." [608]

إنَّ دلالة اللَّفظ تتعدَّد تبعاً لتنوع السياقات التي تأتي فيها، باعتبار أنَّ الدَّلالة السياقية تطوُّرٌ يلحق باللَّفظ وهو الأمر الذي يترتب عليه الخروج إلى دلالات جديدة على أساس أنَّ " المعنى اللُّغوي ينطلق من معنى المُفردة من حيث حالتها المُعجمية ومُتابعة التَّطورات الدلالية والتَّغيرات التي تأخذها الكلمة في السّياقات المُختلفة إذْ يصعبُ

---

[607] - يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس ، ص9.

[608] « la structure élémentaire de la signification est un réseau relationnel caractérisé par la présence :
a)d'une articulation entre les sèmes ;
b) de relations entre les sèmes et leur axe sémantique
toute description de signification vise a mettre en évidence, a tous les niveaux du langage, les relations structurelles de ce genre . »
L'Homme, Année ,La structure élémentaire de la signification en linguistique ,A. J. GREIMAS 1964, Volume 4, Numéro 3 p. 17

تحديد دلالة الكلمة؛لأنَّ الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالة مُطلقة، وإنَّما السِّياق هو الذي يُحدِّد لها دلالتها الحقيقية،" [609] ومن هنا جاءت صورة الاستعانة بالسياق لتحديد المعنى، " فالكلمة تكتسب أبعاداً جديدة أو تُحصَر في إطار خاص، أو تنفل إلى مواقع لم تألفها قبل." [610].

ومِمَّا يراه البحث اللِّساني الحديث أنَّ العنصر الدِّلالي للألفاظ مشدود بالواقع الفعلي " ففي مجتمعنا المتحضر تتغير دلالات كلمات بأسرع من الماضي، أو حتى في ماض قريب لذلك لابد من النظر إلى أثر اختلاط الطبقات الاجتماعية في مقاومة امتيازات وجهات النظر،" [611] والمتأمل لِما حوته المعاجم العربية يتجلَّى له هذا الاتِّجاه قائماً في كثير من شروحات الألفاظ، كتلك التي يقف عليها القارئ في مادَّة: مجد: " مَجَدت الغنمُ مُجُوداً: أكلت البقل حتى هجع غرثُها. وراحت الماشية مُجَداً و مواجد: شِباعاً.

ورأيتُ أرضاً قد مَجدَ شاتُها وبعيرُها. وأَمْجدْتُ دابتي ومجَّدتها ومجَدْتُها: أجدْتُ عَلَفها." [612]

إنَّ طبيعة الأمثلة المنتقاة من معجم الزَّمخشري في شرحه لهذا المدخل مُستوحاة من واقع البيئة العربية حيث يتجلَّى فيها ارتباط العربي بعناصر الحياة كالماشية مثلاً مِمَّا يوحي لنا بتعامل المعجميين أثناء تعاملهم مع دلالة الألفاظ كان وِفق " منهج قويم في علم الدلالة Sémantique " والذي أصبح يعرف اليوم بـ"المنهج السياقي"، وهو المنهج الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالتها،

---

609 - كلود جرمان- ريمون لوبلان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل دمشق 1994م، ص 06 .

610 - فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص 22 .

611 - « le sens de mots se modifie plus vite qui ne le faisait dant dans nos societie modern antiquité ou meme dans un passé recent.il faut y voire effet du mélange des classes sociales de la lute des interets et des opinions de la lute . »

Adam schaff Introduction a la semantique. traduit du polonais par Georges lisowski . edition - anthropos paris1980. P13.

612 - الزمخشري، أساس البلاغة، 2 / 194.

فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في "النص/الخطاب" هي التي تحدد معناها، وصرح زعيم المدرسة السياقية فيرث Firth بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال " تسييق الوحدة اللغوية، " أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن دراسة دلالة الكلمات تتطلب تحليلا للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدد وفق السياقات والطبقات المقامية التي ترد فيها، " [613] وهو ما تفطَّن له المُعجميون العرب حينما تعاملوا مع شروحات الألفاظ مُركزين على تقديمها في جمل من مأثور القول – في الغالب – باعتبارها تُكرِّس مفهوم تنوُّع السياقات التي على ضوئها تتشكل الدَّلالات نحو: رقَّ: " الرَّقُّ: ذكر السلاحفِ و الرِّقُّ: المِلكُ. و الرِّقةُ: خِلاف الجفاء. وترقرق الشيء خِلاف، إذا لَمَعَ. وترقرق الدَّمع إذا دار في الحِملاق...و الرَّقق ضَعفُ العِظام، وهو قول القائل: لم تلقَ في عَظْمِها وَهْناً ولا رَقَقاً... وترقرقت الشَّمس، إذا دارت ..." [614]

إنَّ اعتماد صاحب المُعجم على هذا التَّنوُّع يصبُ في فهم المُحدَثين بما يُعرَف بأثر السياق في تنوع المعنى، وهو ما أثبته البحث اللِّساني عند العرب، " فالعرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل على معنى الكلام وخاصة دونما تدل عليه تلك الألفاظ بحسب الوضع الفردي، كما أنها أيضا تطلقها وتقصد بها ما تدل عليه في أصل الوضع، وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال. " [615]

كثيرة هي المواقف اللغوية والنصوص الفكرية التي يعتمد في تفسيرها بالإضافة إلى بناءها اللغوي، فيركز على ما هو غير لغوي لضبط وتحديد فكرتها أكثر والتحكم في توجهاتها، وقد أكَد هذا المنحى أحمد حساني حينما بيَّن أنَّ إنتاج الكلام تتحكم فيه الظروف الخارجية في قوله: " هو الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في

---

[613]- احمد مختار عمر، علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع 1982م، ص68 .
[614] - أحمد بن فارس، مجمل اللُّغة، 2 / 368 .
[615] - الشاطبي، الموافقات، ص296/3.

المجتمع اللغوي، أي: الحيِّز الاجتماعي الذي ينتج فيه مدخل معجمي ما، " [616] فالخطاب اللغوي بالإضافة إلى العنصر اللساني الذي ينبغي أن يتميَّز بجملة من الخصائص التي " يمكن تلخيصها في السهولة وتشمل سهولة المخرج، وعدم الغرابة أو الحوشية ولذتها في الأسماع، وتشمل رقة حروفها وموسيقيتها ودقة الأداء للمعنى وحسن تآلفها وتجانسها مع سياقاتها، " [617] كما تتدخل في تحقيقه جملة من العلاقات التي إن رُوعيت ينتج عنها انسجام في المجال التواصلي،.... و هو ما يُعبَّر عنه " بسياق الحال context of situation ويمثله العالم الخارجي عن اللُّغة بما له من صلة بالحدث اللُّغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئية النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام " [618] وهو ما يمكن التعبير عنه بالخطاطة أسفله:

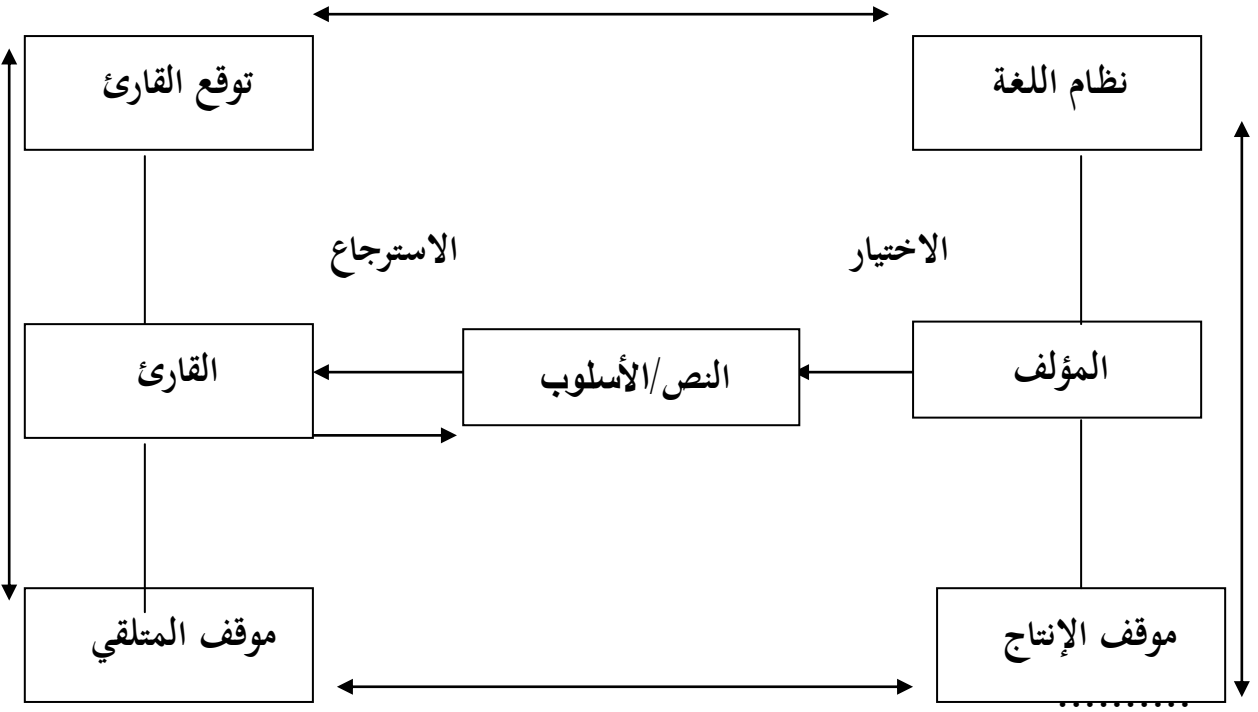

[616] - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص158 .

[617] - محمد زغلول سلام، ضياء الدين بن الأثير- جهود في النقد والبلاغة، منشأة المعارف الإسكندرية، ص261.

[618] - حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي- دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث - دار المعرفة الجامعية 1977م، ص 135.

بل من اللُّغويين مَن رأوا حُدوث عملية التَّواصل في طبيعة " السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة " ***(619)***

وهو ما يُمكن أن يكون المعجميون العرب قد فهموه من خلال ما احتوته معاجمهم من قيَم في ثنايا الشروحات، وترتيب العملية وِفق مَنهج ارتآه كُلُّ واحد منهم . " إنَّ سياق الحال أو الماجري، هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، أو للحال الكلامية . " ***(620)***

وبهذا تكون نظرية السياق قد " قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقلّ إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي، فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تُحدِّد الصور الأسلوبية للكلمة. " ***(621)***

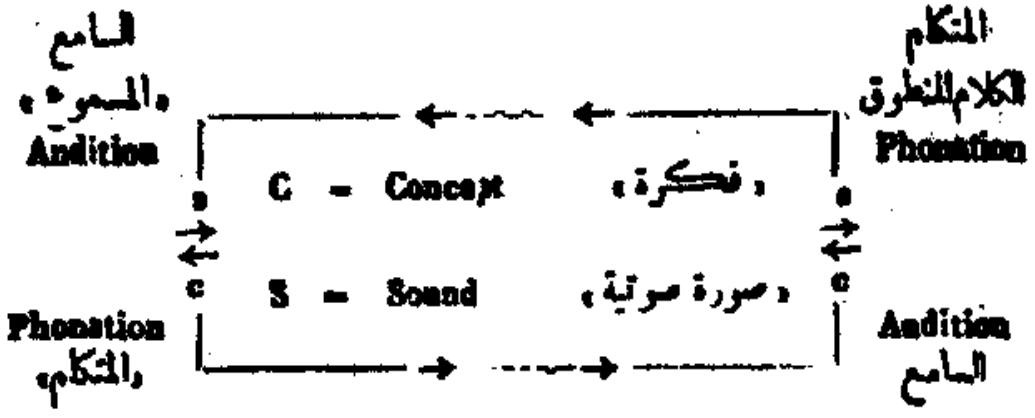

---

[619]- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ص259 .
[620]- محمود السّعران، علم اللُّغة مُقدّمة للقارئ العربي، ص 238 .
[621]- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ص66- 67.

(شكل 1) [622]

" نقصد بالمعنى التعييني (le sens denotative)، وقد استعمله البعض بمعنى (la reference) أي (المرجعية) ويقصد بالقيمة التعيينية لوحدة معجمية العلاقة بين هذه الوحدة المعجمية، وما هو خارج عن النظام اللغوي من أشخاص وأماكن وخصائص و سيرورات و نشاطات.

والواقع أن مسألة (المرجعية) تختص بالملفوظ، وتنطبق على العبارات المرتبطة بالسياق، لا على الوحدات المعجمية (lexème) فهو يشكل العلاقة التي تنطبق على الوحدات المعجمية وتقع خارج السياقات التلفظية (contexts dénonciation)..." [623]

كما شدَ ذلك بالمستمع وعلاقته بالمتكلم وربط الطرفين وقد عبَّر عن هذه الفكرة نور الدين السَّدّ في مجال نظرية الاتصال في البحوث الأسلوبية و السميائية حيث ركَّز على " الشروط الآتية:

– المرسل، الرسالة، المرسل إليه، وتشكل الرسالة عماد الدراسة الأسلوبية وذلك بتحديد خصائصها الأسلوبية ومكوناتها اللغوية والجمالية، ويفترض في النظرية الأسلوبية أن تشتمل على النص بكامل ظواهره المُميِّزة وعمليات الإنتاج والتلقي معا، وأن تعتمد على مبادئ لغوية وأخرى غير لغوية " [624] .

وفي العملية المُعجمية يُمثل القارئ دور السامع المتلقي، بينما يُمثل صاحب المُعجم المتكلِّم، أمَا الفكرة القائمة بينهما، فهي مُجسَّدة في المُعجم، وما يتضمنه من شروحات، وحرصاً منهم على تحقيق عنصر التَّواصل، ركَّزوا على الإحاطة بدلالة الألفاظ مُركزين على ما توحي إليه هذه اللَّفظة من دلالات، وهي النَظرة التي تراها النظرية السياقية في إجلاء دلالة الألفاظ حيث أنَ " المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون

622- فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد ناعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية إسكندرية، د تا، ص35.

623 - علي آيت أوشان، السياق والنَّص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة مؤسسة النشر والتوزيع ، الطبعة الأولى الدار البيضاء 2000م، ص40.

624 - نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 1997م، 1 / 216.

الرسالة فاعلة فإنَّها تقتضي بادئ ذي بدئ سياقا تُحيل عليه، سياقاً قابلاً لأن يُدركه المرسل إليه،" [625] والمعجميون حينما تعاملوا مع الألفاظ ركَّزوا على ما يُشبه ذلك من خلال اعتمادهم على تعدُّد الدلالات، الذي يتجلَّى للمُتلقي بناءً على سياقات تُحدِّدُها طبيعة الجمل والأمثلة المُنتقاة، وهو ما يُمكن للقارئ أنْ يلمسه في جلِّ عمل المُعجميين نحو مادة: " هدب " الهدب: أغصان الأرطى، ونحوه مِمَّا لا ورق له، وجمعه أهداب ، والواحدة هدبة. والهَدَبُ: مصدر الأهدَب و الهدْباء، يُقالُ شجرة هدْباء، وقد هَدِبَتْ هَدْباً، وهَدَبُها: تدلَّى أغصانُها من حَوالَيْها. ورجلٌ أهدَبُ: طويلُ أشفار العيْنين كثيرهما. و الهداب: اسم يجمع هُدْبَ الثَّوب، وهُدْبَ الأرطى، الوحدة: هُدابة، قال:

وشجَرَ الهُدابَ عنْهُ فَجَفَا * يَسَلْهَيَيْنِ فَوقَ أَنْفٍ أَذْلَفَا**

والهدَبُ ضرْب من الحَلَب، هَدَبَ الحالبُ النَّاقة يهدِبُها هَدْباً. وهيدبُ السَّحاب: إذا رأيت السَّحابة تسلسل في وجْهِها للوَدَقِ..." [626]

وهو ما أكَّده البحث اللِّساني الحديث حيث يرى أصحابه أنَّه " ليس من الضروري لفهم كلمة أنْ نعرف ما تعنيه، فللكلمة دلالة أقلَّ ما يُقال عنها أنَّها واسعة، ولا يُمكن اكتشاف دلالتها الحقيقية إلاَّ من خلال مُلاحظة استعمالها " [627] فمن مميزات اللغة المرونة الأمر الذي يترتب عنه احتمال معان جديدة نتيجة

---

[625] - رومان ياكبسون، قضايا شعرية، ترجمة محمد الولي – مبارك حنون، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1988م، ص27.

[626] - الخليل، معجم العين، 4 / 29 – 30 .

[627] - « il n'est pas nécessaire a la comprehension d'un mot q'une personne connaisse ce qu'il signifie ,dans le sens d'être capable de dir [ce mot signifie ceci ou cela] , Un mot a une signification ; plus ou moins vague ; mais la signification ne peut étre écouverte que par l'observation de son usage ; l'usage vient d'abord et la signification est en qeulque sorte distillé par lui . »

Adam schaff Introduction a la sémantique.. traduit du polonais par Georges lisowski . edition anthropos paris1980. P236.

ظروف وأوضاع لم تكن موجودة، وبوجودها تجلّت دلالات فالكلمات من هذا المنظور" لا تتمتَّع بمعنى، ولكنها تتمتع بوظائف.

إنَّ المعنى كما يظهر لنا أثناء الخطاب يتعلق بعلاقات الكلمة مع كلمات المقام الآخر وتعدّد هذه العلاقات معنى من معاني كلّ كلمة لا تحدّدها الصورة التي تحملها الكلمات،" [628] فالكلمة المفردة مع تآلفها بكلمات أخر تفضي إلى تأدية معنى وفق مقام خاص، و" لا يتضح معناها إلاَّ من خلال الاستعمال، وبناء على هذا يمكن القول، إنَّ معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها، وللبرهنة على ذلك يمكننا أن نأتي بمثال: كلمة (طاولة)، هذه الكلمة تبدو حسب الظاهر بسيطة، ما معنى هذه الكلمة ؟ لا نستطيع تحديد معناها ما دامت غير مدرجة ضمن سياق مُعيّن، وهذه الكلمة تأخذ معان مختلفة باختلاف السياقات الواردة فيها. " [629]

إنَّ الكلمة الواحدة في السياق الاستعمالي تأخذ دلالات مختلفة، وهو ما وقف عليه معجميو العرب قديماً، فالخليل مثلاً في شرحه لكلمة " هدب " أوردها في استعمالات مُختلفة؛ لأنَّه لا يُمكن فهم أيَّة كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تعمل على تحديد معناها، وهو ما أثبته البحث للِّغوي في حاضر أيَّامنا حيث يرى" أن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها، " [630] وقد يتحكم في سياق الكلمة جملة من العناصر يمكن حصرها في الآتي منها:

أ- بناء الجملة وترتيبها: قد يقف القارئ على جمل متشابهة في بنائها من حيث عدد الكلمات والمضمون نحو: اللسنيات علم يدرس اللغة دراسة موضوعية.

فالوحدات المكونة لهذه الجملة في حالة تبديل مواضعها تقديما أو تأخيراً قد يتغير معناها ومن الجمل التي نقف عليها: " اللغة دراسة موضوعية اللسانيات."

---

628 - بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمه عن الفرنسية منذر العياشي، الطبعة الأولى، دمشق، 1986 م، ص 42.

629 - كلود جرمان- ريمون لوبلان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل 1994م، ص 44.

630 - بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبوزيد، منشورات عويدات بيروت، الطبعة الأولى 1984م، ص39.

إنَّ دلالة السياق في هذه الجملة لا تعني نفس الدلالة التي هي في الجملة الأولى؛ لأنَّ ترتيبها لا يخضع لنفس الإجراء الأمر الذي ترتب عنه خروج دلالة السياق من المعنى الأوَّل الذي يُفيد الإجراء الموضوعي لعلم اللِّسانيات الذي يدرس اللُّغة.

والثاني الذي يُفيد دلالة مفادها أنَّ " اللغة تعني دراسة موضوعية اللسانيات"، فتأليف الجملة وِفق نسق اقتضى ترتيباً مُعيَّناً حتماً دلالة السياق فيه تفضي إلى دلالة مُعينة فتركيب الجمل وترتيبها في السياق اللغوي يعني " نظم الكلمة في الجملة وموقعها من ذلك النظم. " ***(631)***

إنَّ حدوث أيَّ تغيير في المواقع للكلمات يؤدِّي إلى تبدُّل في الدلالة، وهو ما لا نقف عليه في المعاجم وهي لا تقْدر على احتوائه كونها تهتمَّ برصد أشهر الدلالات.

إلاَّ أنَّ الذي يُضاهي ذلك في المعاجم هو ترتيب الدلالات للفظ الواحد الذي يرد مُتفاوتاً من مُعجم لآخر في حالة اعتماده نحو مادة أبب:

" أبب: اطلبِ الأمر في إبَّانه وخذهُ بِرُبَّانه؛ أوَّله، وأنشد ابن الأعرابيَّ من الرجز:

قدْ هرَمَتْنِي قَبْلَ إبَّانِ الهَرَم * وهيَ إذا قُلْتُ كُلِي قَالَتْ نَعَمْ**

صَحِيحَةُ المِعْدَةِ مِنْ كُلِ سَقَمْ * لَو أَكَلَتْ فِيلَيْنِ لمْ تَخْشَ البَشَمْ**

وأبَّ للمسير إذا تهيَّأ له وتجهز...وتقول: فُلانٌ راع له الحُبَّ وطاب له الأبَّ، أي: زكا زرعه وطاب له الحبَّ . " ***(632)***

إنَّ الزمخشري وقصد الإحاطة بدلالة هذا المدخل تتبَّع جملة من معانيه مُرتبة وفق منظور اعتمده، ويُمكن تفسيره بما له علاقة باتِّساع دلالة اللَّفظ وذيوعه حيث استهلَّ دلالاته بالمعنى الأوَّل وهو" أوَّل الشيء " ثُمَّ انتقل إلى المعنى الثاني وهو" التهيُّؤ للمسير"

---

631 - أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ص55.

632 - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة أبب،1 / 17.

ثُم المعنى الثالث وقد ضبطه في " الزيادة والنَمو" وهو ما لم نقف عليه في نفس المدخل حينما تعرَض لدلالاته في المجمل حيث تتبَعها في مادة: "أبَ"

" أبَ: فقالوا في قول الله – جلَ ثناؤه – وتقدَست أسماؤه: ﴿ وفاكهةً وأَباً ﴾ (633) إنَ الأبَ المرعى. وقالوا: أبَ الرَجلُ، إذا تهيَأ للذهاب...

والأبَ النَزاع إلى الوطن . وأبَ الرجل بيده إلى قائم سيفه ليستلَه ..." (634)

وقد حصر معانيه في أربعة معان مُرتَبة على النَحو التالي: "المرعى" "التهيؤ" "النَزاع إلى الوطن "ليقف أخيراً على دلالته المُجسَدة في "استلَ السيف"

بمقارنة بسيطة بين ما هو مُشترك في دلالة هذا اللَفظ في المُعجمين يتبيَن لنا أنَ ترتيب دلالاته لم يخضع لترتيب مُوَحدٍ بين المُعجمين الشيء الذي يُمكن أن نُفسرَه باقتراب فهم المعجميين لنظم وترتيب الدلالات للَفظ الواحد وتفسير ذلك بذيوع الدلالة أو حصرها.

ب – الحدث الكلامي: والمقصود به حالة الكلمة في الجملة وقد يتحكم في الجانب الدلالي للكلمة ما له علاقة بالمستويات اللَغوية باعتبار أنَ " المعنى المستخلص من تركيب ما لا يفهم من كلمة واحدة، بل يُفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، وهو ما نقف عليه مُمثلا في تلك العلاقات المعروفة بالصَوتية والصَرفية والنَحوية والدَلالية بين هذه الكلمات على مُستوى التَركيب، (635) حيث يؤثر ذلك في تبدَل دلالاتها باعتبار أنَ دلالة السياق اللغوي linguistic context قد تشمل جملة من العناصر وقد تتمثل في الأصوات والكلمات والجمل، كما لأثر

633 - سورة عبس، الآية31.
634 - ابن فارس، مجمل اللغة، ص78.
635- ينظر: عبد النَعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمُحدثين – دراسة لغوية نحوية دلالية، الطبعة الأولى، 2007 م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنَشر الإسكندرية، ص 33 .

تتابعها في حدث كلامي مُعيَّن أو نصٍّ لغوي أثره في تحديد سياقها، [636] وممَّا نقف عليه كأمثلة مُجسَّدة لأثر التبدُّل الصوتي في تنوُّع دلالة السياق اللُّغوي نحو:

– نال المظلوم حقَّه.

– طال المظلوم ظلمه.

إنَّ اختلاف الصَّوت الواحد في البنية الواحدة له أثره في تبدل المعنى، وهي الظاهرة التي وقف عندها المُعجميون وتتبعوا مختلف دلالة كلٍّ منها؛ لأنَّ كُلَّ لفظ يُمثل مُدخلا مُعجمياً مُستقلاً عن الآخر.

ولبناء الكلمة أهمية في تحديد الدَّلالة " إنَّه من المعلوم أن المؤشرات ذات التنظيم الفونولوجي تسمح للمستمع بالإحاطة بمعالم الكلمة والجمل قبل تحديد المعطى الفعلي بالطريقة ذاتها .

يبدو جليا أنه بفضل عدد كبير من التكرارات بإمكان المتلقي لرسالة ما أن يتعدى مكونا من مكوناتها سواء الفونولوجية و المورفولوجية واللفظية [637]

وهو ما يُمكن للقارئ أن يتوقف عليه بين الحين والآخر أثناء تصفَّحه للمعاجم العربية،" وقد لا يؤدي النبر الخاطئ في الكلمة أو الجملة إلى تغيير في المعنى، ولكن يؤدي إلى تشويه اللفظ بما يخرجه من طبيعة العربية، أوْ لحون العرب، فإيقاع النبر في " مستمر " على التاء (بدلاً من الميم) يشوه اللفظ، وقد يكون في بعض الكلمات حراً أي يجوز

---

[636] - ينظر: حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م، ص218.

[637] - « Il est évident que les indices d'ordre phonologique permettent a l'auditeur de saisir certains contours de mot et de phrase avant une complète identification du donné verbal. De la même façon, il est clair que, grâce au grand nombre de redondances, le récepteur d'un message donné peut se permettre de sauter l'un ou l'autre de ses composants tant phonologiques que morphologiques et lexicaux. »

Roman jakobson .Essais de l'linguistique générale tome 1. 2.Rapports internes et externes du langage .c 1973 by les editions de minuit paris. Page : 169.

إيقاعه على أكثر من موضوع دون أن يشوه اللفظ كما في " مستهزئون " حيث يجوز إيقاعه على التاء أو الهمزة ،ومن هذا يبدو أن للنبر أهمية كبيرة شأنه في بعض الكلمات. " *(638)*

كما أنَّ لترتيب الوحدات في الجملة الواحدة وعلاقة وحداتها بعضها ببعض يؤدي حتما إلى خدمة دلالة معينة.

إن المتأمل لترتيب الوحدات في الجملة الواحدة يستنبط حكما مفاده أنَّ للترتيب دلالة، وأنَّ السياق في بعض الجمل يقتضي أنْ نوردها ضمن ترتيب مُخالف للسابق حيث يُسبَّق الفاعل على الفعل خدمة لدلالة معينة.

وكذلك هو الشأن بالنسبة للجملة الاسمية، فالأصل في نظامها وترتيبها أن نُقدِّم المبتدأ على الخبر ، ولضرورة السياق الترتيبي يقتضي مُخالفة الترتيب الأوَّل " إنَّ كثيراً من النصوص اللُّغوية نجد صعوبة في فهمها على الوجه الدقيق بسبب قطعها عن السياق الحالي أو غيبة بعض عناصره، ففي قول الكميث:

طربْتُ وما شَوقاً إلى البيْضِ أطربُ * ولا لَعِباً مِنِّي وذُو الشَّيبِ يَلْعَبُ**

يذكر النحاة أنَّ قوله " وذو الشيب يلعب " يحتمل أن يكون استفهاما إنكاريا بهمزة استفهام محذوفة ويحتمل أن يكون إخبارا والمعنى مختلف في الحالتين. " *(639)*

ولاختلاف البيئات وتنوع مناهلها يؤدي إلى تنوع دلالة بعض الكلمات من محيط إلى آخر، فالسياق الذي يكشف عن المعنى الذي توحي به الكلمة، أو الجملة والمرتبط بحضارة معينة أو مجتمع معين يدعى أيضا المعنى الثقافي، فاختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى فمثلا كلمة (جذر) تستخدم

---

638 - يوسف الخليفة أبو بكر، أصوات القرآن كيف نتعلمها ونُعلمها، مكتبة الفكر الإسلامي الخرطوم، الطبعة الأولى 1973م، ص25.

639 - طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، إسكندرية 1986م، ص218.

عند اللغويين بمعنى وعند الزراع بمعنى آخر وعند علماء الرياضيات بمعنى ثالث، [640] وقد أكّد هذه الفكرة ما توصل إليه الباحثون في هذا المجال،" فاللفظ يحمل معنى إفراد يا خاصا يدلُّ دلالة واضحة تظهر بظهوره،

وتختفي باختفائه وهو مالا يحتاج إلى كبير عناء في الوصول إلى ما يدل عليه، كما أنه يحمل معنى تركيبيا من خلال وضعه في أسلوب قد يختلف على المعنى الأصلي،[641•] واللفظ في ذلك هو وسيلة تحصيل المعنى، " [642] الذي ينجلي ويتَّضح كُلَّما تآلفت الألفاظ فيما بينها تركيباً فيتحقق منها حصول معنى، والحقيقة أنَّ هذا التركيب قد يتحكم فيه لفظ له من التأثير على بقية المكونات، ففي تركيب الوحدة وعلاقتها مع غيرها أثر في تحديد وإجلاء الدلالة.

والبحث في هذا المجال توصل إلى أنَّ " الدلالة السياقية هي التي نعني بها السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة، أو العبارة، أو الجملة ويستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف وهو المقام الذي يقال الكلام بجميع عناصره من متكلم ومستمتع وغير ذلك من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها الكلام، والكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة فهي سياق لغوي، وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين، أو موقف اجتماعي محدد فإنه يمثل سياقها الاجتماعي، وهذان السياقان كلاهما يُسهم في إيضاح دلالة الكلمة،" [643] فالسياق اللغوي من هذا المنظور لا يُعدَّ

---

640 - ينظر: فريد عوض حيدر، علم الدلالة، ص158 .

• - وهذا ما أكَّدهُ أحمد حساني في كتابه مباحث لسانية حينما أشار إلى أنَّ " التفسير الدلالي في ظل النظرية السياقية يبنى مبدئيا على حصر السياقات المختلفة التي يظهر فيها عادة العنصر اللساني برمتِّه مدخلا معجميا غيرَ ثابت يتغير بتغير المواقف والسياقات المختلفة التي يرد فيها. "
(- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مبحث صوتي – دلالي – تركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999م ، ص 145.)

642 - السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1996م، ص113 .

643 - فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.1999م، ص99.

أساسا في بيان المعني الحقيقي للكلمة، بل هو مساعد في ضبط الدلالة اللغوية بشكل عام، وقد يخرج عنها حينما يربط هذا الملفوظ بوضع اجتماعي ما.

وفي مجال العلاقة بين الدلالة والسياق التي أخذت تتوسع نتيجة أهمية البحث فيها أفضى ذلك إلى اهتمام العلماء وتأكيدهم إلى أنَّ " مهمة السيمانتيك في الدَّرس اللغوي الحديث البحث في المعاني ومشكلاتها، " [644] سواء أكانت تلك الألفاظ مفردة على مستوى المعجمات أو مُركبة، وهو الأمر الذي يدفع بآلة البحث في هذا المجال إلى وُجوب الخروج إلى فضاء تتجلَّى فيه هذه الحقائق، لِذا سأتتبَّع دلالة السياق عند المُفسرين بغية الوقوف على أهميته في إجلاء الدَّلالة وتوضيحها.

الألفاظ بين دلالة التفسير ودلالة السياق

من تجليات اعتناء المفسرين بالسياق ما ترجمته وتُترجمه أعمالهم الجليلة في تفسير كلام الله، وهو ما نقف عليه عند بعضهم حينما ميَّزوا بين ظاهر القرآن وباطنه، " وجلُّ ما أورده هؤلاء من تفاسير مردُّه إلى ألفاظ الدواوين التي كانوا يوردونها كشواهد وتفسيرات أمْلتها عليهم معطيات السياق بنوعيه، أنَّهم يفسرون دلالات الألفاظ التي وردت في النَّصِّ، " [645] حيث ركزوا على اسْتجلاء وتحديد المعنى اللغوي للَّفظ من خلال وروده في الآية الكريمة مُركزين في ذلك على شروط لغوية و مقامية اجتهد المفسرون في تناولها.

وقياساً على ما قُلناه من حيث ربط عملية التفسير بجملة من العناصر باعتبارها تُحدِّد وتُكمِّل تفسير النص القرآني، طبيعي أنْ يُركِّز الزمخشري في ذلك على الألفاظ باعتبارها تعكس دلالات، ثم كيف يهتدي إلى واحدة دون غيرها من خلال نظرته للسياق المناسب

---

644 - كمال محمد بشر، دراسات في علم اللُّغة، القسم الثاني، ص 12.

645 - جبل عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة - دراسة تطبيقية - ، دار المعرفة الجامعية 1997م، ص 63.

والأليق لكل لفظة ؟ وهو ما أقرَّه في تفسيره، ومنه على سبيل التمثيل ما تعرَّض له في قوله تعالى: ﴿لاَ تَرَى فيهَا عِوَجَاً...﴾ [646] مُعلقا على لفظتي العِوَج والعَوَج: " فإن قلت قد فرَّقوا بين العِوج والعَوج، فقالوا العِوج بالكسر في المعاني والعَوَج بالفتح في الأعيان والأرض عين، فكيف صحَّ فيها المكسور العين ؟ قلت : اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملامسة ونفْي الاعوجاج عنها أبلغ ما يكون، وذلك أنَّك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنَّه لم يبق فيها اعوجاج قطّ ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يُدرَك ذلك بحاسة البصر، ولكن بالقياس الهندسي فنَفَى الله – عزَّ وعلا – ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الإدراك اللَّهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلاَّ بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عِوَج بالكسر. " [647]

إنَّ المُتأمل لتفسير الزمخشري في هذه الآية يقف على خروج المفسِّر إلى فضاء التحليل، وإنْ بدا مُركِّزاً على التفريق بين دلالتي" العِوَج " و" العَوَج "، ومن خلال سياقٍ خاص مكَّننا من التموقع فيما يريده نتيجة ربطه بين الحقل الذي يدور فيه هذا المدخل وسياقه الذي يرد فيه.

إنَّ اعتمادَ علماء التفسير للقرآن الكريم على جُملة من الآليات يهدف إلى استنباط المعاني قصد بلوغ تفسير موضوعي، نتيجة اختلاف المناهل بين العلماء وتعدُّد الرُؤى،

---

[646] - سورة طه، الآية 107 .

[647] - الزمخشري، الكشاف، 447/2 .

فمنهم مَن ركَّز على التفسير العقلي، ومنهم مَن ركَّز على التفسير النَقلي(648•) للكشف والإبانة.

ومن الأمثلة الدَّاعمة لهذا الرَّأي ما يقف عليه المُطلع لكتاب أمالي المرتضي عند تعرضه لقوله تعالى:﴿...يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (649) حيث عرض وجهات نظر المفسرين للفظ (القتل) فمنهم من ذهب إلى تحديد معناه بالقتل الحقيقي، ومنهم مَنْ أردف له معنى آخر وهو قتل بعضهم بعضا كما ذهب بعضهم إلى معنى ثالث، وهو الاستسلام إلى من يقتلهم ليصل في الأخير إلى الاستدلال بمذهب أهل اللّغة وهو المشهور – حسب قوله – " يقولون: ضرب فُلان عبده حتى قتله، وفلان قتله العشق، وأخرج نفسه، وأبطل روحه، وما جرى مجرى ذلك، وإنَّما يُريدون المُقاربة والمُشارفةَ والمُبالغة في وصف التَّناهي والشّدّة، فلمَّا أراد تعالى أنْ يأمرهم بالتَّناهي والمُبالغة في النَّدم على ما فات وبلوغ الغاية القصوى فيه جاز أنْ يقول ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ (650)

وبهذا المنحى في عملية التَّفسير التي ينبغي أنْ تُضبَط بضوابط يُمكن أنْ نصِل إلى أمرٍ مُهمٍّ مفاده أنَ النَّصَّ المُتوَلَّد عن عملية التَّفسير بدوره يُجسِّدُ بُعداً مُكمِّلاً للنَّصِّ المُفسَّر ولن يتحقَّق ذلك إلاَّ في حالة انصياع صاحبه للضَّوابط الموضوعية (651•) .

• - وفي هذه القضية بالذَّات يُعلِق السيوطي قائلاً : " وأمَّا ما لم يردْ فيه نقل – أي التَّفسير – فهو قليل وطريق التَّوصل إلى فهمه، النَّظر إلى مُفردات الألفاظ من لُغة العرب ومدلولاتها واستعماله بحسب السِّياق . "
(- السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1987م، 2 / 403 .)

649 - سورة البقرة، الآية 54 .

650 - الشّريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي العلوي(355هـ- 436 هـ)، أمالي المرتضي غرر الفوائد ودُرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية،1967م، 2 / 372 .

• - ويُبرِّر أحمد عبد الغفار تنوع الرُؤى بين المفسرين في قوله: " تنوعت بذلك مناهج التَّفسير واختلفت، فهناك تفاسير المعتزلة والشّيعة والصُّوفية، وتلك نتيجة حتمية لهذه الحرية العقلية . "

من هذا المنطلق يُعدَّ التحليل " نصا أو أيضا ما نسميه (النص – الواصف) والذي يجب أن يولد في النتيجة، وأن يفهم في لسان مُعيَن وسياق تواصلي مُعيَّن، وهذا يعني أنه يجب علي التحليل إذن أن يلبي الضوابط التواضعية للجماعة التواصلية المعنية بهذا الأمر، وهكذا سيتوجب على التحليل العلمي أن يلبي ضوابط "التواصل العلمي" ومعاييره، وإنَّ أمراً كهذا لَيستلزم من بين أشياء أخرى أن يكون التحليل قابلا للفهم، وأن يكون في مقدوره أن يعيد إنتاج نفسه، وأن يكون أيضا واضحا و نسقياً قدر الإمكان، وأن يكون مؤسسا نظريا، وأن يكون أخيراً مُتَّجهاً نحو قضايا وأهداف مطروحة بشكل مُسبق." *(652)*

من العناصر التي حدَّدها والتي هي بمثابة ضابط حقيقي لفعل التَّفسير الموضوعي أن يكون الكلام المُفَسَّر مفهوماً – باعتباره جاء لإزالة غُموض أو رفع لُبسٍ أو توضيح، وهو الهدف الأسمى لفعل التَفسير، لذا كان تصوَّر الزّركشي للأسباب التي تدعو إلى الشرح والتَّفسير فيها من الموضوعية، وقد حدّدها في أمور ثلاثة:

" أحدها: كمال فضيلة المُصنَّف، فإنَّه لقوته العلمية يجمع المعاني الدَّقيقة في اللَّفظ الوجيز، فربما عسَّر فهم مُراده، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلَّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها: (قد يكون) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطا اعتمادا على وضوحها، أو لأنَّها من علم آخر، فيحتاج الشَّارح لبيان المحذوف ومراتبه.

وثالثها: احتمال اللَّفظ لمعان ثلاثة كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشَّارح إلى بيان غرض المُصنّف وترجيحه، " *(653)* فالَّذي يُستنبط من قوله: " إنَّ

(- السيد أحمد عبد الغفار، التَّأويل الصحيح للنّص الدّيني، دار المعرفة الجامعية 2003 م، ص38 .)

652 - تون آ . قان ديك، العلاماتية وعلم النَّص - مدخل أولى إلى علم النَّص - إعداد وترجمة منذر عياشي، الطبعة الأولى 2004 م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ص 142 .

653- بدر الدين محمد بن عبد الله الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا – بيروت 2005 م، 1 / 27 - 28 .

التفسير مُلازم لكلِّ مُصنَّف " لافت للانتباه، لذلك عكف عليه الباحثون بالدِّراسة والتنقيب.

إذا كانت حقيقة التفسير مُلازمة للمُصنفات، فالعملية مع القرآن الكريم أكثر تلازماً، لِذا تعدَّدت وتنوَّعت تفاسيره التي أرجعها العلماء إلى جُملة من الأسباب، فمنهم مَن ردَّها إلى غرابة ألفاظه والتي قد " تنشأ من استعمال القرآن لها في تركيب أوسياق لا عهد للعرب بهما، فيكون ذلك مدخلا إلى تعدد المعاني [654]• المُسندة إلى تلك الألفاظ، " [655] فيهمُّ المُفسِرُ إلى بيانه وتوضيحه الأمر الذي يُؤدِّي إلى وقوع الاختلاف بين المُفسرين، وهو بمثابة اجتهاد بناء على نُصوص قريبة منه، كالحديث النبوي الشَريف الذي يُمثل شطراً من السنَة الشَّريفة، أو كلام العرب باعتبار أنَّ القرآن نزل بلسان عربيٍّ الأمر الذي أدَّى إلى ازدهار فعل التفسير .

" إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجمعة من النتائج الباهرة بهذا الشأن " [656]

ومن الآيات التي وقف عند وحداتها العلماء متأملين فيها باعتبارها تتحكم في المعنى العام لها قوله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [657] ففي تفسير الرازي لها وقف على الفعل يُخَادِعُون باعتباره وحدة أساسية في هذه الآية، وبمجرَّد رفع اللبس عليه اتَّضح المعنى العام من الآية في تفسيره " أخبرنا علي بن المبارك فيما كتب إلى ثنا زيد بن المبارك، ثنا محمد بن ثور، عن ابن جريج في قوله:

• - ومن الباحثين مَنْ رأى أنَّ " كتاب الله قد فسره العلماء الراسخون في العلم تفسيرات أضاءت -على سبيل الاستغراق- معانيه، وما علينا إذا أردنا أن نعود منه بقبس من الفهم وشهاب من الإدراك سوى أن نعكف على هذه المصنفات الجليلة ،ففيها ما يشبع النهم ويروي صدى الصادي، ولا مجال بعدها لمستزيد، ولا لمجتهد برأيه في كتاب الله .

وهناك في الطرف المقابل اتجاه يرى أن النص القرآني نص لغوي مفتوح على جميع التأويلات، ولهذا فمعنى النص يتعدد بتعدد قراءاته ويتنوع بتنوعها، ويلتقي الاتجاهان – من حيث اعتقاد التناقض- في غاية واحدة هي قتل المعنى واغتياله."

(- المصطفى تاج الدين، النص القرآني ومشكل التأويل، مجلة إسلامية، العدد 14، 1998م- 1999م، ص1.)

655- الهادي الجطلاوي، قضايا اللُّغة في كتب التَّفسير المنهج - التَّأويل – الإعجاز، ص 255.

656 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب الطبعة العاشرة 1996م، ص61 .

657 - سورة البقرة، الآية 9.

﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ ﴾ قال: يظهرون لا إله إلاّ الله، يُريدون أنْ يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك" . (658)

في تفسيره لها ركّز على الفعل " يُخَادِعُونَ " باعتباره وحدة أساسية، وفي ثنايا تفسيره ربط ذلك بالسياق الذي وردت فيه الآية، ومن التعقيبات التي وقفت عليها في شأن هذه الآية والذي يحدِّده سياقها " إن إلقاء أدنى التفاتة في بُعد هذا النص الأخير يجعلنا نستشف بأنّ بيت القصيد- كما يقولون- إنما يكمن أساسا في الفعل (يخادعون)، هذا الفعل الذي راح يضمر في نفسه معنى يتماشى وما يقتضيه سياق المقام(659•) على الرغم من أن الفعل في حد ذاته دلالته المعجمية واضحة المعالم والحدود، غير أن الخفاء الذي يكتنفه الفعل إنما ينشأ عن طريق ذلك العارض السياقي الحالي الذي لا يتماشى ومقتضيات الذات القدسية، وهو ما يؤكده – حسب الفخر الرَّازي – الدليل العقلي، فحصل ذلك التعاضد بين الدليل والجانب التأويلي في تبيان معنى الفعل (يخادعون) الوارد في حقّ الذات القدسية. " (660)

إنّ المتأمل لهذا التفسير يقف على حقيقة مفادها أنّ للّفظ الواحد أكثر من دلالة لا لشيء إلاّ لكون أنّ فعل التّفسير لم يعُد محصوراً في الدّلالة اللّفظية للوحدات اللّغوية، بل تجاوزه عند كثير من المُفسرين حيث نظروا بعمق إلى ما له علاقة بالعنصر البياني وربطوا الكثير من التّفسيرات بما له علاقة بالنّحو والبلاغة، وهي الفكرة التي عبَّر عنها أحد الباحثين في هذا المجال، والتي جاء فيها أنّ " لُغة الفهم (التفسير) ازداد اتّساعاً مع الزّمن، وأصبحت اللّغة التفسيرية غير قادرة على

---

658 - تفسير الرازي، 1 / 42 .

• - ومن العلماء مَن عرَّفه بقوله: " والمقام في نظرنا ليس مُجرَّد مكان يلقى فيه الكلام، وإنَّما هو إطار اجتماعي ذو عناصر مُتكاملة آخذ بعضها بحجز بعض، فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض، وهناك كذلك ما في المواقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام ، والوقوف على خواصه وهناك كذلك الكلام نفسه ."
(كمال محمد بشر، دراسات في علم اللُّغة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1971م، القسم الثاني، ص 61.)

660 - مختار لزعر، مطارحات في النقد والأدب، مجلة علمية – غليزان- العدد الأول نوفمبر 2009م، لنموذج النظري والتطبيقي للدليل وعلاقته بالتأويل ، بين القدامى والمتحدثين مقاربة تأويلية ، ص14 .

استيعاب المعاني التي تتشتت عقب كلَّ خروج دلالي عن الخطِّ البياني الذي ترسمه نحوية وبلاغية النَّص القرآني،" [661] إلاَّ أنَّ دلالته تنحصر وتضيق حسب التأليف الذي جاء فيه اللَّفظ، والسياق " هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تنال عليها، والسياق أيضاً هو الذي يُخلِّص الكلمة من الدلالات الماضية ..." [662]

في ظلِّ كثرة التَّفاسير وتنوِّعها مِن المفسرين مَن رأوا أنْ يكون " المعنى هو المقصود واللَّفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله. " [663]

وقد يخرج المُفسِّر في تفسيره إلى فضاء العبارة خاصَّة تلك التي يراها تحتاج منه إلى تبْيين بدل اللَّفظ الواحد، وقد استفادت اللغة من هذه التفسيرات كتلك التي أوردها محمد فياض في شأن مفهوم الظلمات الثلاث في قوله تعالى: ﴿...يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ...﴾ [664]

إنَ المتأمل لقوله تعالى في هذه الآية لا يجد ما يحتاج إلى تفسير وتوضيح سوى عبارة " ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ " لذا خصَّها بالتَّعقيب التَّالي: " وأفهم من نصِّ الآية _ بحقائق العلم _ أن الجنين يَمرُ في أطوار من بعد أطوار وخلق من بعد خلق .

لقد جعل الله الجنين في ظلمات ثلاث، هي ظلمة الكيس الأمينوسي حول الجنين .. ثم ظلمة الرحم وجداره .. ثم ظلمة جدار البطن؛ وقد تكون هذه هي الظلمات الثلاث، والجنين في أوَّل مراحله يكون من ثلاث طبقات، وجدار الرحم أيضا ثلاث طبقات، كلَّ هذه الظلمات ثلاث، وكل منها يمكن أن تفسَّر الآية الكريمة. " [665]

---

661 - عمارة ناصر، اللُّغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، الطبعة الأولى 2007م، دار الفارابي بيروت لبنان، ص100.

662 - فندريس جوزيف، اللُّغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي – محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950م، ص231.

663 - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، الطبعة الأولى 1407 هـ ، ص10 .

664 - سورة الزمر، الآية 6.

665 - محمد فياض، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، الطبعة الأولى 1999م، دار الشروق القاهرة، ص7.

إنَّ هذا النَّوع من التفاسير العلمية للآيات القرآنية يسعى أصحابها إلى تتبَّع الألفاظ والعبارات التي تحتاج إلى كشف الحقائق التي أخبرنا عنها القرآن، والتي يمكن التدليل عليها واقعياً مِمَّا يُخرِج عملية التَّفسير من الشرح القاموسي إلى البعد الوظيفي لمكنون القرآن الكريم، وربط ذلك بسياق الآية .

ولا يُمكن الجزم في هذا النَّوع من التفسير لاعتبار واحد وهو أنَّ العلم في تطوُرٍ وما اكتشف البارحة قد ينسخ اليوم، ويبقى عبارة عن اجتهاد اهتدى إليه أصحابه، وفي ظلِّ هذا المنحى يبقى " معنى الكلمات والجمل يرتبط بعالم التطبيق. " [666]

ومن التَّفسيرات الملموسة للألفاظ [667•] ما نحسُّ به كفعل إجرائي لإثبات دلالة اللَّفظ، وهو ما يقف عليه القارئ في قول ابن تيمية الذي نستشف من خلاله خروج عملية الشرح والتفسير للألفاظ العربية إلى ما هو ملموس في قوله: " مثل سائل أعجمي سأل عن مسمَّى لفظ الخبز فأرى رغيفاً وقيل له : هذا ..." [668]

إنَّ مثل هذه الشُّروحات المُؤجرأة مُفيدة في بيان دلالة اللَّفظ الغامض على السَّائل، ونهج التفسير في بيان دلالة الألفاظ وفق هذه الطريقة قد ينجح مع الألفاظ ذات الدَّلالة الملموسة، وتبقى الألفاظ ذات الدَّلالة المُجرَّدة تحتاج من المُفسِّر أن ينهج بها نهجاً مُغايراً لذا لم يقف المفسرون عند العنصر اللغوي المُحدِّد لدلالة اللَّفظ في عملية التفسير، بل راح جُلُّهم يُراعي جُملة من العلوم وهي " أشبه ما تكون بمراحل التحليل في النظرية السياقية ." [669]

---

666 - احمد مختار عمر، علم الدلالة، ص80.

• - والذي نقصده بالملموس ما أكَّده محمود فهمي حجازي في قوله: " وإذا كان علم اللغة قد أوضح أن المعنى هو حصيلة الاستخدام في المواقف الكلامية والثقافية المختلفة، وأن إيحاءات الرمز اللغوي هو حصيلة استخدامه في هذه المواقف، فإن تعليم اللغات أخذ يضع في اعتباره أن دلالة الكلمة، أو العبارة لا تتضح عند المتعلمين، ولا سيَّما المبتدئين إلا إذا وُظِّفت مرتبطة بمواقف استخدامها، فاستظهار قوائم المفردات لا يعني إدراك إيحاءات المعنى المراد ودلالة الألفاظ لا تكتسب إلا في مواقف استخدامها . "
(- محمود فهمي حجازي،علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ص53.)

668 - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد النصار، طبعة دار الجيل، ص53.

669 - حمودة طاهر سليمان، دراسة المعنى عند الأصوليين، دار المعرفة الجامعية، 1997 م، ص 221 .

إذا كان لمعرفة الألفاظ اللُغوية الأثر البالغ في الكشف عن دلالة الألفاظ ، فإنَ معرفة اللُغة لوحدها لا يُمكِنُ المُفسِرَ من بلوغ حقيقة الكشف والتبيين لكونه يتعامل مع نصٍ مُقدَسٍ، لذا بات لِزاماً على كُلِ مُفسِرٍ من الرُجوع إلى سبب النُزول باعتباره يُجسد دلالة النَصَ التي " يجب ألا تتوقف على تحصيل المعنى الحرفي أو المباشر، بل يجب أن تسعى إلى فهم المعنى الأبعد المباشر؛ ويتأتّى ذلك بملاحظة سياق المقال وسياق المقام، " [670] على أساس أنَ الظروف المحيطة بالنصَ جديرة بالاستقصاء، ويقصد بها مجموع الملابسات التي أنتج فيها النص، فهي كما عبَرَ عنها تمام حسان " مجموع العناصر الاجتماعية الثقافية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالنص الكلامي بهدف بلوغ المعنى المراد، فالسياق المقامي يضم المتكلم والسامع، أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر تم التراث والفولكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات. " [671]

وللتمكن من فهم خطاب لغوي ما، يتعين مراعاة مقام المتكلم وحالته النفسية والاجتماعية وغيرها، وفي شأن أهميته يقول ابن تيمية أنَهَا " تُعين على فهم الآية، فإنَ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسببِ، " [672] فهو بمثابة الإطار الذي يُعينه في تحديد معنى الآية، وحينما يُضبط بهذا المَعْلَم يُصبح من السَهل عليه الكشف عن دِلالة الألفاظ التي تتحرك ضمنه، فهو كما يقول حامد أبو زيد " إنَّ سبب النّزول أحياناً ما يُمكَن المُفسر من القراءة الصَّحيحة للنصّ، ومن ثمّ يجعله مُقارباً لاكتشاف الدّلالة وليس المقصود بالقراءة الصحيحة تصحيح النَّصّ، بل المقصود التَّوجيه الصَّحيح لدلالة الألفاظ والعبارات." [673]

---

[670]- علي توفيق الحمد، مفهوم النص بين الدلالة الحرفية والدلالة التَضمنية، مجلة جامعة البعث، المجلد 25 – العدد 9 - 2003م، ص48.

[671] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثالثة،1998م، ص 352.

[672] - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد النصار، ص60.

[673] - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1990م، ص 123 .

إنَّ المُفسِّر حينما يربط بين سبب النُّزول للنَّصّ القرآني ودلالات اللفظ الواحد المختلفة التي يُعبر عنها بالدلالة السياقية و" هي ما يكون قدْ طرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ والدَّلالات في الزَّمان المُتتابع بين العصور، وفي المجالات المُختلفة من علمية واجتماعية وفنيّة، فالكلمة

تكسب أبعاداً جديدة، أو تُحصر في إطار خاص، أو تُنْقلُ إلى مواقع لمْ تألفها قبل . " *(674)*

إنَّ دلالة اللَّفظ تتعدَّد تبعاً لتنوع السياقات التي تأتي في معاجم اللُّغة لحظتها يمكنه أنْ ينتقي في تفسيره الدِّلالة الأقرب إلى سبب النُّزول فيحدث بذلك ما يُسمَّى بالتأقلم بين العمليتين .

ومن مُنطلق ما وضَحنا يتَّضح لنا جلياً أنَّ لمعرفة سبب النزول فوائد تخدم معنى الآية، فينعكس ذلك على تجلية معناها وضبطه فيما فُسِّر، وكثيرة هي الحالات التي وقف عندها الباحثون في بيان أهمية معرفة سبب النُّزول كون أنَّ " تخصيص الحكم بالسبب عند من يرون أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فآيات الظهار نزلت بسبب ظهار أوس بن الصامت لما ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة، واستبان الحكم في هذه الآيات الكريمة من سورة المجادلة، وبناء عليه فإن الحكم المستفاد لا يتعدى تلك الحادثة، وحكم الظهار في غيرها يمكن معرفته بدليل آخر قد يكون قاسيا أو غيره، ومن المُسلَّم أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم أو القياس عليه إلا إذا علم سبب النزول، وبدون العلم به تصير الآية معطلة " *(675)* وعند الرجوع إلى تفسير قوله تعالى:

674- عدنان الخطيب، علم الدَّلالة العربي النظرية والتَّطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية 1988م، ص 22 .

675 - عبد الفتاح أبو سِنَّة، علوم القرآن، دار الشروق القاهرة، الطبعة الأولى 1416هـ / 1995م، ص80.

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [676]

إنَّ الذي يلتفت إلى تفسير هذه الآية يقف على ما يُذللِ معناها، والمتمثل في إيراد المفسرين لسبب نزولها فتتضح دلالة ألفاظها أكثر، عندئذٍ يحرص المفسرُ على تتبع حيثيات وقائع نزولها بدءا بالحدث العام إلى أسماء الشخصيات وما جرى بينهم من حوار، كما يتعرَض للأحداث الثانوية ذات الصلة بالحدث العام ليصل إلى النتيجة أو الحكم، وهو ما أورده البغوي في شأن نزول هذه الآية قوله: " نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، وكانت حسنة الجسم، وكان به لمم فأردها فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، و كان الظاهر و الإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فقالت: والله ما ذاك طلاق، وأتت رسول الله – ﷺ – وعائشة – رضي الله عنها– تغسل شق رأسه – فقالت يا رسول الله زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به؟ فقال رسول الله– ﷺ – حرمت عليه، فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، وإنَه أبو ولدي وأحبُ النَاس إليَ، فقال رسول الله– ﷺ – حُرِمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي..." [677]

إنَ المتأمل لما تضمنه نصُ سبب النزول يقف على حقيقة مفادها أنَ الالتفاتة إليه سبب في إزالة كثير من الغموض الذي قد يقف أمام القارئ، وخاصَة فيما يتعلق بالألفاظ التي تتحكم في المعنى الإجمالي، مِمَا يُؤثر سلبا على المتلقي، فيعيق فهمه لها جملة وتفصيلاً .

---

[676] - سورة المجادلة، الآية3.

[677] - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)، تفسير البغوي، معالم التنزيل تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، 8 / 49.

والحقيقة التي أقرَّها العلماء أنَّ سبب النزول لا تتحكم فيه دلالة الألفاظ الكامنة في الآية بل الموضوع العام الذي نزلت لأجله، " فاللَّفظ قد يكون عاماً ويقوم دليل على تخصيصه ، فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالاجتهاد والإجماع؛ لأن دخول السبب قطعي، وإخراجه بدليل التخصيص اجتهادي، والاجتهاد ظني، ولا يجوز إخراج القطعي بالظني، مثال ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [678] وسبب نزول هذه الآية حادثة الإفك المشهورة ولفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب وغير التائب، لكن الآية الأخرى استثنت من تاب، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [679]

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، [680] فلفظ الآية هنا عام ثمَّ خُصِص بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ " [681]

إنَّ المطَّلع على تفسيرها يثْبُت في ذهنه ويستقرُ ما نقله المُفسرون في شأن سبب نزولها باعتباره عاملاً مُساعدا على تحقيق معناها، ومِمَّا نقله الطبري في شأنها قوله: " والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنَّ بالزنا، ثُمَّ لم يأتوا على ما رموهُنَّ به من ذلك بأربعة شهداءَ عُدولٍ يشهدون عليهِنَ أنَهُنَّ رأوهُنَّ يفعَلنَ ذلك، فاجلدوا الذين رمَوهنَّ بذلك ثمانين جلدةً، ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً، وأولائك هم الذين خالفوا أمرَ اللهِ، وخرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .

وذُكِر أنَّ هذه الآيةَ إنَّما نزلتْ في الذين رمَوا عائشة زوج النبيِّ – ﷺ – بما رموها به من الإفكِ،" [682] ففي ثنايا تفسيره يكون بذلك قد أشار إشارات لطيفة لدلالة

---

678 - سورة النور، الآية 23 .
679 - سورة النور، الآية4.
680 - سورة النور، الآية5.
681 - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص134- 135.
682 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 224هـ / 310هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 17/ 161.

بعض من الألفاظ التي تضمنتها الآية ليقف على سبب نزولها مُكتفياً بالذكر في حقِّ مَنْ نزلتْ نتيجة شيوع الحادثة .

ثمَّ يستمرَ في تفسيره لها إلى حيث يقول: " وقال آخرون: نزلت هذه الآية في شأن عائشةَ، وعُنيَ بها كُلُ مَنْ كان بالصِفة التي وصف الله في هذه الآية، قالوا: فذلك حكم كُلِ مَنْ رمَى مُحصنةً لم تُقارِفْ سوءاً . " *(683)*

بقليل من التَمعن يُدرك القارئ لتفسير هذه الآية أنَّ الشيخ الطبري– رحمه الله – استعان بإيراد سبب نزولها، *(684•)* وأثبته في ثنايا تفسيره الأمر الذي أعانه على إجلاء دلالة ألفاظها .

وعموما فالنص القرآني كما يقول نصر حامد أبو زيد في كتابه السلطة الحقيقة " هو منظومة مجموعة من النصوص التي لا يُمكن فهم أيّ منها إلاّ من خلال سياقه الخاص أي: بوصفه نصّا،" *(685)* والأمثلة المُجسدة لهذا المسعى كثيرة منها على سبيل التمثيل ما وقف عليه عبد اللَّه الأشقر حينما وقف مُقارناً بين آيتين لاستنباط معنى لفظين في قوله: " وقد يحتج بعض الناس للقدرية الثقاة بقوله تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...﴾ *(686)* ويظنون أن المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية الطاعات والمعاصي، وهؤلاء أخطئوا الفهم، والمراد بالسيئات المصائب، ويدلنا على صحة هذا الفقه سياق النصَ، قال تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَو كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً

---

683 - المصدر نفسه ،17/ 228.

• - ولأهمية الإشارة إلى سبب النزول في الإعانة على بيان المعنى وإجلاء دلالة الألفاظ يقول عمارة ناصر: " ظهر أنَّ فعل إيجاد المعاني داخل النَص القرآني يتجدد بترميز المُعطى التاريخي (أسباب النُزول) وحمل اللُغة ببيانِها إلى خانة الرَمز حيث الحقيقة مُعلَقة بالإيمان كشرط للفهم ، وكشرط كذلك لتجويز العبارة من الوهم إلى الحقيقة. "
(- عمارة ناصر، اللُغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، ص108.)

685 - نصر حامد أبو زيد، النص- السلطة الحقيقة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء 1977م ، ص56 .

686 - سورة النساء، الآية 79.

﴾، (687) فالله يحكي عن المنافقين أنهم كانوا إذا أصابتهم حسنة مثل الرزق والنصر والعافية، قالوا هذه من الله، وإذا أصابتهم سيئة – مثل حزنٍ ومرضٍ وخوفٍ من عدو– قالوا هذه من عندك يا محمد أنت الذي جئت بهذا الدين عادنا الناس لأجله، وابتلينا لأجله بهذه المصائب، فالحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب. " (688)

إنَّ بلوغ حقيقة التفسير القرآني تدفع بالمفسِّر إلى تتبع آياته والغوص في تفسيرها الذي يقتضي تتبعها، والمقارنة بين نفس الآيات الواردة في سور مختلفة لاستنباط تفسير موضوعي.

والذي يمكن أن نشير إليه هو أنَّ السياق مهم في استجلاء كثير من الحقائق لذا تجاوز المفسرين، و" يبدو واضحاً في الدَّرس الأصولي بعامة إدراكهم للسياق بشقيْه اللُّغوي والاجتماعي واعتمادهم عليه في الفهم والاستنباط وتصورهم الدَّقيق لعناصره المُختلفة التي تشمل الموقف الكلامي بأسره وهم في ذلك يتفقون في الجوهر مع نظرية السياق بل إنَّ فريقاً من الأصوليين يكادون يُشبهون غلاة السياقيين المُحدثين " (689)

أثر القرينة في تحديد الدلالة السياقية عند المفسرين

ومِمَّا يقف عليه القارئ في كتب المُفسرين اعتمادهم على قرائن (690•) لغوية للتمييز بين دلالتي اللفظ الواحد والوارد في أكثر من آية، وهو ما يُعرف بالسياق اللساني، " وهو الحوالية أو المحيط الدلالي الذي يُحدِّد مدلول العناصر اللسانية، فيختلف المدلول باختلاف السياق التي يرد فيها، " (691) وهو يخص السياق الداخلي باعتباره لا يتعدى

---

687 - سورة النساء، الآية 78.

688 - عمر سليمان عبد الله الأشقر، القضاء والقدر، دار النَّفائس للنَّشر والتَّوزيع الأردن، الطبعة الثالثة عشر 2005م، ص 69.

689 - طاهر سليمان نحودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدَّار الجامعية للطباعة والنَّشر والتوزيع الإسكندرية 1983 م، ص 227 .

• - جمع قرينة وهي: " عنصر مُهمٌ لفهم الجملة فيها نعرف الحقيقة من المجاز ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة ونعرف الذكر والحذف وخروج الكلام عن ظاهره وما إلى ذلك ممَّا يحتمل أكثر من دلالة في التعبير."
(- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2000م، ص59.)

691 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982م، ص 69.

حدود النص الذي وجد فيه، والذي يساعدنا في معناه تلك القرائن النَّصية وهي بمثابة مظاهر لِأثر السياق في الدلالة .

وهي نوعان :

" أ – القرينة اللَفظية: وهي اللَفظ الذي يدلُ على المعنى المقصود ولولاه لم يتضح المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿... فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [692] فقوله:(من قبل) وضَح أنَ المقصود بقوله(تَقْتُلُونَ) هو الزمن الماضي وليس الحال أو الاستقبال، ونحو قوله تعالى:﴿...نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً...﴾ [693]

فقوله: إِلَـهاً وَاحِداً بيَن أنَ إلهه واله آبائه هو واحد وليس اثنين ".

" ب – القرينة العقلية: وهي التي تتضح من المنطق العقلي نحو(أكل الكمثري موسى) و(أرضعت الصغرى الكبرى) فإنَ العقل عيَن الآكل في الجملة الأولى والمرضعة في الجملة الثانية، ونحو قوله تعالى﴿ بَلْ مَكْرُ اللَيْلِ والنَهَارِ ﴾ [694] وقولهم (بنو فلان تطؤهم الطريق) وقوله (إذا ما نام ليل الهوجل) فإنَه لا يصحُ الإسناد إلى المذكور عقلاً، ونحو قوله تعالى: ﴿ و أُشْرِبُو فيِ قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾ [695]

فإنَ العجل لا يُشرب في القلوب وإنَ المعنى وأشربوا حبَ عبادة العجل." [696]

إنَ مثل هذه الاستنباطات لا يمكن بلوغها إلاَ إذا توصلنا إلى ضبط لفظ يكون بمثابة قرينة لهذا التخريج دون سواه، وبما أنَ القلب تقع فيه مثل هذه المكنونات حقَ له أن يكون نسج هذه الآية وفق هذا التركيب .

---

692 - سورة البقرة، الآية 91.
693 - سورة البقرة، الآية 133.
694 - سورة سبأ، الآية33.
695 - سورة البقرة، الآية93.
696 - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص 60- 61.

لقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية السياق في تحديد المعنى ووعوا بدوره الحاسم في توجيه دلالات العلامات اللغوية ولاسيما في نصّ القرآن الكريم، وهذا ابن قيّم الجوزية (ت751هـ) بدوره تناول مسألة السياق، ودليلنا في ذلك قوله " إن السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته. "[697]

مثل هذه التفسيرات كثيرة في القرآن الكريم، ولعلّ الدافع إلى العمل بمقتضى السياق والخروج إلى مُراعاة القرينة مكّن من بلوغ حقيقة تفسيرها، وهو ما نقف

عليه في قوله تعالى: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[698] إنَّ الباحث لوحدات هذه الآية معجميا يقف على شروحات وتفسيرات إن لم يربطها بالدلالة السياقية للآية، فلا يُمكنه أن يبلغ حقيقة معناها، وهو ما ذهب إليه الواحدي حينما تعرّض لسبب نزولها:" أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد قال:أخبرنا أبو سعيد بن حمدون قال: أخبرنا أبو حامد بن الشرقي قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال:أخبرني ابن أبي ملكية، أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لرافع بوابه: اذهب إلى ابن عباس وقل له: لئن كان امرؤ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل عذب، لتعذبن أجمعين، فقال ابن عباس:

ما لكم ولهذا ؟ إنما دعا النبي- ﷺ - اليهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ثم قرأ ابن عباس" ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ سورة آل عمران، الآية187. "[699]

إنَّ عملية التفسير في مثل هذه الحالات لا يُمكن لها أن تفي بغرضها المتمثل في الإحاطة بالمعنى وتبليغه إلاّ إذا راعى صاحبها الجانب السياقي الذي لا يتَّضح إلاّ بمراعاة القرينة التي بها " تُعين بعض المعاني، أو تُرجّح بعضها على بعض وهنا قامت

---

[697] - ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العربية، بيروت، ص 9 - 10.

[698] - سورة آل عمران، الآية 188 .

[699] - الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد،أسباب النزول، دار اكتب العلمية بيروت لبنان، ص79.

القرينة على تعيين المراد، إذْ لا يصحّ إرادة حرف الهجاء، لأنَّه مُركب من جميع حروف الهجاء ولا يصح إرادة الكلمات؛ لأن كلماته تعد بالألوف ولا يصح إرادة المعنى؛ لأن معانيه تزيد عن سبعة فتعين أن يكون المراد: الجهة، والجهة تأتي بمعنى الوجه، ويشهد لهذا الاستعمال مجيء الحرف بمعنى الوجه قول الله تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [700] فقد قال بعض المفسرين فيه: على ضعف من العبادة، أو على وجه واحد: وهو أن يعبده على السراء دون الضراء كما في تفسير القرطبي. " [701]

والحقيقة التي لا مناص منها في المجال السياقي هو أنَّ القرينة تتحكم فيها جملة الألفاظ التي يتضمنها النَّص؛ لأنَّ الفلك الذي تدور فيه لا ينسجم إلاَّ بها " لِذا يرى فيلمور" filmor" أنَّه لا يُمكِنُ وصف معنى الفعل دون الأخذ بعين الاعتبار ((للحالات)) "cas" التي يُمكِنُ أنْ يتّخذها سياق ما: بمعنى العلاقات التي بإمكان الفعل القيام بها مع الألفاظ المُعجمية الأخرى القابلة لمُصاحبته والتي تُشكل مُحيطه الفعلي ..." [702]

مثلما هو الشأن بالنسبة للفظ " اسْتَوَى " في قوله تعالى: ﴿ هُو الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، [703] فالرازي مثلاً يخصِّصُها بقوله: " حدَّثنا عصام بن وواد ثنا آدم أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء يقول: ارتفع." [704]

وبهذا يكون تخريجه أقرب إلى القرينة المُعتمدة والواردة في نصِّ الآية وهي " السماء " وقصد مُقارنة دلالة اللَفظ نفسه والوارد في موضع أخر، وهو ما نقف عليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ

---

[700] - سورة الحج، الآية 11.

[701] - محمّد محمّد أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرءان الكريم، دار اللّواء للنَّشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الثالثة 1987م ، المملكة العربية السعودية ،ص175.

[702]- كرستيان ككنبوش، الذَّاكرة واللُّغة، ترجمة عبد الرّزاق عبيد، دار الحكمة - السُّداسي الأوَّل – 2002م الجزائر ، ص41 – 42 .

[703] - سورة البقرة، الآية 29.

[704] - الرازي، تفسير الفخر الرازي، 2 / 75.

الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [705] علَق على تفسيرها الرَازي بقوله: " حدثني الحكم بن أبان قال: سمعت عكرمة يقول: إنَ الله بدأ خلق السماوات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة..." [706] ولابن تيمية رأي في دلالة هذا اللفظ والمتمثل في قوله: " وقد فسَّر فريق من العلماء الاستواء إلى السماء بالعمد والقصد إليها لخلقها.

وهو يرفض أنْ يكون الاستواء على العرش مثل الاستواء إلى السماء، ملاحظا الفرق بين أداة التعدية إلى الفعلين: في الاستواء الأول عُدِيَ الفعل بـ إلى، وفي الاستواء الثاني عُدِي بـ على، فلا يُفسر على العرش بالعمد للفرق بين معنيي الاستوائيين. " [707]

مثل هذه القراءات للآيات القرآنية الهادفة إلى استنباط تفسير مُنبثق عن المكونات اللَفظية للآية تجسيد فعلي لعملية دخول القراءة " إلى السياق، وهي محاولة تصنيف النص في سياق يشمله مع أمثاله من النصوص التي تمثل (أفقية) فسيحة للنص المقروء تمتدُ من دخوله ومن قلبه وتفتح له طريقا إلى المستقبل." [708]

ومن مظاهر السياق الذي اهتمَ بها البحث في هذا المجال ما له علاقة بالمتكلم حيث تفرض عليه بعض المواقف الكلامية الميل " إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة اكتفاء ببعضها الآخر، فيكون هناك مُستويان للجملة، أحدهما: غير منطوق به، وهوما يُسمَى في المنهج التحويلي بالبنية العميقة (DEEP STRUCTUR E) والثاني: منطوق به، وهوما يُسمَى بالبنية السطحية(SURFACE STRUCTURE) وتخضع مثل هذه المصطلحات لِما يُسمَى عند اللُغويين العرب بالأصل أوالأصل المُقدَر وكُلُها ظواهر

---

705 - سورة الأعراف، الآية 54.

706 - الرازي، تفسير الفخر الرازي، 6/ 1497.

707 - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، مكتبة وهيبة القاهرة، الطبعة الأولى 1995م، ص 20.

708 - عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير: من البنيوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الثالثة، 1993م، ص80 .

تقوم في معظم جوانبها التفسيرية على أساس عقلي، " [709] وهوما وقف عليه المفسرون في كثير من الآيات القرآنية كتلك التي نقف عليها في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [710] حيث جاء تفسيرها في الكشاف مُراعياً لذلك في قوله:" (أيحسبون)، يعني: بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور، حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك: أهو استدراج، أم مُسارعة في الخير ؟

فإن قلت: أين الراجح من خبر أنَّ إلى اسمها إذا لم يستكنَّ فيه ضميره ؟ قلت: هو محذوف تقديره: نسارع به، ويسارع به، ويسارع الله به." [711]

مثل هذه الظواهر كثيرة في القرآن الكريم، وقد اجتهد المُفسرون في تبيينها والوقوف عليها في أكثر من موضع منه كذلك ما نقف عليه في قوله تعالى:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [712]، فالمُتأمل لهذه الآية يستخلص حقيقة لغوية مفادها أنَّ مضمون الآية يتضمن شيئاً من الحذف، فالصَّبر لا يكون إلاَّ على المكاره الذي لم يُصرِّح به القرآن، وإنَما تركه للاستنباط، لذا جاء في تفسير الزمخشري قوله: " ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ على الظلم والأذى ﴿ وَغَفَرَ ﴾ ولم ينتصر وفوَّض أمره إلى الله ﴿ إِنَّ ذَلِكَ﴾ منه ﴿ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ وحذف الراجح لأنَّه مفهوم. " [713]

مِمَّا سبق تحليله في هذا المنحى والمتعلِّق بالبحث في مجال الألفاظ في المعجم وفي التفسير يُمكن للقارئ أنْ يستخلص فهم المُعجميين للسياق من خلال ما سعوا إليه من تنفيذ في معاجمهم من خلال إحاطتهم بمُختلف الدَّلالات الخاصة باللَّفظ، والذي يوحي في كثير مِمَّا بيَّنا من أمثلة مُستوحاة من أعمالهم أثناء تتبَّعهم لدلالة اللَّفظ الواحد ما يُضاهي حقيقة النَّظرية السياقية، وما تدعو إليه لبلوغ دلالة اللَّفظ وكيفية تحقُّق معانيه .

---

709 - مصطفى النحاس، من قضايا اللُّغة، الطبعة الأولى 1995م الكويت، ص9 .
710 - سورة المؤمنون، الآية 55- 56.
711 - الزمخشري، الكشاف، 4 / 236.
712 - سورة الشورى، الآية43.
713 - الزمخشري، الكشاف ، 5 / 418

وإذا كان للمُعجميين أثناء تعاملهم مع الألفاظ هذا الأثر في إجلاء دِلالتها من خلال ما وقفنا عليه من شروحات، كاعتمادهم على البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة، أو العبارة، أو الجملة و هو ما يستمد من السياق الاجتماعي، كما أثبتوا أنَّ المعنى المستخلص من تركيب ما لا يفهم من كلمة واحدة، بل يُفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، وهو ما وقفنا عليه كأصول للنَّظرية السياقية عند المُحدَثين .

كذلك هو الشأن بالنسبة لعلماء التَّفسير الذين لهم الفضل في إرساء هذه النَّظرية من خلال مُراعاتهم أثناء تفسيرهم لكثير من الآيات القرآنية المفتوحة للاجتهاد والتَّدبُّر حيث راعوا فيها الكثير من القرائن اللَّفظية أثناء تفسيره إيَّاها، و هو ما دعا إليه علماء النَّظرية السياقية و ركَّزوا على لفت الانتباه إليه، الأمر الذي يوحي إلى فهم علماء التفسير لهذا المُعطى اللُّغوي، و مراعاته في التفسير القرآني .

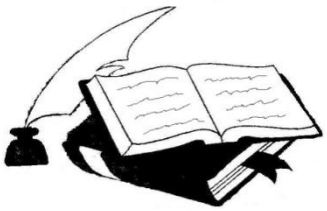

الخاتمة

هل يُعقل في خاتمة البحث أنْ نجزم القول فيما توصلنا إليه من خلال مناقشتنا لمحاوره ؟ كلٌ ما في أمر البحث العلمي أنَنا قد محورنا الإشكال الخاص بالألفاظ تاركين فضاء للقارئ في تصوَر كثير من الإشكالات ذات الصِلة بالألفاظ و علاقتها بالمعجم و التفسير و التَأويل و السياق.

و من العناصر التي نراها كفيلة بالتفات القارئ المُتخصِّص إليها، و البحث في أبعادها آملين في أنْ يضيف إليه بما يرقِّي فهم الأمَّة للُغتها.

و لعلَّ أهمّ ما يعرض له الباحث في مسألة دلالة الألفاظ عند المعجميين تعرِّضهم لجملة من القضايا قصد إرساء المعنى المعجمي و هو ما بينوه من خلال عرض عناصره التي حرصت على شرحها و التطبيق عليها من معاجم متنوعة.

و بالمُقابل كيف تعامل المُفسرون مع اللَّفظ ؟

عندما وصل بنا الحديث إلى فصل التفسير كشفت عن أنواعه مع التركيز على التفسير بالرَّأي المحمود بغية إقرار عملية الائتلاف الحاصلة بين الألفاظ و المعاني في القرآن الكريم إلاَّ أنَ ألفاظ القرآن الغريبة ليست دوما مرتبطة بالمعنى الغريب الأمر الذي انتبه إليه مفسرو القرآن الكريم فوقفوا حيث ينبغي الوقوف لتذليل المعنى و إجلائه، و هو ما بيَّناه من خلال بعض الألفاظ الواردة في تفسير بعض الآيات القرآنية.

و لإثبات ذلك توسَّعنا في أهمَّ العوامل المساعدة على إجلاء دلالة الألفاظ في التفسير قصد إثبات خروج المفسرين أثناء تفسيرهم للقرآن – كُلَّما اقتضى الأمر– إلى ربط العملية بما لها علاقة بأسباب النزول و قراءاته و غيرها من العوامل التي لها دخل في معانيه باعتبار أنَّ ألفاظ هذه الآيات تأثرت بما هو غير مُعجمي .

و عن حقيقة الألفاظ، و كيف هي في واقع الفعل التأويلي لم نكتف بما له علاقة بالتفسير في بيان حقيقة اللفظ بل خرجنا إلى التَّأويل بُغية إثبات الفرق بين المعنى اللُّغوي الظَّاهر المجرد، و المعنى اللَّغوي الباطن الذي يفهم من اللفظ، فالأوَّل عام يعرفه كل من يعرف اللسان العربي، أمَّا الثاني فهو ما يُعرف بالمعنى الباطني، و هو خاصٌّ .

و لمعرفة حقيقة البحث اللَّغوي في شأن الألفاظ و ما يتَّصل بها تتبعنا ما جاءت به النَّظرية السياقية في المجال لبيان فهم القدامى للسياق، و هو ما بدا منهم كفهم إجرائي في كثير من المحطَّات التي عالجناها.

هذا ما وفَّقني الله إليه في هذا البحث، فصوابه كُلَّه من الجليل الرَّزاق، و خلله و نقصه مِنِّي و من الشَّيطان، أسأله العفو و المغفرة، و أنْ يجعل ما أنجزناه نافعاً، و صلَّى الله على نبيِّنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و الحمد لله ربِّ العالمين .

و الله وليَّ التَّوفيق

قاسم قادة بن الطيِّب

الفهارس :

-فهرس الآيات القرآنية

-فهرس الشواهد الشعرية

-فهرس المصـادر والمراجع

-ملخص الرسالة باللغتين الفرنسية و اللإنجليزية

-فهرس موضوعات

السورة	الآية	الرقم	الصَفحة
	﴿ الم ﴾	01	194
	﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا...أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	09	246
	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم ... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	29	259
	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ... إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	31	14

	﴿...لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	38	162
	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ ... مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	49	56
	﴿..يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ..إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	54	243
	﴿ إِنَّ الصَّفَا ... فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾	58	166
	﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...	89	151
	﴿... فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	91	256
	﴿ وَ أُشْرِبُو فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾	93	256
	﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ... مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾	101	151
البقرة	﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	106	189
	﴿ مقام إبراهيم ﴾"	125	184
	﴿...نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ ...وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً...﴾	133	256
	﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ... فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾	158	84
	﴿ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ... إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	184	198
	﴿ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾	187	192
	﴿ ... قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ... ﴾	217	145
	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ...﴾	228	3 -72 172
	﴿... وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	70
السورة	**الآية**	**الرقم**	**الصَفحة**
	﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾	07	3 -69
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾	102	189
آل عمرا	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ... وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	193
	﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾	187	258
	﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	188	257
	﴿... فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾	03	72
	﴿ وَ اعْبُدُواْ اللّهَ... مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾	36	208
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾	43	170

النساء	﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ ... وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾	65	162
	﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَ نَّفْسِكَ ...﴾	78	254
	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ...لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثً	79	254
	﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ... لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾	82	165
	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ... وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾	92	199
المائدة	﴿... أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ... ﴾	06	72
	﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾	24	73
	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ... وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	38	74
	﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾	54	137
الأنعام	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى ... إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون﴾	21	92
	الآية	**الرقم**	**الصَفحة**
	﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ ... هُم مُّبْلِسُونَ﴾	44	175
	﴿... و آتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ... ﴾	141	135
الأعراف	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالا تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	54	259
الأنفال	﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً...﴾	25	204
	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِين...قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾	65	191
	﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ ... وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	66	191
التوبة	﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ ... وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾	56	156
يونس	﴿...وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ...كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾	39	215
	﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	64	164
هود	﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا ... بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾	69	210
يوسف	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ ... وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾	49	181

	﴿ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً ...	85	171
إبراهيم	﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ... لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾	34	92
الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	9	16
النحل	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِي	58	193
	﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ...﴾	72	214
الإسراء	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ ... فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾	16	182
	﴿ و لا تقربوا الزّنا﴾	32	71
	﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ ...كَانَ مَنْصُوراً ﴾	33	2-71
	الآية	**الرقم**	**الصَفحة**
	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾	70	24
الكهف	﴿... إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾	6	63
	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو ... مَوْئِلاً ﴾	58	92
مريم	﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾	71	83
	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾	83	216
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ... الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾	96	214
طه	﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ ... كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾	15	196
	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾	59	92
	﴿لاَ تَرَى فيهَا عِوَجَاوَلاَ...﴾	107	242
الأنبياء	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ... أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾	98	63
الحج	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾	11	258
	﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾	21	92
	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ... إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾	63	170
	﴿ افْعَلُوا الخَيْرَ ﴾	75	73
المؤمنون	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ... إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾	27	26
	﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ ..بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	55-6	261
النور	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ... وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	4	71. 179-
	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ... فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	5	179- 63
	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	23	178- 62

	﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِي	64	200
الفرقان	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ... اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾	27	92
	الآية	**الرقم**	**الصَفحة**
	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾	33	155
القصص	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ... وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	38	196
الروم	﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى ... ﴾	10	90
	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ ... لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾	22	09
الأحزاب	﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ ... إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴾	13	183
	﴿... وَمَا كَانَ... إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾	53	218
سبأ	﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَهَارِ ﴾	33	256
فاطر	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ ... إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	28	187
الصافات	﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾	142	55
الزمر	﴿... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ...﴾	6	248
	﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ... ﴾	75	8-127
فصلت	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... ﴾	30	162
الشورى	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	43	261
محمد	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	24	165
الفتح	﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ ... عَذَاباً أَلِيماً ﴾	16	166
ق	﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	18	60
الواقعة	﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ ﴾	46	88- 95
	﴿ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾	76	156
السورة	**الآية**	**الرقم**	**الصَفحة**
المجادلة	﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ ... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	3	177- 181
الصف	﴿ ...كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾	4	139
التغابن	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا... ﴾	16	189

الطلاق	﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ ... مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾	4	172
الحاقة	﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ﴾	28	148
نوح	﴿ و لا يَلِدُوا إلاَّ فاجِراً كفَّاراً ﴾	27	213
الإنسان	﴿ و ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْليلاً ﴾	14	138
عبس	﴿ و فاكهةً و أَباً ﴾	31	237

فهرس الشواهد الشعرية

الر	الشاهد	القائل	الصف
1	سَلومُ، لو أصْبَحْتِ وَسَط الأعْجَمِ في الروم أو فارسَ،أو في الدَّيْلَم إذًا لزُرْناكِ ولو بسُلَّـم	//	29-3
1	وَطالمَا وَ طالمَا وَ طالمَا *** غلبْتُ عَاداً،وغلبْتُ الأعْجَمَا !	أبو النج	29-
3	ولا ترى مثلها عُجْمٌ و لا عَرَبٌ	ذو الرم	29-3

4	مَنْهَلٌ لِلْعِبادِ لا بُدَّ مِنْهُ *** مُنْتَهى كُلِّ أَعْجَمٍ و فَصِيحِ	//	29
5	**فإيَاكُم أَنْ تَكْشِفُوا عَنْ رُؤُوسِكُم*** أَلَا إِنَ مغْنَاطِيسـهن الذَوَائِبُ**	أبو نصر نباتة	43
6	إنَّ الكَرِيمَ بِلا كِرَامٍ مِنْهُمْ *** مِثْلَ القُلُوبِ بِلا سُوَيْداراتِهَا	المتبنى	43
7	و النَّفس راغبة إذا رغَّبتها*** و إذا تُرَدُّ إلى قليل تقنعُ	أبو ذؤيب الهذلي	48
8	إنَّ الذين غدوْا بلبّك غادروا *** و شلا بعينك ما يزال مَعينا عيّضْن من عبراتهنَّ و قُلْنَ لي**ماذا لقيت من الهوى و لقينا	جرير	48
9	ما عابَتِ المرءَ الكريمَ كنفسِه**و المرءُ يُصلحُه الجليسُ الصالحُ	لبيد بن ربـ	48
0	و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني *** شاوٍ مِشلٌّ شَلولٌ شلْشلٌ	الأعشى	48
1	فكَانَ تَدانِينَا و عَقْدُ عِذَارِهِ **و قَالَ صِحَابِي: قَدْ شَأَوْنَكَ فاطْلُبِي	امرؤ القيس	55
2	و ذاكَ فتًى إنْ تَأتهِ في صَنيعَةٍ *** إلى مالِهِ لا تَأْتِهِ بِشَفيعِ	الحطيئة	61
الر	**الشاهد**	**القائل**	الصف
3	يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِي**أَغْشى الوَغَى و أَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَ	عنترةَ	61
4	على مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ*و عنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ و البَذْلُ	زهير	61
5	أَقُولُ لأُمِّ زِنباعٍ:أَقِيمِي*** صُدُورَ العِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمِ	أبو زِمبا الجُذاميّ	65
6	قَوْمِي هُم قَتَلوا أُمَيْمَ أخِي *** فإذا رميتُ يُصِيبُني سَهْمِي فلئنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً *** و لئن سَطَوْتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي	وَعلة بن الـ	66
7	ألا كُلُّ شيء سِوَاهُ جَلَلٌ	امرؤ القيـ	66
8	رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صمِّاء *** كُدْرِيَةٍ أَعْجَبَها بَرَدُ المَاءِ	//	83
9	كانت تحُجُّ بنُو سَعْدٍ عِمَامَتَهُ *** إذا أهَلُّوا على أنصابِهم رَجَ	//	84
0	هيَ مَا كَنَّتي و أَزْ *** عُمُ أَنِّي لَها حَمْؤُ	الأصمعـ	91
1	كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كاسْتَقِمْ *** اِسْمٌ و فِعْل ثُمَّ حَرْف الكَلِم	ابن مالك	96
2	تَقِيٌّ نَقِيٌّ لمْ يكثرْ غَنيمة *** بنكهةٍ في قُرْبى و لا بحقلدٍ	//	98

3	صَمَّ صَدَاهاَ و عَفاَ رَسْمُهاَ *** و اسْتَعْجَمَتْ عنْ مَنْطِقِ السَّا	امرؤ القيـ	08
4	فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى *** يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا	عبيد بن الأ	11
5	لَقَدْ نَطقَ المأمُونُ بالصِّدْقِ وَ الهُدَى*و بيَّنَ للإسْلامِ دِيناً و مِنْهـ	سفيان بن الحار	11
6	عتادُ امرئٍ لا يَنْقُضُ البعدُ همَّهُ*طَلُوبِ الأعادِي واضحٍ غيرِ خا	النابغة	17
الر	**الشاهد**	**القائل**	**الصف**
8	واذكرْ غُدانةَ عِدَّاناً مُزنَّمةً *** من الحبَلَّقِ تُبْنَى حولَه الصرَّ	//	17
9	و كُلِّ طُوَالةِ عَتِدٍ نِـزاقٍ	سلامة	18
0	قالت سُليمى أنْ رأتْ حفوفي*مع اضطراب اللَّحمِ و الشُفوفي	رُؤبة	26
1	كأنَ جناحيْ مَضْرَحِيٍّ تكنَّفا*حِفافيْهِ شُكَّا في العسيبِ بِمِسْرَدِ	طرفة	28
2	و أَرْعَنَ مَجْرٍ عليه الأدا*ةُ ذي ثُدْرَإٍ لَجَبٍ جَحْفَلِ	الليث	32
3	بَنِي أُمِّ ذِي المَالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ *و إنْ كانَ عَبْداً سيِّدَ القَومِ جَحْفَ	أوس بن ح	32
4	كأَنَّ ثناياها بنَاتُ سَحابةٍ *** سَقاهُنَّ شُؤْبُوبٌ مِنَ الغَيْثِ بَاكِ	//	50
5	فَعَلاَ فُرُعَ الأَيْهُقَانِ و أَطْفَلَتْ *** بالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُها و نَعَامُهاَ	لبيد	52
6	أَنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا *وَ يَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَ يَخْتَصِـ	المتنبي	58
7	نَحْنُ في المَشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى *** لاَ تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنتَقِرْ	طرفةُ	26
8	قدْ هرَّمَتْنِي قَبْلَ إِبَّانِ الهَرَم * وَ هيَ إذا قُلْتُ كُلِي قَالَتْ نَعَمْ صَحِيحَةُ المِعْدَةِ مِنْ كُلِ سَقَمْ * لَوْ أَكَلَتْ فِيلَيْنِ لمْ تَخْشَ البَشَمْ	ابن الأعرا	36
9	**طربت و ما شوقا إلى البيض أطرب* و لا لعبا منّي و ذو الشيب يلعب**	الكميث	39
0	**يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً ؟* قالَ: نَعَمْ ! أَعْرِفُهُ ! وَ أَ بْلَسَا !**	العجاج	75
1	عَذتْ بِما عاذَ به إبراهِيم *** مُستقبِلَ الكعبَةِ و هو قائم	زيد بن عم	84
2	لهُم راحٌ و فارُ المِسكِ فيهم *** و شاوِيهم إذا شاءُوا حنيذُ	//	11
3	**ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا*** و قَضَى عليْكَ بِهِ الكِتَاب المُنْزَلُ**	الفرزدق	17
4	و شجَرَ الهُدابَ عنْهُ فَجَفَا *** يَسَلْهَبَيْنِ فَوقَ أَنْفٍ أَذْلَفَا	//	34

فهرس المصـــادر والمـراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أولا- المصـــادر:

- ابن أبي الإصبع المصري(585هـ554هـ):

01.بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف،نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع .

- ابن أبي العزً

02.شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الألباني المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة التاسعة 1409هـ /1988م .

– ابن الأثير(ضياء الدين بن الأثير - 637هـ)

03.المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر،تحقيق الشيخ كامل محمد محمد عويضة،دار الكتب العلمية،بيروت 1998م.

- **أحمد بن فارس(بن زكريًا الرازي اللغوي)**

04.الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق:عمر فاروق الطباع،مكتبة المعارف بيروت،الطبعة الأولى 1414هـ 1993م .

– الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري282هـ/ 370هـ)

05.تهذيب اللغة،تحقيق:عبد الكريم العرباوي، عبد السلام هارون، عبد العظيم محمود، عبد الله دروديش، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف و الترجمة.

- **الأصفهاني (الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد502هـ)**

06.المفردات في غريب القرآن، تحقيق: وضبط سيد محمد كيلاني،دار المعرفة بيروت لبنان.

- **الأنبا ري (عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت577هـ)**

07.أسرار العربية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين الطبعة الأولى1997م،دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

- **الآمدي (سيف الدين أبو الحسين علي بن محمد- ت631هـ)** :

08.الإحكام في أصول الأحكام،تحقيق: سيد الجميل،دار الكتاب العربي،الطبعة الثانية،1986م.

- **الباقلاني (القاضي أبو بكر محمد بن الطيب- 403هـ):**

09. إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر،دار المعارف مصر،د. تا.

- **البغدادي (أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد**

10.الناسخ و المنسوخ، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي،دار العدوى عمان الأردن،د. ط – د. تا.

- **البغوي (الإمام محي السنة أبي محمد الحسين بنِ مسعود(ت516هـ)**

11. تفسير البغوي،معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النَمر و آخرون،دار طيبة للنَشر و التَوزيع الرياض 1411هـ .

- **أبو البقاء العكبري**

12.مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، حلب 1972م.

- **أبو بكر بن العربي**

13. آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية،تحقيق عمَّار طالبي،الشركة الوطنية للنَّشر و التَّوزيع 1981 م .

- **أبو بكر محمد بن الحسن الزوبيدي الأندلسي)**

14.طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق: محمد بن أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف مصر 1973م.

- **التَّحتاني (قطب الدّين الرَّازي)**

15.تحرير لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار،مطبعة السَّناوي القاهرة 1303 هـ،عن طريق عادل فاخوري علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت، الطبعة الأولى 1985م.

- **ابن تيمية تقي الدين أحمد**

16.الإكليل في المتشابه و التأويل، تعليق محمد الشيمي شحاتة، دار الإيمان للطبع و النشر و التوزيع 2002م .

17.مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة السعودية، 1416هـ/ 1995م، الطبعة الثانية .

18. المسودة، جمعها أحمد بن محمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي،تحقيق محمد محي الدين دار الكتاب العربي بيروت،د . تا .

19. مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد النصار، طبعة دار الجيل .

- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - 255هـ)**

20. البيان و التّبيين، تحقيق: وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و التَّوزيع، د. تا.

21. الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

- **الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن- 471هـ)**

22. دلائل الإعجاز،(في علم المعاني)، تصحيح و تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطِّباعة و النَّشر بيروت – لبنان 1402 هـ / 1981 م .

- **ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)**

23. الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوقيفية، د. تا .

- **ابن الجوزي**

24. نزهة الأعين النَواظر في علم الوجوه و النَّظائر، تحقيق: محمد كاظم الرَّاضي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة،1987م.

- **الجوهري (إسماعيل بن حماد)**

25. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرَّابعة 1990م .

- **الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله ت478هـ)**

26. البرهان في أصول الفقه ، تحقيق: عبد العظيم الديب،دار الأنصار القاهرة،ط2 ،1979م.

- **الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم 319هـ388هـ)**

27. بيان إعجاز القرآن،تحقيق:محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1976 م .

- **ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين 732هـ - 808هـ)**

28. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت 2004 م .

- **ابن دريد محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ)**

29.جمهرة اللُّغة،الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد 1344هـ .

- **الرازي (الإمام فخر الدين بن عمر بن الحسين 544 – 604هـ)**

30.تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان ،الطبعة الأولى 1401هـ 1981م .

31.المناظرات لشيخ المُتكلمين و المنطقيّين، تحقيق:عارف تامر،مؤسسة عزّ الدّين للطّباعة والنَّشر بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1992 م.

32.نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق نصر الله حاجي،دار صادر بيروت،الطبعة الأولى 2004م.

– الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني296 هـ 386هـ)

33.النكت في إعجاز القرآن.د . ط د . تا .

- **الزَّركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)**

34.البحر المحيط في أصول الفقه،ط2،مكتبة الآء الصفاة،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية،الكويت 1992م .

35.البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية صيدا – بيروت 2005 م.

- **الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر . ت 538هـ)**

36.أساس البلاغة تحقيق محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

37.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار المعرفة بيروت لبنان ، د – ط . د تا .

– سراج الدين أبي حفص (عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأوسي ت 751هـ)

38.زهر الكِمامِ في قصَة يوسف عليه السلام،تحقيق كمال الدين علام، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى 2003م.

– السكاكي (يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي(ت626هـ)

39.مفتاح العلوم ضبطه نعيم زرزو، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1989م .

- **أبو سليمان (أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي319هـ -388هـ)**

40.ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني و الخطّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1976م.

– سيبويه (أبو بشرعمرو بن عثمان . ت 180هـ)

41.الكتاب، تحقيق:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي القاهرة،الطبعة الثانية1983م.

- **ابن سينا (أبو علي بن عبد الله ت428هـ)**

42.العبارة (الشفاء)،تحقيق محمود الحضري القاهرة 1970م.
– السيوطي(أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر-ت 911هـ)
43.الإتقان في علوم القرآن،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1987م .
44.الدُّرُ المنثور في التفسير بالمأثور،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1 ،2003م.
45.المزهر في علوم اللغة العربية و أنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي،الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث القاهرة .
46. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى 1988م .
– الشَّاطبي (أبو إسحاق. ت790هـ)
47.الموافقات في أصول الشَّريعة، تحقيق:عبد الله درار، دار المعرفة بيروت لبنان.
- الشافعي (محمد بن إدريس- ت204هـ)
48.الرسالة ، تحقيق: أحمد شاكر ،مكتبة دار التراث القاهرة.
– الشّريف (المرتضي بن الحسين الموسوي العلوي355هـ436هـ)
49.أمالي المرتضي غرر الفوائد و دُرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الكتاب العربي،بيروت لبنان،ط2 ،1967م .
- الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجكني - 1325هـ / 1393 هـ)
50.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،دار الفكر بيروت لبنان 1416هـ 1995م.

- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير224هـ/310هـ)
51.تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان.
- أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب(200هـ /291هـ)
52.مجالس ثعلب شرح و تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1960م.
- أبو عبيد القاسم بن سلاَّم ت224هـ 838م)
53.الغريب المصنَّف،تحقيق:محمد المختار العبيدي،دار مصر للطباعة،الطبعة الثانية 1416هـ 1996م .
– العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد-395هـ)
54.كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر،تحقيق: علي محمد البيجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الأولى 1952م، دار إحياء الكتب العربية .
- ابن عطية (القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي– ت 546هـ)

55.المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تحقيق:عبد السلام عبد الشَّافي محمد،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،2001م.
- **العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين. ت 616هـ)**
56.إملاء ما مَنَّ به الرحمن مِن وجوه الإعراب و القراءات في ميع القرآن،تحقيق: إبراهيم عطوة، طبعة مصطفى البابي الحلبي 1969م .
– الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد-505هـ)
57.المُستصفى في علم الأصول، تحقيق: الشيخ محمد مصطفى أبو العلاء،شركة الطباعة الفنية المُتحدة،طبعة 1971م .
58.معيار العلم ، تحقيق: سليمان دنيا دار المعارف مصر 1991 م .
59.المقصد الألسني في شرح أسماء اللَّه الحُسنى،مكتبة الجندي القاهرة 1968م.
60.المنخول من علم الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، الطبعة الثانية، دار الفكر دمشق 1400هـ .
- **الفارابي**
61.العبارة، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب القاهرة 1972م .

- **ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395هـ)**
62. مجمل اللُّغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة العراق، الطبعة الثانية 1986م .
63.مُعجم مقاييس اللُّغة، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطِّباعة و النَّشر و التَّوزيع ،طبعة 1979م.
– الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد100_175هـ)
64.معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي .
-**أبو القاسم الزجاجي**
65.الإيضاح في علل النحو،تحقيق:مازن المبارك، دار النفائس،بيروت،ط2 ،1416هـ.
- **القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت546هـ)**
66.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمي بيروت،الطبعة الأولى 1422هـ / 2001م .
- **قتادة بن زعامة السدوسي ت 117هـ)**
67.الناسخ و المنسوخ في كتاب الله تعالى، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الثانية 1985م .
– ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم213هـ / 276هـ)
68.تأويل مشكل القرآن، شرحه و نشره السيد أحمد صقر القاهرة، دار التراث 1393هـ / 1973م .
69.المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة الطبعة الثانية،دار المعارف مصر،د.تا .
– القرافي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس- 684هـ)

70.شرح تنقيح الأصول في اختصار المحصول من الأصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، الطبعة الأولى ،1973م .
- **القرطبي (محمد ابن أحمد الأنصاري-671هـ)**
71.الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، 2006م .

- **ابن القيم الجوزية (شمس الدين . ت751هـ)**
72.إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، تقديم وتعليق، محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،1425هـ/ 2004 م .
73.بدائع الفوائد، دار الكتب العربية بيروت .
74.الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،د. تا.
- **ابن كثير (الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ)**
75.تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار الأندلس للطباعة و النَّشر و التوزيع بيروت لبنان .
- **ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي 600هـ - 672هـ)**
76.الألفية في النَّحو و الصرف، دار الإيمان دمشق وبيروت 1932 م .
- **المبرد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد 210هـ / 285هـ)**
77.الكامل للمبرد في اللغة و الأدب، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت2004م.
78.المقتضب، تحقيق: حسن حمد، راجعه أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،الطبعة الأولى1420هـ / 1999م .
- **أبو محمد مكي بن أبي طالب القيْسي(355هـ 437هـ)**
79.الكشف عن القراءات السبع و عِلَلِها و حِجَجِها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة 1997م .
- **محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)**
80.تفسير البحر المحيط،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م .
- **أبو منصور الثعالبي(عبد الملك بن محمد بن إسماعيل 350هـ / 429هـ)**
81.الإعجاز و الإيجاز، الطبعة الأولى 1867م المطبعة العمومية مصر.
82.فقه اللغة و سرِّ العربية، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى2006م.

- **ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرَّم بن عليً بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة 630هـ / 711هـ)**

83.لسان العرب،تحقيق: عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة طبعة جديدة محققة .

– النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي - ت303هـ):

84.تفسير النسائي،تحقيق:صبري عبد الخالق الشافعي، سيِد بن عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت،الطبعة الأولى 1990م .

– ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري ت761هـ)

85.قطر النَّدى وبلَّ الصَّدى، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب،الجزائر، د . ط د. تا .

86.مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة الثانية، 1969م .

- **أبو هلال العسكري،(ت402هـ)**

87.الفروق في اللُّغة، تحقيق: لجنة إحياء التُّراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت،الطَّبعة الخامسة1401 هـ / 1981 م .

88.الفروق اللُّغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، د . تا .

- **الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد**

89.أسباب النزول، دار اكتب العلمية بيروت لبنان .

- **ابن يعيش (موفق الدين بن البقاء– 336هـ)**

90.شرح الملوكي في التَّصريف،تحقيق:فخر الدين قباوة، المكتبة العربية حلب،الطبعة الأولى 1973م.

ثانياً ـ المراجع باللغة العربية

– الأب أ. س. مرمر جي الدومنكي

01.المعجمية العربية على ضوء الثنائية و الألسنية السامية،مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس 1937م .

- **إبراهيم أنيس**

02.الأصوات اللُّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية 1999 م .

03.دلالة الألفاظ، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو 1984 م .

04.في اللَّهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية .1973م

05.من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1972م.

– إبراهيم السمرائي

06.التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية،الطبعة الأولى 1986م،وزارة الثقافة و الشباب و الآثار المملكة الأردنية الهاشمية .

- **إبراهيم عوض**

07.دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل و أباطيل،مكتبة البلد الأمين،الطبعة الأولى 1989م .

- **إحسان عبَّاس**

08.تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب،ط1،بيروت 1971م .

- **أحمد البيلي**

09.الاختلاف بين القراءات،دار الجيل بيروت،الدار السودانية للكتب الخرطوم،الطبعة الأولى 1988م .

- **أحمد حساني**

10.مباحث في اللسانيات، ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999م .

- **أحمد شامية**

11. دراسة تمهيدية منهجية في مُستويات البنية اللُّغوية، دار البلاغ للنَّشر و التَّوزيع، الطبعة الأولى،2002 م.

- **أحمد بن صالح الزهراني**

12.شرح ألفاظ السلف و نقض ألفاظ الخلف في حقيقة الإيمان، د. ط، د. تا.

- **أحمد عبد الغفار**

13.التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1996م .

- **أحمد بن عبد الله الباتلي**

14.المعاجم العربية و طرق تأليفها،دار الراية للنشر و التوزيع الرياض،الطبعة الثانية 1992م.

– أحمد مختار عمر

15.دراسة الصوت اللَّغوي،عالم الكتب،د. تا .

16.علم الدَّلالة،عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الثانية 1988 م.

- **أحمد مصطفى المراغي**

17. تفسير المراغي، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ،الطبعة الأولى 1946م.

- **الأخضر جمعي**

18.اللفظ و المعنى في التفكير المنطقي و البلاغي عند العرب،منشورات اتِّحاد كتاب العرب، دمشق 2001م .

- **أنيس فريحة**

19.نظريات في اللُّغة،دار الكتاب اللبناني– بيروت،الطبعة الثانية1981م .

- **بدوي طبانة**

20. علم البيان ،دراسة تارخية فنية في أصول البلاغة العربية، ط2،القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية،1967م .

21.التيارات المعاصرة في النَّقد الأدبي،دار المريخ الرياض،الطبعة الثالثة 1986م .

- بسام قطوس

22.الدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى 2006م.

- **بهجت عبد الواحد الشيخلي**

23.إعراب القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،الطبعة الأولى 1427هـ / 2006م .

- **بوقرة نعمان**

24.محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة2006م

- **تمام حسان**

25.اللغة العربية معناها ومبناها،الطبعة الثالثة، 1998م .

- **التهامي نقرة**

26.الاتجاهات السنية و المعتزلية في تأويل القرآن، مطبعة دار القلم،ديسمبر 1982 م .

- **جبل عبد الكريم محمد حسن**

27.اللغة العربية كائن حيً،دار الجيل،بيروت لبنان،الطبعة الثانية 1988م.

- **الجواليقي**

28.المعرب،الطبعة الثانية وزارة الثقافة المصرية،مطبعة دار الكتب 1969م.

- **حاتم الصكر**

29.ترويض النص دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر إجراءات..و منهجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م .

- **حامد محمد أمين شعبان**

30.أسرار النّظام اللّغوي عند مصطفى صادق الرَّافعي،عالم الكتب القاهرة 1979 م .

- **الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عد ية**

31.الرّوضة البهية فيما بين الأشاعرة و الماتريدية ،الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ،الهند 1322 هـ .

- **حسين جمعة**

32.في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،2002 م .

– حلمي خليل

33.العربية و علم اللغة البنيوي– دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث – دار المعرفة الجامعية 1977م.

34. الكلمة،دراسة لغوية و معجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م.

35.مُقدِّمة لِدراسة التُّراث المُعْجمي العربي،دار المعرفة الجامعية،ط[1] 1997 .

36.مقدمة لدراسة فقه اللُّغة، دار المعرفة الجامعية 2005 م .

- **حمو النَّقاري**

37.المنهجية الأصولية و المنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقيً الدِّين بن تيمية،الشركة المغربية ولادة،الدَّار البيضاء المغرب،ط1 ،1991م.

- **حنفي بن عيسى**

38.محاضرات في علم النفس اللغوي،الشركة الوطنية للنَّشر و التَّوزيع الجزائر،الطبعة الثانية 1980م.

- **حنفي بناصر– مختار لزعر**

39.اللسانيات منطقاتها النَّظرية و وظيفتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2009م .

- **ديزيرة سقال**

40.نشأة المعاجم العربية و تطورها،دار الصداقة العربية بيروت،الطبعة الأولى1995م.

- **رجب عبد الجواد إبراهيم**

41.دراسات في الدَّلالة و المعجم، د. ط ، د. تا.

- **رياض زكي قاسم**

42.معجم علم اللغة النظري، دار المعرفة،طبعة بيروت .

- **سامي عياد حنا و آخرون**

43.معجم اللسانيات الحديثة،مكتبة لبنان ناشرون1997م.

- **سعود بن عبد الله الفنيسان**

44.اختلاف المفسرين أسبابه و آثاره،مركز الدراسات و الإعلام،دار اشبيليا الرياض،الطبعة الأولى 1997م .

- **سليمان فياض**

45.استخدامات الحروف العربية(معجميا،صوتيا،صرفيا،نحويا،كتابيا)،دار المريخ المملكة العربية السعودية 1998م .

- **سمير أحمد معلوف**

46.حيوية اللغة بين الحقيقة و المجاز،(دراسة في المجاز الأسلوبي و اللغوي،منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق،الطبعة الأولى 1996م .

– السيد أحمد خليل

47.دراسات في القرآن، دار النهضة العربية بيروت،لبنان1969م .

48.المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النَّهضة العربية بيروت – لبنان 1968 م .

- **السيد أحمد عبد الغفار**

49.التَّأويل الصحيح للنّص الدّيني،دار المعرفة الجامعية 2003 م .

- **الشاذلي أبو السعود**

50.الأدوات النحوية وتعدد معانيها اللفظية،دار المعرفة الجامعية،ط 1989م.

- **الشحات السيد زغلول**

51.الاتجاهات الفكرية في التفسير، الطبعة الثانية الهيئة العامة للكتاب 1977م.

- **شوقي حماده**

52.معجم عجائب اللغة نوادر و مدهشات علمية و يتضمن الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية،دار صادر بيروت،الطبعة الأولى 2000م.

- **الشيخ العلامة أبي إسحاق إبراهيم إطفيش**

53.النَّقد الجليل للعتب الجميل،مكتبة الضامري للنَّشر و التَّوزيع،الطبعة الأولى1993م

- **صالح بلعيد**

53. التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1994 م .

- **صائل رشدي شديد**

54. عناصر تحقق الدلالة في العربية (دراسة لسانية) الأهلية للنشر و التوزيع الأردن الطبعة الأولى2004م.

- **صلاح فضل**

55. بلاغة الخطاب و علم النَّص – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت.

- **طارق النَّعمان**

56. اللَّفظ و المعنى بين الايديولوجيا و التَّأسيس المعرفي للعلم،مكتبة الأنجلو المصرية 2003م.

- **طاهر سليمان حمودة**

57.دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع ، اسكندرية1986م.

- **طاهر محمود محمد يعقوب**

58. أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية،دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع المملكة العربية السعودية،الطبعة الأولى1425هـ .

- **طه أحمد إبراهيم**

59. تاريخ النَّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرَّابع الهجري،دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان،ط1 1985 م .

- **الطيب دبه**

60. مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستمولوجية،جمعية الأدب للأساتذة الباحثين،د. ط،د. ت .

- **عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني**

61. الديوان (في الأدب و النَقد)،الطبعة الرابعة،مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة و الطباعة و النَّشر القاهرة 1997م .

- **عبد الحميد بوزوينة**

62. بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية 1988م، نقلا عن كتاب الأسلوبية و الأسلوب لعبد السَّلام المسدي .

- **عبد الحميد الشلقاني**

63. رواية اللغة، دار المعارف القاهرة 1971م .

– عدنان الخطيب

64. المعجم العربي بين الماضي و الحاضر، مكتبة لبنان ناشرون،الطبعة الثانية 1414هـ1994م .

65. علم الدَّلالة العربي بين النظرية و التَّطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية 1988م.

- **عبده الرَّاجحي**

66. التَّطبيق الصَّرفي، دار المعرفة الجامعية إسكندرية 1988م .

- **عبد الرَحمن البرقوقي**

67. شرح ديوان المتنبي، راجعه يوسف الشَّيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، 2004م .

- **عبد الرحمن السيّد**

68. الكفاية في النَّحو،مطبعة قاصد خير،الطبعة الأولى1970م.

- **عبد الرحمن بن ناصر السعدي**

69. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،مركز صالح بن صالح الثقافي،الطبعة الأولى 1407 هـ .

- **عبد العال سالم مكرم**

70. اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم،عالم الكتب الكويت،الطبعة الأولى 1995م .

- **عبد العزيز عبد المجيد**

71. اللغة العربية و أصولها النفسية و طرق تدريسها،ط4 القاهرة دار المعارف،د. تا.

- **عبد العزيز عتيق**

72. مدخل إلى علم الصرف،دار النهضة العربية ط4،1974م

- **عبد العزيز عز الدين السيروان**

73. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن،دار العلم للملايين،الطبعة الأولى 1986م .

- **عبد العظيم إبراهيم محمد المرطعي**

74. المجاز عند ابن تيمية و تلاميذه بين الإنكار و الإقرار،مكتبة وهيبة القاهرة،الطبعة الأولى 1995م .

- **عبد الغفار حامد**

75. علم اللغة بين القديم و الحديث، الطبعة الثانية .

- **عبد الفتاح أبو سِنَّة**

76. علوم القرآن،دار الشروق القاهرة،الطبعة الأولى 1416هـ / 1995م .

- **عبد الفتاح لاشين**

77. المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم،دار الفكر العربي،القاهرة 1999م .

- **عبد القادر عبد الجليل**

78.اللُّغة بين ثنائية التّوقيف و المواضعة، دار صفاء للنشر و التَّوزيع عمان الأردن،الطبعة الأولى 1997 م.

79.المدارس المعجمية، دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى1999م.

- **عبد القادر المهيري**

80. نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1993م .

- **عبد الكريم مجاهد**

81. الدلالة اللغوية عند العرب، الدار الضياء عمان1985م .

- **عبد اللطيف الصوفي**

82.اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية،الطبعة الأولى دار طلاس، دمشق 1986م.

- **ابن عبد الله شعيب**

83.البلاغة العربية الواضحة في علم البيان،دار الهدى عين مليلة الجزائر .

- **عبد الله محمد الغذامي**

84.تشريح النَّص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية مُعاصرة،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب،الطبعة الثانية 2006م .

85.الخطيئة و التفكير: من البنيوية إلى التشريحية ، مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية ،دار سعاد الصباح ، الكويت، ط3، 1993 .

- **عبد الله بن يوسف الحديع**

86.المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع بيروت،الطبعة الأولى 2001م .

- **عبد النَّعيم خليل**

87.نظرية السياق بين القدماء و المُحدثين– دراسة لغوية نحوية دلالية،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النَّشر الإسكندرية، الطبعة الأولى ،2007م .

- **علي أحمد مذكور**

88.تدريس فنون اللغة العربية،القاهرة دار الفكر العربي 2000م .

- **علي آيت أوشان**

89.السياق و النَّص الشعري من البنية إلى القراءة، د. ط، د. تا .

- **علي حسين مزيان**

90.علم الأصوات بين القديم و الحديث،ط1،دار شموع الثقافة،الزَّاوية ليبيا 2003م .

- **علي رضا**

91.المختار في القواعد و الإعراب، مكتبة دار الشرق بيروت،د . تا .

- **علي عبد الواحد وافي**

92.نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، دار النهضة للطباعة و النشر و التوزيع مصر،الطبعة الثانية 2005م .

- **علي القاسمي**

93.علم اللّغة و صناعة المعْجم،الرّياض 1975 م .

- **عمارة ناصر**

94.اللُغة و التأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي،الطبعة الأولى 2007م،دار الفارابي بيروت لبنان .

- **عمر سليمان عبد الله الأشقر**

95.أسماء الله الحسنى و صفاته في معتقد أهل السنة و الجماعة،دار النفائس عمان الأردن،الطبعة الرابعة 1419هـ / 1999م .

96.القضاء و القدر،دار النَّفائس للنَّشر و التَّوزيع الأردن،الطبعة الثالثة عشر2005م

- **فاضل صالح السامرائي**

97.الجملة العربية و المعنى،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 2000م .

98.من أسرار البيان القرآني،الطبعة الأولى 2009م ،دار الفكر عمّان الأردن .

- **فاضل مصطفى**

99.أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة،مكتبة الخانجي القاهرة 1977م.

- **فايز الداية**

100. علم الدلالة العربي بين النظرية و التطبيق،دار الفكر،دمشق 1985م

- **فتحي الدَّريني**

101.المناهج الأصولية،دار الرَّشيد للطباعة و النَّشر، الطبعة الأولى ،دمشق 1975م.

- **فخر الدين قباوة**

102.التحليل النحوي أصوله وأدلته،الشركة المصرية العالمية للنشر،الجيزة مصر،الطبعة الأولى ،2002 م .

103.مشكلة العامل النحوي و نظرية الاقتضاء، دار الفكر،دمشق ط1،2003م

- **فرحات عياش**

104.الاشتقاق ودوره في نموّ اللغة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1995م.

- **فريد عوض حيدر**

105.علم الدلالة دراسة نظريةو تطبيقية،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة1999م.

- **فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي**

106.دراسات في علوم القرآن الكريم، دار المتعلم الزلفي،مكتبة التوبة الرياض،الطبعة الثامنة 1999م.

- **قاسم عاشور**

107.جواهر قرآنية – 1000سؤال و جواب في القرآن الكريم،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان،الطبعة الأولى 2001م .

- **كريم حسين ناصح الخالدي**

108.الخطاب النَّفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية،الطبعة الأولى 2007 م، دار صفاء للنَّشر و التَّوزيع عمّان الأردن .

- **كريم زكي حسام الدين**

109.أصول تراثية في علم اللُّغة،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة،الطبعة الثانية،1985م .

- **كمال محمد بشر**

110.دراسات في علم اللُّغة،دار المعارف بمصر،الطبعة الثانية 1971م.

- **لطفي عبد البديع**

111.فلسفة المجاز بين البلاغة العربية و الفكر الحديث،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،الطبعة الأولى 1997م .

- **محسن علي عطية**

112.الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية،دار الشروق للنشر والتوزيع عمان – الأردن الطبعة الأولى،2006 م.

- **محمد بن إبراهيم بن سعد الأنصاري**

113.إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد في العلوم و أصنافها، الطبعة الأولى 1318هـ .

- **محمد حسن باكلاً و آخرون**

114.معجم مصطلحات علم اللًُغة الحديث، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 1983م .

- **محمد حسين آل ياسين**

115.الدراسات اللًُغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث،الطبعة الأولى،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت لبنان 1980م .

- **محمد حسين الذهبي**

116.التفسير و المفسرون،دار الكتب الحديثة بيروت،لبنان ،الطبعة الثانية 1976م.

- **محمد محمد داود**

117.العربية و علم اللُّغة الحديث، دار غريب للطباعة و النَّشر و التَّوزيع القاهرة2001م

- **محمد الخضري**

118.أصول الفقه،دار المعرفة بيروت لبنان،الطبعة الأولى 1998م.

- **محمد رواس قلعجي**

119.لغة القرآن، دار النَّفائس بيروت 1988م .

– محمد زغلول سلام

120. ضياء الدين بن الأثير، جهود في النقد و البلاغة، منشأة المعارف الإسكندرية.

- **محمّد محمّد أبو شهبة**

121.المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللّواء للنَّشر و التَّوزيع، المملكة العربية السعودية، الطَّبعة الثالثة 1987م.

- **محمد الطاهر بن عاشور**

121.تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر 1984م.

- محمد عابد الجابري

122.بنية العقل العربي،المركز الثقافي العربي،الرِّباط الطبعة الأولى،1986م.

123.التراث و الحداثة دراسات .. و مناقشات،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الأولى 1991م .

- **محمد العبده ـ طارق عبد الحليم**

124.المعتزلة بين القديم و الحديث – دراسات في الفرق،دار الأرقم برمنجهام،الطبعة الأولى 1987م.

- **محمد علي زكي صبَّاغ**

125.البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ،المكتبة العصرية صيدا بيروت،الطبعة الأولى 1998م .

- **محمد علي عبد الكريم الرديني**

126.فصول في علم اللغة العام،الطبعة الأولى،عالم الكتب لبنان 1423 هـ/2002 م.

- **محمد غنيمي هلال**

127.النقد الأدبي الحديث،دار العودة بيروت،الطبعة الأولى 1982م .

- **محمد عبد الغني الشيخ**

128.أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنقد ،الدار العربية للكتاب 1983م.

- **محمد علي زكي صبَّاغ**

129.البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ،المكتبة العصرية صيدا بيروت،الطبعة الأولى 1998م .

- **محمد علي عبد الكريم الرديني**

130.فصول في علم اللغة العام،الطبعة الأولى،عالم الكتب لبنان 1423 هـ/2002 م.

- **محمد فياض**

131.إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان،الطبعة الأولى 1999م،دار الشروق القاهرة .

- **محمد المُبارك**

132.فقه اللغة– دراسة تحليلية– مقارنة للكلمة العربية،طبعة دمشق 1960 م.

133.فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر بيروت،الطبعة الرابعة ،1970 م .

- **محمد مصطفى رضوان**

134.العلاَّمة اللُّغوي ابن فارس الرَّازي،دار المعارف مصر 1971 م .

- **محمد عبد المطلب**

135.البلاغة و الأسلوبية،الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان،الطبعة الأولى 1994م.

– محمد عبد المنعم خفاجي–محمد السعدي فرهود –عبد العزيز شرف

136.الأسلوبية و البيان العربي، الطبعة الأولى 1992م،الدار المصرية اللبنانية .

- **محمد النقراشي السيد علي**

137.مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث،مكتبة النهضة القصيم بريده،الطبعة الأولى1985م .

- **محمد مفتاح**

138.النَّصّ: من القراءة إلى التنظير،تقديم أبو بكر الغزاوي،شركة النشر و التوزيع – المدارس – الدار البيضاء الطبعة الأولى 2000م .

- **محمود توقيق**

139.دلالة الألفاظ عند الأصوليين،مطبعة الأمانة– مصر– الطبعة الأولى 1987م.

- **محمود السعران**

140.علم اللغة العام، دار النهضة العربية، بيروت .

- **محمود عكاشة**

141.الدلالة اللفظية،مكتبة الأنجلو المصرية 2002م .

- **محمود علي صبيح**

142.الدُّرَة اليتيمة من حكم الكاتب البليغ الأشهر،عبد الله بن المُقفع،المكتبة المحمودية مصر،د . تا.

- **محمود فهمي حجازي**

143.علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية)،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع د . تا .

144.مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة،د . تا .

- **مختار لزعر**

145.التَّصور اللُّغوي في الفكر الاعتزالي،دار الأديب للنَّشر و التَّوزيع 2006 م .

- **مساعد بن سليمان بن ناصر الطيا**

146.التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دار ابن الجوزي، د. ط – د . تا .

- **مساعد مسلم آل جعفر**

147.مناهج المفسرين، دار المعرفة،الطبعة الأولى 1980م .

- **مصطفى محمد زكي الدباغ**

148.وجوه من الإعجاز القرآني،الطبعة الأولى 1982م،مكتبة المنار الزرقاء الأردن .

- **مصطفى مسلم**

149.مناهج المفسرين، دار المسلم للنشر و التوزيع،الطبعة الأولى 1415هـ.

- **مصطفى النحاس**

150.من قضايا اللّغة،الطبعة الأولى 1995م الكويت .

- **المنصف عاشور**

151.التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كليلة و دمنة دراسة إحصائية وصفية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م .

- **منقور عبد الجليل**

152.علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، ط2001، دمشق سوريا.

- **مونسي حبيب**

153. فلسفة القراءة و إشكالية المعنى،دار الغرب للنَّشر و التَّوزيع وهران 2002م .

- **ميشال زكريا**

154. الألسنية و التوليدية و التحويلية و قواعد اللُّغة العربية(الجملة البسيطة)،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،الطبعة الثانية 1986م .

- **نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل**

155.علم القراءات – نشأته – أطواره – أثره في العلوم الشرعية،تقديم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ،مكتبة التوبة السعودية، الطبعة الأولى 2000م .

- **نشأة محمد رضا ظبيان**

156.علم المفردات في إرثنا اللُّغوي، دار العلوم للطباعة و النّشر الرياض المملكة العربية السعودية1981م .

- **نصر حامد أبو زيد**

157.فلسفة التأويل– دراسة في تأويل القرآن عند محي الدِّين بن عربي،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،الطبعة الخامسة.

158.مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة1990م .

159.النص السلطة الحقيقة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء 1977م .

- **نعمة رحيم العزاوي**

160.النقد اللُّغوي بين التطور و الجمود، منشورات دائرة الشؤون الثقافية و النشر، بغداد 1984م

- **نور الدين السدّ**

161.الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومه للطباعة والنشر و التوزيع الجزائر 1997م .

- **نور الدين النيف**

162.فلسفة اللغة و اللسانيات،مؤسسة أبو وجدان للطباعة و النشر و التوزيع،ط 1993م،تونس.

- **الهادي الجطلاوي**

163.قضايا اللُّغة في كتب التَّفسير المنهج التَّأويل – الإعجاز،دار محمد علي الحامي الجمهورية التُّونسية .

- **هادي نهر**

164.علم اللُّغة الاجتماعي عند العرب،الطبعة الأولى 1988م الجامعة المستنصرية .

- **يسرى عبد الغنيً عبد الله**

165.مُعجم المعاجم العربية،دار الجيل بيروت،الطبعة الأولى 1411هـ _ 1991م .

- **يوسف خليف**

166.دراسات في القرآن و الحديث،دار غريب للطباعة،د . تا.
– يوسف الخليفة أبو بكر
167.أصوات القرآن كيف نتعلمها و نُعلمها، مكتبة الفكر الإسلامي الخرطوم، الطبعة الأولى 1973م.
- **يوسف عيد**
168.النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل بيروت ،الطبعة الأولى 1992م .

ثالثاً ـ الكتب المترجمة:

- **أُمبرتوايكو**
01.التأويل بين السميائيات و التفكيكية، ترجمة و تقديم سعيد بفكراد، المركز الثقافي العربي المغرب الطبعة الأولى، 2000 م .
- **بالمر**
02.علم الدِّلالة،ترجمة مجيد الماشطة،الجامعة المستنصرية،بغداد1985م.
- **براجشتراسر**
03.التطور النحوي للغة العربية،تعليق رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي القاهرة،1982م .
- **بيار جيرو**
04.السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد،الطبعة الأولى 1984م،منشورات عويدات بيروت لبنان.
05.علم الدِّلالة، ترجمة أنطوان أبو زيد،الطبعة الأولى 1986م،منشورات عويدات بيروت لبنان .
- **تون آ. قان ديك**
06.العلاماتية وعلم النَّص مدخل أولى إلى علم النَّص،ترجمة منذر عياشي،الطبعة الأولى 2004 م،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب.
- **ج. هير سلقرمان**
07. نصيات من الهرمنيوطيقا و التفكيكية،ترجمة حسن ناظم و علي حاكم صالح،المركز الثقافي العربي المغرب .
- **جون ليونس**
08.علم الدلالة،ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة عليم حسين فالح كاظم حسين باقو،كلية الآداب البصرة،جامعة البصرة،مطبعة جامعة البصرة 1980م .
– رومان ياكبسون
09. قضايا شعرية، ترجمة محمد الولي – مبارك حنون، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1988م .
- **رينيه ويليك و أوستن وارين**
10.نظرية الأدب،ترجمة محي الدّين صبحي،المؤسَّسة العربية للدِّراسات و النَّشر،بيروت الطبعة الثالثة،1987 م .
– ستيفن أولمان
11.دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر.

- **فرديناند دي سوسير**

12.فصول في علم اللغة العام،ترجمة أحمد نعيم الكراعين،دار المعرفة الجامعية إسكندرية .

- **فندريس**

13.اللّغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي – محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950م .

- **كرستيان ككنبوش**

14.الذَّاكرة و اللُّغة،ترجمة عبد الرّزاق عبيد،دار الحكمة السُّداسي الأوَّل – 2002م الجزائر .

- **كلود جرمان ريمون لوبلان**

15.علم الدلالة،ترجمة نور الهدى لوشن،دار الفاضل دمشق 1994م .

- **ماريو باي**

16.أسس علم اللغة، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب الطبعة الثامنة 1998م .

- **ماري نوال غاري بريور**

17.المصطلحات المفاهيم في اللسانيات،ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني .

رابعاً ـ المجلات:

– أحمد حساني

01. السياق و التأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية،مجلة الموقف الأدبي أدبية شهرية يصدرها إتحاد اكتب العرب دمشق،العدد395،السنة الثالثة،آذار 2004م.

– أحمد محمد المعتوق

02. الحصيلة اللغوية أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها عالم المعرفة الكويت، العدد 212،أوت 1996م.

03. ظاهرة اللفظية:أسبابها،نتائجها وسائل علاجها،مجلة جامعة الملك سعود،المجلد الخامس الآداب[2] 1993م،مطابع جامعة الملك سعود.

– حلاَّم الجيلالي

04. المنهج السيميائي و تحليل البنية العميقة للنَّص، مجلة الموقف الأدبي أدبية،اتحاد الكتاب العرب بدمشق،العدد365،أيلول 2001م.

– حمروش إدريس

05. التَّأويل في النَّحو العربي موقف القدامى و المُحدثين، مجلة منتدى الأستاذ دورية أكاديمية مُتخصصة مُحكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة الجزائر،العدد الأول، أفريل 2005م دار الهدى، عين مليلة .

– رشدي أحمد طعيمة

06. الأسس المعجمية و الثقافية لتعليم اللُّغة العربية لغير الناطقين بها،مجلة وحدة البحوث و المناهج سلسلة دراسات في تعليم اللُّغة العربية العدد الثالث،جامعة أم القرى مكة المكرمة،يونييه 1986م.

– رشيد برقان

07. العلاقة بين الجرجاني و الزمخشري،مجلة جذور،النادي الثقافي جدَّة، العدد19، مارس 2005م.

– عبد الحميد بوفاتيت

08. اللّغة مستويات مجلّة آمال،العدد55، 1985 م.

– علي توفيق الحمد

09. مفهوم النص بين الدلالة الحرفية و الدلالة التَّضمنية،مجلة جامعة البعث،المجلد 25 – العدد 9،2003م.

– علي القاسمي

10. المعجم و القاموس : دراسة تطبيقية في علم المصطلح،مجلة اللغة العربية دورية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر،العدد السادس ،2002م.

– عمر مهديوي

11. التعريف المعجمي بين المعجم الورقي والمعجم الآلي،مجلة المجمع العلمي،الجزء الثاني،المجلد الخامس و الخمسون،بغداد 2008م.

– عيسى أمين صبري

12. اللغة بين السمع و البصر،مجلة الأمة ،العدد السادس و الأربعون،السنة الرابعة شوال 1404هـ/1984م.

– قادة عقاق

13. هوية النَّص الأدبي بين انضباط التفسير و مغالات التأويل،مجلة مطارحات في اللغة و الأدب،معهد الآداب و اللُّغات المركز الجامعي غليزان– الجزائر ،العدد الأول نوفمبر 2009م .

– مختار لزعر

14. النموذج النظري والتطبيقي للدليل وعلاقته بالتأويل،بين القدامى والمتحدثين مقاربة تأويلية، مجلة مطارحات في النقد والأدب،المركز الجامعي غليزان– الجزائر،العدد الأول نوفمبر 2009م.

– المصطفى تاج الدين

15. النص القرآني ومشكل التأويل مجلة إسلامية،العدد1998،14م 1999م.

– مولاي الحسين الحيان

16. علم أحكام القرآن – دراسة في نشأته وتطوره ومدوناته،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،ج 16،ع28،شوال 1424 هـ .

- نشـأة ظبيان
17. العلوم اللغوية في سنا الإسلام، مجلة الفيصل،العدد 87 رمضان 1404هـ يونيو 1984م.

خامساً ـ المراجع الأجنبية:

.**01– Adam schaff**, Introduction a la sémantique.. traduit du polonais par Georges lisowski . édition anthropos paris1980.

02- A.J. GREIMAS ,La structure élémentaire de la signification en linguistique ,L'Homme, Année 1964, Volume 4, Numéro 3

03–Roman jakobson ,Essais de l'linguistique générale tome 1. 2.Rapports internes et externes du langage .c 1973 by les éditions de minuit paris.

04–Roman Jakobson et Linda Waugh , La charpente phonique du langage Traduit par Alain kihm . c 1980 les éditions de minuit paris.

05- Vincent Monteil , l'arabe moderne , librairie l , klinck bieck 1960 .

ملخص الرسالة بالفرنسية

Résumé:

L'étude que nous avons consacre a la signification dans le dictionnaire linguistique et la façon de traiter .en plus comment les lexicologue ont la traitées lors de clarifier leurs significations.

Jai cherche à démontrer que les lexicologues arabe ont consacré plus de temps aux questions syntaxiques et morphologique et rhétorique parce quelles incarnent un champ sémantique pour l'unique mot, afin de démontrer l'expansion sémantique des mots chez les commentateurs musulmans et j ai cherché à classifier la sémantique des mots qui concerne les

commentateurs musulmans, et comment ils ont fixé pour arriver aux sens exacte des versets en se concentrant sur les exemples dans le dictionnaire et dan les commentaires .

Et quand j'ai 'étudie de la sémantique des mots dans le dictionnaire et a sa signification dans les commentaires , j'ai touché aussi le contexte linguistique, avec tout ce qui va impliquer les significations nouvelles établi pour le mot, tout ceux- ci pour prouver l'espace sémantique du terme.

Mot clé:la signification ,mots dans le dictionnaire,dans le commenteur,dans le contexte .

ملخص الرسالة بالانجليزية

Abstract

The present research deals with the words significance/semantics in language dictionary and the way lexicographers dealt with when fixing /determining their meanings.

I strrove ; on the one hand, to clarify their meanings by proving that the Arab lexicographers concentrated on many syntactical, morphological and rhetorical issues for they embody a single scope of the word significance, and on the other one, to

demonstrate the semantic expansion of the words by referring to etymologists works.

I have tried to clarify words significance for interpreters and how the latter adjusted it out of the attainment of the appropriate meanings of verses. I have focused on samples in dictionaries and interpretations. In the course of my study, I have approached the words significance within linguistic contexts and the resulting implications of new significations owing to these linguistic contexts so as to prove the semantic space of the Word.

Key words : semantics/significance, the word in dictionaries, in interpretations, in contexts .

الملخص:

تناولت في بحثي هذا دلالة الألفاظ في المعجم اللُغوي و كيف تعامل معها المُعجميون أثناء إجلاء دلالتها، كما سعيت إلى بيان حقيقة دلالتها، لإثبات أنَ المعجميين العرب التفتوا إلى كثير من القضايا النحوية و الصرفية و البلاغية كونها تُجسِّد مجالا دلالياً للَفظ الواحد. و لبيان التوسِّع الدِّلالي للألفاظ تتبعتها عند علماء الأصول وقد سعيت إلى توضيح دلالة الألفاظ عند المُفسرين و كيف ضبطوها حرصا منهم على بلوغ استقامة معنى الآية، مُركِّزاً في ذلك على أمثلة من المعاجم و التفاسير، و في ثنايا تناولي لدلالة الألفاظ في المعجم و دلالتها في التفسير تعرضت للسياق اللُغوي و ما يترتب عليه من دلالات جديدة بناء على القرينة اللغوية، كُلَ ذلك لإثبات الفضاء الدلالي للفظ .

الكلمات المفتاحية: الدلالة ، اللفظ في المعجم، في التفسير، في السياق .

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....(أ.ب.ج.د.هـ.و.ز)

مدخل: **اللُّغة بين النشأة و الجمع**

-ماهية اللغة بين المُعجم و الاصطلاح.....09

-أصل اللغة 12

-اللغة و مبدأ التوقيف 14

-اللَّغة و مبدأ التواضع.....18

-نشأة اللغة.....27

-جمع اللغة.....30

الفصل الأوَّل : بين الكلمة و اللفظ و الدَّلالة

-اللفظ و الدلالة.....45

-مكونات المستوى الدلالي.....53

-مظاهر التطور الدلالي:.....54
-أ. تخصيص الدلالة.....55
-ب. تعميم الدَّلالة.....56
-أوَّلاً : دلالة الألفاظ عند اللغويين.....57
-العلاقات الدلالية:.....62
-أ. الترادف.....62
- ب.المشترك اللَّفظي.....64
-ج.الأضداد..... 65
-ثانياً : دلالة الألفاظ عند الأصوليين.....67
الألفاظ عند الأصوليين حسب قوَّة الوُضوح:
-أ. المحكم.....69
-ب. المفسَّر.....70
-ج. النَّص.....71
-د. الظاهر.....71
الألفاظ عند الأصوليين حسب الخفاء:
-أ. المتشابه.....72
-ب.المجمل.....72
-ج. المشكل.....73
-د .الخفيَّ.....74
المستويات الدلالية للألفاظ في المعاجم العربية:
-المستوى الصَّوتي.....86
-المستوى الصَّرفي.....90

-المستوى النحوي.....95
-المستوى الدلالي.....98

الفصل الثاني: المعجم

-المعجم لغة 107
-المعجم اصطلاحاً.....109
-الإرهاصات الأولى للمعجم العربي.....110
-المعاجم العربية و طرق تأليفها.....114
-المعنى المعجمي: 129
-أ .شرح المعنى 129
-ب . الشرح بالشاهد.....132
-ج . الشرح بالنقيض 133
-د . الشَرح بالمصاحبة.....133
-هـ . الشَرح بالحقيقية.....134
-و . الشرح بالمجاز.....135
-ز .الشرح الحسي.....136
-ح .الشرح الممزوج بالتفسير.....137
- ط . الشرح بالإيجاز.....138
-ي . الشرح بسرد الدلالات و ترتيبها.....138
-ك. الشَرح بالسياق.....140
-ل . الشَرح بالمرادف.....140
-م . الشرح الاشتمالي.....141
-ن . الشرح الشَكلي.....141

أثر البنية العميقة في تحديد دلالة اللَّفظ

-أ . المعنى الصرفي 143

-ب . المعنى الصوتي.....146

-ج . المعنى النحوي.....149

الفصل الثالث: التفسير

-لغة و اصطلاحاً.....155

-إرهاصات و دواعي نشأة علم التفسير.....158

-أنواع التفسير.....160

-أوَّلاً : التَّفسير المأثور.....160

-ثانياً : التفسير بالرأي.....168

العوامل المساعدة على إجلاء دلالة الألفاظ في التفسير:

-أ . معرفة لغة العرب.....174

-ب . معرفة أسباب نزوله.....175

-ج . معرفة قراءاته.....180

-د . معرفة مجازه.....185

-هـ . معرفة إعرابه.....186

-و . معرفة ناسخه و منسوخه.....189

-ز. معرفة غريبه.....192

-ح. معرفة متشابهه.....194

-ط . معرفة إعجازه و وجوه بلاغته.....195

-ي . تفسير الآيات المطلقة.....197

-ك . تفسير الآيات المقيدة.....198

-ل. تفسير الآيات ذات الحكم العام.....199

-بين المعنى الظاهر و التأويل.....201

الفصل الرابع

-الألفاظ بين دلالة المعجم و دلالة السياق.....221

-الألفاظ بين دلالة التفسير و دلالة السياق.....241

-أثر القرينة في تحديد الدلالة السياقية عند المفسرين.....255

خاتمة.....264

الفهارس

1. فهرس الآيات القرآنية.....267
2. فهرس الشواهد الشعرية.....273
3. فهرس المصادر و المراجع.....276
4. ملخص الرسالة بالفرنسية 305
5. ملخص الرسالة بالانجليزية.....306
6. فهرس الموضوعات.....